

صلى الله
عليه وسلم

منظومة الانتظام في سيرة خير الأنام

محمد خير خميرية

إجازة في اللغة العربية

محمد خير خميرية

منظومة الإنتظام
في

سيرة خير الانام

الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والضحى والليل إذا سجى ما ودعك وعينى

وما نكلى ولا خرة خيلك من اللؤلؤى وسوف

يعطينك ربك وفرضى صدق الله العظيم

الإهداء

إليك :

سماعة المفتي العام للجمهورية العربية السورية
وقد أُرشدتنا إلى حب الله ورسوله

إليكما :

والدي الكريمين
وقد وجدت تحت جناحيكما ابتداء الأصل
وتجذد الطمع

محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي النظم

رب ! .. افتح وسدد ، ووفق وأعن ، يا مَنْ أَسْعَدَ العارِفونَ بلذة معرفتك ،
واستغنى الفقراء بطيب تضرعهم إليك ، واستقوى الضعفاء بقوة اتصاهاهم بجلالك ..
يا مَنْ ! .. لا يحاط بوصفك ، ولا تُدرَك ذائِكَ . ويا مَنْ ! .. لا تُرَاكَ العيونُ ، ولا
تخالطُك الظنونُ ..

أَسْأَلُكَ — رَبِّ — أَنْ تقذفَ في قلبي رجاءَكَ ، وَأَنْ تعلِّمَني ماهيةَ الإخلاصِ
لوجهكَ الكريمِ ، وَأَنْ تُزَيِّنَ خُلُقِي بالحِلْمِ ، ونفسي بالِعلمِ ، وَأَنْ تَكْرِمَني يومَ يحجبُ
عَنِ النظرِ إلى جمالِ وجهِكَ مَنْ يُحجِبُ ، بلذة النظرِ إليه ..

اللهم أقبلني بحبك وبحبي لنبيك ﷺ ، وصلِ اللهم عليه ما اتصلت عين
بنظر ، أو سمعت أذن بخبر وسبح عابد وشكر . أمّا بعد ...

أخي القارئ الكريم :

لقد حيرني أمرُ رجلٍ في مكة من غير جامعة ولا مدرسة ، ولا كتاب ولا
قرطاس ، ما وقف على معلم ، ولا قرأ على أستاذ ؛ أُمِّي . يصبح معلماً للعلماء
يخضعون له ويَعُدُّو حكيماً للحكماء . يتمنّون لو يُمرِّغُ أحدهم وجنتيه على عتبات
قبره .

ينهضُ قائداً يطأطأ القادة أمام عظمتِهِ رؤوسهم يودون لو يقبلهم جنوداً في
كتيبته .

يُوحِّدُ في عشرين عاماً قوماً ما كان ليوحدهم أحد . عصبيون ، قبائليون ،
سادة وأبناء سادة ، يسير الواحد منهم بين بُرديه أنفاً ، كأنه الجبل الشاخ ، زعيم ابن
زعيم ، يجمع بين جنبيه من القيم المتوارثة القديمة الشيء الكثير ، ثم يأتي حين يسمع
كلام هذا الرجل ليقول : « فذاك أبي وأُمِّي » لقد تركتُ كلَّ شيء عرفته قبلك ،
هجرتُ ما لا تحب بل أبغضته وأحببت ما تُحب ، غادرت عادات القبيلة ، ومنهج

الآباء ، على أن تقبلني مؤمناً متبعاً لك وخادماً مطيعاً لأوامرك ، ويرى ذلك نجاحاً لا يدرکه نجاح ...

لم يغرّ الرجل الناس بالمال ، بل إنهم بذلوا أموالهم في نصرته ، لم يعطهم متاعاً ولا ديناراً ، ولا شاة ولا بعيراً ، بل إنهم تركوا ديارهم ومتاعهم وأهلهم وتجاراتهم ، في سبيل التقرب إليه ، ونيل رضاه .

رجلٌ واحد يقف أمام خضيم هائل ، يصمد أمام الاغراءات ، وقد حاول الناس في البداية إغراءه . يرفض المال ، والجاه ، يقف وحيداً فريداً . داعياً الى مبادئه التي تقوّض ما توارثه الأبناء عن الآباء ، وتطلب أن يهجروا ما توارثوه إلى غير رجعة .

يقضي على الخرافة بالعلم ، يصنع القوة من الضعف ، ويخرج بعد ذلك للناس خير أمة على وجه الأرض .

لا يقول لأحد ، إني أملك خزائن الأرض بل قوله : لا أملك لكم ضرراً ولا نفعاً ، ما كذب قط في سبيل مصالحه ولا في غيرها ، ما عُرِف بالخيانة ، حاشاه ثم حاشاه ، ولا طلب الملك والجاه ، ولا الرياسة في كلّ ما دعا إليه ، وقد عُرضت عليه جبال مكة ذهباً فقال : لا ، أجوع يوماً فأصبر وأشبع يوماً فأشكر ، أغراه القوم وهو في أشد الضيق فقال عند الإغراء : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتّى يظهره الله أو أهلك دونه . » حيرني إن لم يكن نبياً .. فما يكون؟؟؟ ... »

* إلى اليوم مازال الناس يتلذذون بذكره رغم الكتلة الزمنية الكثيفة ويأملون منه الشفاعة ، وأغلى ما عندهم أن يصلوا إلى روضته الشريفة ، وأن يكونوا من أتباعه حقاً .

جاءه الأدباء والشعراء والحكماء خاضعين منقادين مطيعين محبين ، وبين يديه أنشد كعب بن زهير قصيدته المشهورة : بانت سعاد .. فقال :

إن الرسول لَنُورٌ يستضاء به مهند من سيف الله مسلول .

وغدا حسان بن ثابت لسان الدفاع عنه وعن دينه ، وملاً الأرجاء بأعذب ألحان المدح والثناء ، ورزّت في الصحراء أناشيد الخلود التي نظمها مادحاً

الرسول الأعظم ﷺ في حياته وبعد مفارقه دنيا الزوال :
وما فقد الماضون مثل محمد
وقال أيضاً:

جنبي يقيق الترب، لهفي، ليتني
يابكر آمنة المبارك ذكره
صلى الإله ومن يحف بعشره
وفيه قال أبو العتاهية:

وأفضل هدي هدي سَمِتِ محمد
عليه السلام كان في النصيح رحمة
إمام هدى، ينجاب عن وجهه الدجى
بجبل رسول الله أوثقت عصمتي
ونبي تنقاه الإله لدينه
وفي برّه للعالمين، ولينه
كأن الثريا علقت بجبينه
وخيرته في خلقه وأمينه
وحتى بعد عشرات السنين، ومن قبل ومن بعد، وإلى ما شاء الله سيبقى
ذكره، ويتغنى باسمه... ألم يقل البوصيري:

محمد سيد الكونين والثقلين —
فانسب إلى ذاته ماشئت من شرف
فإن فضل رسول الله ليس له
ألم ينشد أحمد شوقي:

ولد الهدى فالكائنات ضياء
بك يا ابن عبد الله قامت سمحة
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
وعمر أبي ريشة ألم يقل:

وأحمد يتلقاها ويسمئُها
قيثارة الوحي لم تجرح لها وتراً
وتغنى الشاعر حلیم دموس باسم محمد فقال:

تغني عروس الشعر باسم محمد
تغني بأي الذكر والمجد والعلا
وهزي بني الدنيا بسيرة أحمد
تغني بعهد الخالدين ورددي

وغيرهم .. وغيرهم ... من الشعراء والأدباء والعلماء . حتى جاء في عصرنا هذا رجل كالدكتور مايكل هارت . ليضعه في الدرجة الأولى بين عظماء العالم . من عهد آدم حتى الساعة^(١) ...

هذا النبي العظيم . أحببته ودرست سيرته بعمق في المعهد الشرعي للدعوة والإرشاد بدمشق من خلال محاضرات السيرة النبوية التي كان يلقيها سماحة المربي العلامة الشيخ أحمد كفتارو المفتي العام للجمهورية العربية السورية . وبدراسة سيرته ﷺ وجدته مثلاً أعلى في كل شيء... ومن نحن حتى نشمّن .. ونقوم . وقد قال رب السماء والأرض في حقه « وإنك لعلی خلق عظیم » . لقد دفعني سحر بيان النبي وعظمة مبادئه وروعة تطبيقه لأدلي بدلوي بين الدلاء مغترفاً من معينه الذي لا ينضب لأخرج منظومة في السيرة يتيسر تناولها وتداولها بين الناس^(٢) ! هدية ووسيلة عسى أن أنال الشفاعة من سيد البشر ﷺ . « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » .

ولا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لسماحة المربي المفتي العام للجمهورية . إذ لم يكن هذا العمل إلا ثمرة إرشادات وتوجيهات سماحته . وللدكتور نور الدين العتر المدرس في كليتي الآداب والشرعية في جامعة دمشق . لتشجيعه وتفضله بمراجعة النظم ، حيث كانت ملاحظاته القيمة لي نبراساً ودليلاً .

وأملّي أن أكون قد قدمت خدمة للتراث وإحيائه وللوطن وأبنائه ، فإن وفقت فله الفضل والمنة . وحسبي دراسة سيرة النبي ﷺ ودعوة من قارئ كريم بظهر الغيب . وإن قصرت فإنما أنا بشر . ومن ذا الذي لا يقصر ومن ذا الذي حاز الكمال .

والله وراء القصد

دمشق في غرة رجب من عام ١٤٠٤ هـ

فاتحة نيسان من عام ١٩٨٤ م

محمد خير ضميرية .

(١) للتفاصيل انظر كتاب (المائة الأوائل) ط دار فنية

(٢) هناك الكثير من القصائد والملاحم التي تدور حول السيرة النبوية كهمزية البوصيري وهمزية (عمر أبوريشة) وكذلك قصائد المدائح النبوية الأخرى كتجيب البردة لأحمد شوقي وهمزته أيضاً إلا أن هذه القصائد أشبه بقصائد المدح منها بالنصوص المشتعلة لحوادث السيرة كاملة .

مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نسباً

النضر قريش

سالم يخلد

فهر

محارب غالب الحارث أسد

لؤي

تميم

عامر كعب سامة الحارث

هصين مرة عدي

نقطة كلاب تميم

قصي زهرة

عبد الدار عبد الغزي عبد مناف عبد قصي تخمر برة

عبد شمس لها شمس المطلب نوفل

أسد ربيعة أبا صفيحية عبد المطلب فضلة الشفاء خالدة ضعيفة

العباس حمزة عبد مناف ضرار عبد الغزي عبد الله الزبير الحارث محل المقوم

محمد صلى الله عليه وسلم

المنظومة

أ - فرش

أبتدىء القول بذكر الله جَلَّ عن الأشكال والأشباه
ما حدَّه حدٌّ ولا مكان وَلَمْ يُحِطْ بوصفه إنسانُ
ليس له جسمٌ ولا تجسُّد ولا بدايئةٌ ولا تعدُّد
ذي العفو والعلم وذو الحياة والجلم والكمال في الصفات
ترنَّمت بذكره الطيور وأثلجت بحمده الصدور

★ ★ ★

ثم أصلِّي عدد الرمال على النبيِّ المصطفى والآل
أرسله الله إلى العباد بالخير والهدى وبالرشاد
أدَّى الذي حمَّله مولاؤه وهالك كلِّ الورى لولاه

★ ★ ★

وبعد ... إني إذ قرأت السيرة وجدتُ - بما حوت - غزيرة
ورمَّت أن أخصَّها بالنظم ميسراً للناس درب الفهم^(٢)
إذ كان لي فيما مضى أمنية تُعوِّدني في الصبح والعشيَّة
أن أنظّم السيرة في أرجوزة فضل ، وأنى لي أن أحوِّزة
علَّني إذا العباد يوم النشْرِ بين الخروج للقاء والحشر
أفوز من مولاي بالقبول وأحتمي بجانب الرسول
وصحَّت الهمة والعزيمة لأن أرى أمنيَّتِي القديمة
وقد بدأت اليوم بالكتابة وفتح الله الكريم بابَهُ
وحسبي الرحمن فيما أفعل عطاءه من كلِّ العطايا أجزل

(٢) انظر لمعرفة الأرائل في كتابة السيرة . كتاب فقه السيرة للذكور محمد سعيد رمضان البوطي ط ثامن من ٢١

القسم الأول
محدث قبل النبوة

مولده - ونسبه

إِعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ لَمَّا اخْتَارَا
حَتَّى اجْتَبَى مِنْ أَهْلِهَا الْخُلَاصَةَ
خَصَّ قَرِيشًا مِنْ جَمِيعِ الْعَرَبِ
نَبِيْنَا الْبَدْرُ الَّذِي قَدْ شَرَّفَا
مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ
وَأَتَهَا لِنِسْبَةٍ كَمَا تَرَى
قَدْ كَانَ صِفْوَةَ الْعِبَادِ خَيْرًا
فَجُدُّهُ الْكَرِيمُ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ
قَرِيشٌ كَانَتْ لَا تَرَى مِنْ رَأْيِ
مُعْظَمٍ فِي قَوْمِهِ مُبْجَلٌ
أَحَبُّ عَبْدَ اللَّهِ مِنْ بَنِيهِ
وَمُذْ أَتَى فَتَاهُ سِنَّ الرُّشْدِ
أَحَاطَهُ وَزَادَهُ رِعَايَةً
وَكَانَ مِمَّا زَادَهُ فِي الْحُبِّ
آمِنَةَ الزُّهْرِيَّةِ الْآبَاءِ
وَالْدُّهَا الْمَشْهُورُ فِي قَرِيشٍ
فَحَمَلَتْ مِنْهُ بِسَيِّدِ الْبَشَرِ
وَاللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ أَرَادَا
مَاتَ الْوَلِيُّ بَعْدَ شَهْرَيْنِ فَقَطْ
فَحَزَنْتْ آمِنَةُ حِينَ رَأَتْ
فَهَوَّنَ الشَّيْخُ لَهَا الْمُصَابَا

نَبِيُّهُ ، قَدْ قَلَبَ الْأُمُصَارَا
فِي الطَّهْرِ وَالْعَفَّةِ وَالرِّيَاسَةِ
وَمِنْهُمْ مُحَمَّدًا بِالْقُرْبِ
رَبِّي بِهِ دُنْيَا الْوَرَى وَأَتْحَفَا
إِمَامٌ كُلَّ عَفَّةٍ وَجَاهِ
خُلَاصَةُ الْأَنْسَابِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى
وَمَنْبَتًا وَمَنْهَجًا وَسِيرًا
سَيِّدُ مَكَّةِ بِرَأْيِهِ الْأَرْبُ
مِنْ دُونِهِ فِي الْقُرْبِ أَوْ فِي النَّأْيِ
مَكْرَمٌ مُعَزَّزٌ - مُحَجَّلٌ
حَبًّا كَبِيرًا لَمْ يَكُنْ يُخْفِيهِ (١)
وَأَكْمَلْتُ فِيهِ سِمَاتُ الْجَدِّ
وَخَصَّهُ بِالْعَطْفِ وَالْعَنَايَةِ
أَنْ زَوَّجَ الْفَتَى بِنْتِ وَهْبٍ (٢)
شَرِيفَةِ الْأَنْسَابِ وَالْأَتْبَاءِ
بِالرَّأْيِ وَالْأَنَاةِ لَا بِالطَّيْشِ
وَسَيِّدِ الْخَلْقِ لِبَدْوٍ وَخَضِرٍ
بِعَبْدِهِ وَحَبِّهِ انْفِرَادًا
مِنْ حَمْلِ أَحْمَدٍ وَمَا رَأَاهُ قَطْ (٣)
أَنَّ أُمَانِيهَا الَّتِي كَانَتْ نَأَتْ
وَكَانَ فِيهِ مَا بَهَا اضْطَرَابَا

(١) أي عبد المطلب

(٢) هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب

(٣) شهرين في رواية ابن أبي عثمة

قال ابن هشام: «ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب . أبو رسول الله ﷺ أن هلك ، وأم رسول الله ﷺ حامل به ...»

السيرة النبوية ج ١ ص ١٦٥

وقال : يابنتاه ! ربُّ الكونِ للصابرينَ كانَ خيرَ عونٍ

★ ★ ★

فوجدت من نفسها أنيساً
أعاد من أمالها ماضعاً
من بيتها أضاء كلَّ الشَّامِ
فعجبت مما رأت كثيراً
وحين آن حملها أن يوضعاً
ونكست هاماتها الأصنامُ
ووضعت آمنة الزهرية
والوجه مرفوع إلى السماءِ
قد جاء طه ليلة الاثنين
وكان هذا العام عام الفيل
لسبعة مضت من الميلاد^(١)
فأرسلت آمنة مبشراً
فجاء مسروراً بما أتاه
وقال قد سمئته محمداً
ووفق الله لما قد قدراً

وحين تخلو وخذها جليسا
فوق هذا أبصرت شعاعاً
ولم يدع شيئاً من الظلامِ
وامتلأت من نفسها سروراً
تضاعف النور بها وسطعاً
وأشرق في سعدتها الأيامُ
وليدها في ساعة فجريّة
كمن يُناجي الله بالدعاءِ
مكملاً وأكمل العينين
والطير إذ يرميه من سجيل
من بعد خمسمائة شِدادٍ
لعمها شيخ الندى ومخبراً
وحامداً وشاكراً مولاهُ
في العالمين علّه أن يُحمداً
بعلمه فيما قضى ويسراً

★ ★ ★

الرضاع :

ثوية أولى اللواتي أرضعت
وكان من عادة أهل مكة
أن يُرسلوا الأبناء للبوادي
محمداً من النسا وأشبع^(٢)
لِحِزْبِهِمْ عَلَى النُّهْيِ وَالْحِنْكَةِ
لِيَرْضَعُوا مِنْ أَهْلِهَا الْأَجِيَادِ

(١) من ميلاد المسيح عليه السلام

(٢) ثوية : هي أمة لأبي هب عم النبي ﷺ

فَيَرْجِعُوا بِقُوَّةِ الْأَجْسَامِ وَصِحَّةِ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ

★ ★ ★

يَرْدَنَ إِرْضَاعاً وَيَلَّ حُظْوَةً ^(١)	وَجَاءَ مِنْ سَعْدِ بْنِ بَكْرِ نِسْوَةٌ
بِنْتُ أَبِي ذُوَيْبٍ الْكَرِيمَةِ ^(٢)	فَنَزَلَ الْخَيْرُ عَلَى حَلِيمَةٍ
وَكَرَّتِ الْخَيْرَاتُ كَرًّا مُذْ أَتَى	إِذْ كَانَ مِنْ نَصِيحِهَا هَذَا الْفَتَى
وَرَبُّنَا يُتِمُّ مَا أَرَادَهُ	قَدْ شَعَرْتُ بِنَشْوَةِ السَّعَادَةِ
مِنْ بَعْدِ مَا قَصَّرَ بَانِفِرَادٍ	أَتَانَهَا أَصْبَحَ كَالْجَوَادِ
مَا لَمْ يَكُنْ فِي الرَّحْلَةِ الْقَدِيمَةِ	أَثْرَابُهَا رَأَيْنَ فِي حَلِيمَةٍ
وَالْيَوْمَ صَارَتْ بِالرَّضِيعِ طَيْراً	بِالْأَمْسِ كَانَتْ لَا تُطِيقُ السَّيْرَ
وَلَا يُقَاسُ مَا مَضَى بِالْيَوْمِ	وَفَضْلُهُ عَمَّ جَمِيعَ الْقَوْمِ
بِابْنِ قُرَيْشٍ صَاحِبِ الْآلَاءِ	وَعَاشَ أَهْلُ الْبَيْتِ فِي هَنَاءِ

★ ★ ★

حادثة شق الصدر

أَرْبَعَةٌ مِنْ مَوْلِدِ الْغُلَامِ	وَعِنْدَمَا مَضَى مِنَ الْأَعْوَامِ
خَلَفَ الْبُيُوتِ فِي ظِلَالِ الْوَادِي	وَبَيْنَمَا الصَّبِيُّ فِي الْأَوْلَادِ
سَمْتُهُمَا يُشِيرُ لِلصَّفَاءِ ^(٣)	أَتَاهُ شَخْصَانِ مِنَ السَّمَاءِ
فِي جَانِبِ مِنَ الْمَكَانِ وَابْتَعَدَ	وَكَانَ عَنْ أَثْرَابِهِ قَدْ انْفَرَدَ
شَقَا — بِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى نَحَرَهُ	فَأَضْجَعَاهُ إِذْ هُمَا مِنْ صَدْرِهِ
بَغَيْرِ مَوْلَاهُ ، وَحَظَّ مِنْ حَسَدِ ^(٤)	وَأَخْرَجَا مِنْهُ تَعْلُقَ الْجَسَدِ
كَذَا رَوَى نَبِينَا وَقَدْ صَدَقَ	ثُمَّ أَعَادَا الصَّدْرَ كَالَّذِي سَبَقَ

(١) حُظْوَةٌ : أَي مَالٌ وَمَكَانَةٌ نَتِيجَةُ إِرْضَاعِ أَبْنَاءِ السَّادَةِ فِي مَكَّةَ

(٢) حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُوَيْبٍ السَّعْدِيَّةُ وَزَوْجُهَا أَبُو كَبْشَةَ — مَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ طِفْلٌ فِي بَنِي سَعْدَةَ مَدَّةَ قُرَابَةِ ٤ سَنَوَاتٍ

(٣) وَرَوَى أَنَّهُ أَتَاهُ ثَلَاثَةٌ .

(٤) أَي حَظَّ الشَّيْطَانُ

فَفَزَعَ الْأَوْلَادُ مِمَّا شَاهَدُوا وَأُخْبِرَتْ حَلِيمَةً وَالْوَالِدُ
خَافَتْ حَلِيمَةً عَلَى الرَّضِيعِ ذِي النِّسْبِ الْحَمُودِ وَالرَّفِيعِ
فَأَرْجَعَتْهُ بَعْدَهَا لِأَمْنَةٍ بَرِغْبَةٍ فِيهِ وَنَفْسٍ كَامِنَةٍ
قَالَتْ لَهَا أَمْنَةٌ وَفَرِحَتْ أَهْلًا بِمَنْ أَتَى إِلَيْنَا وَأَتَتْ
وَضَمَّتِ الْوَلِيدَ بِالْحَنَانِ تَوَدُّ لَوْ يُقِيمُ فِي الْجَنَانِ

وفاة أمه عليها السلام آمنة بنت وهب :

وَعِنْدَمَا زَارَتْ بَنِي النَّجَارِ وَقَدَّرُ اللَّهُ الْعَظِيمِ جَارِي^(١)
بِصُحْبَةِ الصَّبِيِّ ذِي الْخِصَالِ ذَاتِ النَّشَا الْكَرِيمِ . وَالْفَعَالِ^(٢)
بِبَعْضِ دَرْبِ الْعَوْدَةِ الْحَزِينَةِ كَانَتْ بِالْأَبْوَا — لِلرَّدَى رَهِينَةً^(٣)

في كفالة جده عبد المطلب ثم وفاة جده :

الْجِدُّ رَقَّ لِوَفَاةِ الْأُمِّ فَضَمَّهُ مُخَفِّفًا مِنْ لِلْهِمِّ
أَحَبَّهُ جَدُّهُ حُبًّا جَمًّا فَكَانَ وَالِدًا لَهُ وَأُمًّا
لَأَنَّهُ رَأَى عَلَيْهِ سِيمَا تَقُولُ : يَعْدُو ابْنُهُ عَظِيمَا
وَلَمَّا صَارَ عَمْرُهُ ثَمَانِيَةَ تُوفِّيَتْ نَفْسٌ عَلَيْهِ حَانِيَةَ
تُوفِيَ الْجَدُّ الَّذِي قَدْ كَانَا عَلَى الْحَيَاةِ ابْنُهُ أَعَانَا
قَدْ شَاءَ رَبِّي أَنْ يَكُونَ وَحْدَهُ يَكْلَا وَيُرْعَى حَبُّهُ وَعَبْدَهُ
وَاللَّهُ .. جَلَّ اللَّهُ .. مَا يَرِيدُ يَفْعَلُ مَا لَا يَعْلَمُ الْعَبِيدُ

عند عمه أبي طالب وكفالاته :

وَضَمَّهُ الْعَمُّ إِلَى عِيَالِهِ فَبَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِي مَالِهِ

(١) جاري : سائر وماضٍ .

(٢) النشأ : الحديث والخبر .

(٣) توفيت أمة آمنة وهي قافلة من زبارة أخوال عبد الله بن عبد المطلب والأبواء قرية قريبة من المدينة وقيل كان عمره عليها السلام ست سنين آنذاك .

أَحَبَّهُ أَكْثَرَ مِنْ أُنْبَاءِهِ وَسُرَّ مَا كَانَ مِنْ أُنْبَاءِهِ
لَمْ يَلْقَ مِنْ أَمْثَالِهِ عَفَافًا وَلَا كَأَوْصَافِ الْفَتَى أَوْصَافًا
مَجَّتْ ثَنَائًا نَفْسِهِ الْأَصْنَامَا كُرْهًا لَهَا وَمَجَّتِ الْأَزْلَامَا
وَكَانَ أَوْصَاهُ بِهِ بَعْضُ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ الْمُرْتَقَبُ^(١)
كَذَا وَبَعْضُ مَنْ قَرَأَ الْكِتَابَا أَوْصَاهُ لَا تَأْلُونَهُ طَلَابَا^(٢)
فَازْدَادَ حِرْصُهُ عَلَى مَكْفُولِهِ وَالْقَلْبُ لَا يُغْلَبُ فِي مُيُولِهِ
عَلَيْهِ كَانَ مُشْفِقًا غَيُورًا وَقَدْ رَأَهُ كَامِلًا طَهُورًا



الرحلة إلى الشام :

أَقَامَ فِي رِحَالِهِ أَعْوَامًا يَزِيدُهُ فِي كُلِّهَا إِكْرَامًا
وَذَاتَ يَوْمٍ رَغِبَ الْكَفِيلُ كَمَا رَأَى مِنْ قَوْمِهِ الْقَبِيلُ^(٣)
أَنْ يَقْصِدَ الشَّامَ لِلتَّجَارَةِ وَلَمْ يَكُنْ فِي قَصْدِهِ الزِّيَارَةِ
فَاصْطَحَبَ الْعَمَّ الْفَتَى فِي الرِّحْلَةِ فَلَمْ يَجِدْ مِنَ الْبَنِينَ مِثْلَهُ
عَزَمًا وَحَزَمًا وَصَفَاءً وَنَقَا وَعِفَّةً وَهَمَّةً وَخُلُقًا
وَزَادَهُ تَعْلُقًا وَحُبًّا بِهِ الَّذِي فِي كُتُبِهِ أَكْبَا
رَاهِبٌ بُصْرَى قَدْ رَأَى فِي الْكُتُبِ سِيمَا نَبِيِّ اللَّهِ خَيْرِ الْعُرَبِ^(٤)
أَوْصَاهُ أَنْ يُحِيطَ بِالْعِنَايَةِ مُحَمَّدًا وَالْعَوْنِ وَالرَّعَايَةِ
وَلَمْ تَذَمْ رِحْلَتُهُ طَوِيلًا بَلْ عَادَ لَمْ يَلْبَثْ سِوَى قَلِيلًا

(١) أي المنتظر

(٢) أي من أطلع على الكتب السماوية السابقة كالطهارة والإنجيل .

(٣) أي الأهل والعشيرة .

(٤) بصري قرية على حدود الشام .. والراهب هو بحيرا ، اعترضهم أثناء الرحلة سائلاً عما وجدته في الكتب المقدسة . ورأى الصفات التي قرأها تنطبق على محمد ﷺ فأوصاه به .

وكان لما قاله بحيرا لأبي طالب «ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني ، قال بحيرا : ما هو ابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون أبوه حياً .. قال أبو طالب : فإنه ابن اخي . قال : ما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبل به ، قال : صدقت فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه يهود . فو الله لئن راوه وعرفوا منه ما عرفت لبيغته شراً . فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ..» ابن هشام ص ١٨٨ ج ١ .

نَمَا الصَّبِيُّ فِي ظِلَالِ عَمِّهِ وَشَبَّ فِي وَصْفِ عَلَى أْتَمِّهِ

زواجه من خديجة بنت خويلد :

أَخْلَاقُهُ كَانَتْ هِيَ الْأَمَانَةُ
حَتَّى دَعَاهُ قَوْمُهُ الْأَمِينَا
فَسَمِعَتْ بِسَمْتِهِ خَدِيجَةُ
سَيِّدَةُ ذَاتِ ثَرَاءٍ تَاجِرَةٌ
فَاسْتَأْجَرَتْ مُحَمَّدًا لِيُخْرِجَهَا
لِلشَّامِ كَانَتْ رِحْلَةُ الْمُتَاجِرِ
وَكَانَ فِي صُحْبَتِهِ غُلَامٌ
وَاسْمُهُ مَيْسِرَةٌ وَقَازَا
قَدْ أَعْجَبَتْهُ إِذْ رَأَى - الْخِلَالَ
وَزَادَ فِي إِعْجَابِهِ الْعَمَامَةُ
أَبَ الْأَمِينِ الْخَيْرُ بِالْأَرْجَاحِ
مَيْسِرَةٌ قَصَّ عَلَيْهَا الْخُبْرَا
فَزَادَهَا حُبًّا لَهُ وَوُدًّا
وَتَمَّ اللَّهُ لَهُ الَّذِي قَضَى
إِذْ خَطَبَ الْعَمُّ لَهُ الشَّرِيفَةَ
إِذْ عُمُرُهُ تَجَاوَزَ الْعِشْرِينَ
وَنِعِمَّتْ بَيْتِ سَيِّدِ الْبَشَرِ

وَالصَّدَقَ وَالْوَفَاءَ وَالْحَصَانَةَ
مُحَمَّدًا ، وَالصَّادِقَ الْحَصِينَا
وَأَسَدٌ نَسَبْتُهَا الْأَكِيدَةَ^(١)
شَرِيفَةً ، كَرِيمَةً ، مُثَابِرَةً^(٢)
بِمَالِهَا ، مُتَاجِرًا وَمُتَّجِرًا^(٣)
وَقَدْ حَوَى خُلَاصَةَ الْمَفَاحِرِ
رِحْلَتُهُ مَعَ الْهُدَى وَسَامُ
بِصُحْبَةِ ظَلَّتْ لَهُ امْتِيَازًا^(٤)
وَالنُّورُ ، وَالْبَهَاءُ ، وَالْجَمَالُ
تُظَلِّلُ الْأَمِينَ كَالْحَمَامَةِ^(٥)
وَأَبَتْ الرِّحْلَةَ بِالنَّجَاحِ
وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ قَدْ ذَكَرَا
وَأَعْجَبَتْ بِمَا حَكَاهُ جَدًّا
بِعِلْمِهِ بِمَا أَتَى وَمَا مَضَى
خَدِيجَةُ الطَّاهِرَةَ الْعَفِيفَةَ
بِخَمْسَةِ ، وَتِي لَهَا أَرْبَعِينَ^(٦)
هَذَا الَّذِي لِأَجْلِهِ انْشَقَّ الْقَمَرُ

(١) هي خديجة بنت خويلد الأسدية سيدة شريفة ثرية تاجرة . ينتهي نسبها بلزوي بن غالب .

(٢) أي مداومة على التجارة

(٣) متجراً : أي مشغولاً

(٤) أي علامة حفظها له التاريخ .

(٥) أي لي انتقاماً .

(٦) كان عمره خمسة وعشرين عاماً . وعمرها أربعين عاماً

كَانَ لَهَا فَتَى دَعَتْهُ هَالَةَ غَدَا رَبِيبَ الْمُصْطَفَى وَآلَهُ^(١)
حَدِيجَةَ كَانَتْ لَهُ مُوَاسِيَا دَوْمًا وَكَانَ الزَّوْجُ عَنْهَا رَاضِيَا

قصة إعادة بناء الكعبة

وجاء أنَّ الكَعْبَةَ المعظَّمةَ عندَ جميعِ العَرَبِ المُكرَّمةَ
قد صدَّعتْ جُدرانها السيولُ بشدةٍ والزمن الطويلُ
فرغبتْ قريشُ أنْ تُعيدَها كما مضتْ وأنْ ترى جديدها^(٢)
سادَّاتها اختاروا لها الشريفَا من مَالِهِم والطَّاهِرَ النَّظِيفَا^(٣)
وبَدَأُوا لِلْكَعْبَةِ الْبِنَاءَ جَمِيعُهُمْ مُسَاهِمًا قد جَاءَ
لِكُلِّ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ رُكْنًا يَبْنُونَهُ فَضْلًا لَهُمْ وَحِصْنًا
مُحَمَّدٌ مَعَ الرَّجَالِ يَحْمِلُ حِجَارَةَ الْكَعْبَةِ ثُمَّ يَنْقُلُ
وعِنْدَمَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْأَسْوَدُ وَكَانَ لَا يَبْنِيهِ إِلَّا السَّيِّدُ^(٤)
تنازعوا في حمله وزادوا من الْخِصَامِ لِلِقَتَالِ كَادُوا
فقال أكبرُ الرَّجَالِ سِنًّا إِنْ شِئْتُمْ فَضْلًا لَكُمْ وَأَمْنًا^(٥)
فحكِّمُوا مِنْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَهُ وَأَوَّلُ الرَّجَالِ إِذْ تَرَوْنَهُ
قالوا : قبلنا أوَّلُ الرَّجَالِ وَإِذْ أَتَى مُحَمَّدٌ فِي الْحَالِ^(٦)
فابْتَهِجُوا لَمَّا رَأَوْا وَصَاحُوا هَذَا الْأَمِينُ وَجْهَهُ الْوَضَاحُ
لقد رَضِينَاهُ لما نَعَهْدُهُ مِنْ صِدْقِهِ وَبَيْنَنَا نَحْمَدُهُ
ثُمَّ حَكَّوْا لِأَحْمَدِ الْحَكَايَةَ مِنَ الْبِدَايَاتِ إِلَى النِّهَايَةِ
فَبَسَطَ الرِّدَاءَ قَائِلًا : أَلَا تَبْغُونَ فَضْلَ حَمْلِهِ ؟ قالوا : بَلَى

(١) أي غدا في بيته ﷺ

(٢) هابوا هدمها في البداية حتى شرح الله صدور بعضهم . فبدؤوا وكان الوليد بن المغيرة أول من بدأ الهدم . وهو يقول : اللهم

لم ترع اللهم إنا لا نريد إلا الخير ..»

(٣) البعد عن الحرام من ربا وغيره

(٤) لأنه يروى أن الحجر قد نزل من السماء

(٥) الذي قال ذلك هو أبو أمية الخزومي وكان أسن رجال قريش

(أمناء) بعداً عن حرب واقتال

(٦) كان عمره آنذاك خمسة وثلاثين عاماً كما ورد في سيرة ابن هشام ص ١٩٨ ج١

فقال : بعد أن على الرداء
ليأخذ السادة بالأطراف
ثم بكفه الشريف البر
وانتهت المشكلة الكبيرة
جرت إلى الويلات والحروب
وضعه ذو الحليم والسخاء
فابتعد القوم عن التجافي^(١)
وضعه الأمين في المقر
وكم مثيلات لها صغيرة
وخلفت شتى من الكروب

★ ★ ★

لا تعجب من تنافس على
فالبیت كان القبلة المحجوجة
ألم يقل رب السماء عنه
وأنه أول بيت وضع
ما زالت العرب بكل عصر تراه
لذلك كان كل من تنافسا
أمثال هذا عندهم إن حصلا
فيه المعالي كلها ممزوجة
أن يعمروا البيت بإذن منه^(٢)
للناس ، والحج إليه شرعا^(٣)
بيتا للعلا والفخر
فيه لشوب العز ذوما لابساً

★ ★ ★

حصن لرب الكون لا يزال
أمناً ويحظى بالذي أراد
من يحمي في كنفه ينال
ويبلغ السلام والرشادا

بعض من معيشته قبل البعثة ﷺ :

دعني أحدثك عن النبي
والله ما ملّ اللسان ذكره
بل كلما وصفته تحلا
حمد طوقت ما في الكون
ذني الخلق المطهر الزكي
ووصفه ومدحه ونصره
قلبي وفكري وعليه صلى
فضلاً وإرشاداً بكل لون

(١) التجافي : التواضع والتواضع

(٢) إشارة لقوله تعالى في سورة آل عمران : «إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركاً وهدياً للعالمين فيه آيات بينات

مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً» . الآية ٩٦

(٣) شرعاً : أي فرضاً .

لَوْلَاكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا سَعَادَةٌ وَلَمْ نَذُقْ مِنْ لَذَّةِ الْعِبَادَةِ
وَلَا عَرَفْنَا هَذِهِ الْحَيَاةَ يَابِسَةً ، أَمْ تُنْبِئُ النَّبَأَ (١)
رَعَيْتَ مِنْ قَبْلِ الْمَجِيءِ الْغَنَمَ وَصِرْتَ مِنْ بَعْدِ تَقَوُّدِ الْأُمَمَا (٢)
وَهَذِهِ فِي الْأَنْبِيَاءِ سُنَّةٌ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ لَهُمْ وَمِنَّةٌ (٣)
رَعَوْا كَمَا رَعَيْتَ أَنْتَ الشَّاةَ إِذْ أَصْبَحُوا مِنْ بَعْدِهَا هُدَاةً

★ ★ ★
شَارَكْتَ أَهْلِيكَ بِحَلْفِ الْفَضْلِ لِأَنَّهُ مَجْلَبَةٌ لِلْوَصْلِ
وَكُنْتَ شَارَكْتَ بِحَرْبِ دَارِثَ لِنَصْرِهِمْ وَعَوْنِهِمْ ، وَصَارَتْ

★ ★ ★
فِي الْيَتِيمِ عِشْتَ لَمْ تَكُنْ ذَا مَالٍ وَلَا وَرَثَتَ سَيِّئِ الْخِصَالِ
إِذْ بَيْنَمَا الشَّبَابُ عِنْدَ الْقَوْمِ يَأْتُونَ مَا يَأْتُونَ دُونَ لَوَمٍ
مِنْ شَرْبِ خَمْرٍ ، وَقَمَارٍ ، وَخَنَا وَفَوْقَ هَذَا يَغْبُدُونَ الرُّثَا
غَدَوْتَ مَا بُغِضَ شَيْءٌ مِثْلُ ذَا إِلَيْكَ مِنْ فَوَاحِشٍ وَمِنْ بَذَا
وَبُغِضَ الشَّعْرُ إِلَيْكَ أَيْضاً فَلَمْ يَقُلْ مُحَمَّدٌ قَرِيضاً
أَلَمْ تَقْصُ قِصَّةَ جَرْتِ لَكَا مُحَدَّثاً صَحْباً جُلُوساً عِنْدَكَ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيكَ بِالرَّسَالَةِ جِبْرِيلُ مِنْ مَوْلَاهُ ذِي الْجَلَالَةِ :
رَغِبْتُ يَوْماً فِي حُضُورِ عُرْسٍ تُسَامِرُ الشَّبَابَ فِيهِ نَفْسِي
فَضْرَبَ اللَّهُ عَلَيَّ النَّوْمَا فَمَا رَأَيْتُ فِي الضَّلَالِ الْقَوْمَا
وَلَمْ أُعْذِ مِنْ بَعْدِهَا لِمِثْلِهَا وَلَا رَغِبْتُ مِثْلَهَا مِنْ قَبْلِهَا
رَبُّ السَّمَاءِ جَلَّ قَدْ رَعَاكََا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَأَذَى حَمَاكََا

★ ★ ★

(١) أي هل الموت نهاية لها ، فهي منقطعة زائلة . أم أن الموت يوصل الى حياو اخرى أفضل .

(٢) كان النبي ﷺ يرعى الغنم في مكة .

(٣) وقد رعى موسى الغنم أيضاً (وما من نبي الا رعاها) كما أخبر رسول الله ﷺ

مِنْ عَمَلِ الْيَدَيْنِ كُنْتَ تَكْسِبُ تُعَوِّدُ مِنْ تِجَارَةٍ وَتَذْهَبُ
أَكْرَمَكَ اللَّهُ بِزَوْجِ الْخَيْرِ — خَدِيجَةَ ذَاتِ الثَّرَى وَالْمَيْرِ
مِنْ فَضْلِهِ الرَّحْمَنُ قَدْ أَغْنَاكَ سُبْحَانَهُ حَلَّاكَ مَا حَلَّاكَ

★ ★ ★

وَسَلَّمْتَ بِنَفْسِهَا الْأَحْجَارُ عَلَيْكَ وَالْجَمَادُ وَالْأَشْجَارُ^(١)
فَكُلَّمَا مَرَرْتَ فِي طَرِيقِ سَمِعْتَهَا تَحْنُّ لِلشَّفِيقِ
أَرَادَ رَبُّ الْكَوْنِ أَنْ يَذْلًا عَلَيْكَ مَنْ بِالْعَقْلِ قَدْ تَحَلَّى
مِنْ بَعْدِ أَنْ تَكَلَّمَ الْحِجَارُ نَظْقًا بِفَضْلِ مَنْ لَهُ الصَّدَارَةُ

★ ★ ★

وَبَشَّرْتَ بِأَمْرِكَ التَّوْرَةَ وَبَيَّنْتَ فِي مَتْنِهَا الصِّفَاتُ^(٢)
وَفَاخَرَ الْيَهُودَ أَهْلَ يَثْرِبَ أَنْ يَغْلِبُوهُمْ بِالنَّبِيِّ الْيَعْرُبِيِّ^(٣)
لَكِنَّهُ مِنْ شِيْمَةِ الْيَهُودِ بِهِتَانِهِم بِالْكَفْرِ وَالْجُحُودِ
كَذَا وَفِيكَ بَشَّرَ الْإِنْجِيلُ وَقَدْ عَنَّاكَ ، إِذْ دَعَا الْخَلِيلُ

★ ★ ★

(١) جاء في نور اليقين (ص) ١٩ (فكان إذا خرج حاجته أبعد حتى لا يرى ببناء ويفضي إلى الشعاب ويطون الأودية فلا يمر بحجر ولا شجر إلا سمع : الصلاة والسلام عليك يا رسول الله .

(٢ و ٣) ذكرت في التوراة صفات النبي محمد ﷺ وكذلك كان اليهود إن خسروا معركة في يثرب استفتحوا على العرب بالنبي الذي دنا وقت ظهوره .

القسم الثاني
البعثة النبوية ومرحلة الجهاد

بدء الوحي

وَكَانَ مِنْ أَمَارَةِ النَّبُوءَةِ حَيْثُ تَزِيدُ فِي الْإِيمَانِ قُوَّةً
أَنْ لَا يَرَى فِي رَقْدَةٍ مَنَامًا إِلَّا وَجَاءَ مِثْلُهُ تَمَامًا
وَأَنَّهُ تُسْمِعُهُ الْهَوَاتِفُ وَصِفَاءً لَهُ وَتَنْطِقُ الصَّحَائِفُ

★ ★ ★

وَحَبَّبَ اللَّهُ لَهُ انْفِرَادًا إِلَى حِرَاءَ يَهْجُرُ الْعِبَادَا^(١)
يَقِيمُ فِيهِ وَحْدَهُ مُفَكِّرًا إِذْ كَانَ رَبِّي أَمْرَهُ مُدَبِّرًا
وَبَيْنَمَا أَقَامَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيهِ وَلِلْكَوْنِ سُكُونٌ حَوْلَهُ
إِذْ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ جَبْرِيلُ وَمَنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَا يَحُولُ^(٢)
فَغَطَّاهُ ثَلَاثَةٌ وَقَالَا : إِقْرَأْ فَقَالَ : كَانَ ذَا مُحَالَا
لِأَنَّنِي فِي مَعْشَرٍ لَا أَقْرَأُ وَلَا هُمْ عَنِّي بِهَذَا أَنْبَأُوا^(٣)
فَقَالَ جَبْرِيلُ لَهُ مُعَلِّمًا وَمَا أَتَى بِهِ لَهُ مُسَلِّمًا
«إِقْرَأْ وَبِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» وَصَوَّرَ الْإِنْسَانَ مِنْ أَصْلِ الْعَلَقِ^(٤)

★ ★ ★

ثُمَّ ارْتَقَى وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ !.. أَنْتَ الرَّسُولُ الْمُصْطَفَى الْمَوْحَّدُ
وإِنَّنِي جَبْرِيلُ ، الْأَمِينُ عَلَى الْقُرْآنِ وَأَنَا الْمَكِينُ
فَخَافَ مِنْ ثِقَلِ الْخِطَابِ وَارْتَعَدَ وَإِنَّهُ لَسَامِعٌ مَهْمًا ابْتَعَدَ
صَوْتَ الْأَمِينِ قَائِلًا شَهِدْتُ بِآيَةٍ إِلَيْكَ قَدْ بُعِثْتُ
وإِنَّمَا أَنْتَ نَبِيُّ الْأُمَّةِ وَمَنْ سَيَجْلُوا عَنْ حِمَاهَا الْعُمَّةُ

(١) حِرَاء : هو جبل قريب من مكة .

(٢) أي يميل عن الحق .

(٣) أي ما قال أحد منهم عن ذلك . ولا عرفوا عني أنني أقرأ أو أكتب وإنما كان قول الرسول ﷺ : «ما أنا بقاريء» .

(٤) إشارة لقوله تعالى في سورة العلق «اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق» ١ - ٢

فَعَادَ أَحْمَدٌ إِلَى مَنْزِلِهِ مُرْتَعِدًا ، وَالْوَحْيُ فِي أَوَّلِهِ
يَقُولُ : دَثُرُوا ، فَقَدْ رَأَيْتُ مَا مِنْهُ خِفْتُ وَلَقَدْ مَضَيْتُ^(١)

★ ★ ★

مَدَّ سَمِعْتُ خَدِيجَةً مِنْهُ الْخَبْرُ قَالَتْ لَهُ لَأَنْتَ أَفْضَلُ الْبَشَرِ^(٢)
وَاللَّهِ أَنْتَ لَتُعِينُ الْكَلَّالَ وَتَحْمِلُ الضَّعِيفَ حَيْثُ حَلَا
وَتَصِلُ الْأَرْحَامَ لَا تَقْطَعُهَا وَلَا تُجَافِيهَا وَلَا تَمْنَعُهَا
أُبَشِّرُ فَقَدْ رَأَيْتُ كُلَّ الْخَيْرِ وَمَا عَلَيْكَ بَعْدَهَا مِنْ ضَيْرٍ
إِذْ ذَاكَ كَانَ عَمْرُهُ قَدْ اكْتَمَلَ فَصَارَ أَرْبَعِينَ فِي غَيْرِ زَلٍّ
أُبَشِّرُ فَيَا ابْنَ الْعَمِّ إِنِّي سَائِلَةٌ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ وَقَائِلَةٌ^(٣)
مَا إِنْ وَرَقَةُ لِهَذَا يَسْمَعُ حَتَّى يَقُولَ : إِنْ نُورًا يَسْطَعُ^(٤)
إِنَّ الَّذِي أَتَاكَ جَاءَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ هَذَا وَهَدَى النُّفُوسَا
يَا لَيْتَنِي يَا ابْنَ أَخِي فَتَى جَذَعُ إِذْ يُخْرِجُوكَ . لَيْتَنِي مَنْ دَفَعَ

★ ★ ★

قَالَ لَهُ : مُهَذَّبُ الْعِبَادِ أُمُخْرِجِي هُمْ مِنَ الْبِلَادِ ١٩

★ ★ ★

أَجَابَ : مَا جَاءَ بِهَذَا أَحَدُ إِلَّا وَعَادَاهُ الْأَلَى قَدْ حَسَدُوا
لَأَنْصُرَنَّ الْحَقَّ إِنْ بَقِيَ وَادْفَعَنَّ عَنْكَ إِنْ دُعِيتُ^(٥)

★ ★ ★

(١) المقصود بالخطاب زوجه خديجة .

(٢) لما كانت تراه من أخلاقه عليه السلام .

(٣) قاصّة عليه الخبر .

(٤) قال : «لئن كان هذا حقاً يا خديجة . إن محمداً لنبي هذه الأمة وقد عرفت أنه كان لهذه الأمة نبي ينتظر .. هذا زمانه» سيرة

ابن هشام ص ١٩٧ ج ١

(٥) قال صاحب نور اليقين «ثم لم يلبث ورقة أن توفي»

قَدْ فَتَرَ الْوَحْيُ إِلَى أَنْ ضَاقَا مُحَمَّدٌ ذَرْعاً وَمَا أَطَاقَا^(١)
وَحِكْمَةُ اللَّهِ قَضَتْ أَنْ يَنْقَطِعَ عَنْهُ الْأَمِينُ بُرْهَةً لِيَنْدَفِعَ
بِدَافِعِ الشُّوقِ إِلَى رُؤَاةِ وَالشُّوقِ يَكْفِي الْمَرْءَ عَنْ سِوَاهُ

★ ★ ★

ظَنَّ النَّبِيُّ أَنْ رَبَّهُ قَلَا لِيُضَعِفَهُ فِي نَفْسِهِ وَقَدْ سَلَا
فَضَاقَتِ الدُّنْيَا وَهَمَّ كُلَّمَا رَقَى ذُرَى لَوْ أَنَّ مِنْهَا ارْتَمَى
يَخَافُ أَنْ يَقْطَعَهُ جَبْرِيلُ وَيَخْجُبَ الْفَضْلَ بِهِ الْفَضِيلُ

★ ★ ★

لَكِنَّهُ يَسْمَعُ صَوْتاً هَاتِفاً أَنْتَ الرَّسُولُ الْحَقُّ كُنْ لِي عَارِفاً
فِيَطْمَئِنُّ الْمُصْطَفَى وَيَرْجِعُ عَنْ أَمْرِهِ الَّذِي لَهُ قَدْ يُزْمِعُ

★ ★ ★

عودة الوحي :

وبينا يوماً مَشَى أَتَاهُ صوتٌ من الوحي الذي دعاهُ
رَأَاهُ جَالِساً عَلَى الْفَضَاءِ مُعَلِّقاً فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
فَخَافَ مِثْلَ خَوْفِهِ فِي الْأَوَّلِ إِذْ غَطَّاهُ فَلَمْ يُطِيقْ وَصُولاً
وَقَالَ : دَثِّرُونِ دَثِّرُونِي وَزَمِّلُون — أَهْل — زَمِّلُونِي
فَأُنْزِلَتْ : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ » أَنْذِرِ الْقَوْمَ الْأَلَى لَمْ يُنْذِرُوا

★ ★ ★

الدعوة سراً

وعند ذاك بَدَأَ النُّضَالُ وَالْأَخْذُ ، وَالْعَطَاءُ ، وَالسَّجَالُ^(٢)

(١) كانت فترة انقطاع الوحي سنتين ونصفاً . كما ذكر ابن هشام ص ٢٥

(٢) أي مع قومه الذين أصرروا على الشرك وقلدوا الأجداد إلى أن هدى الله من شاء منهم

وبدأ النبي يدعو الناسا دعاهم ليعبدوا الرّحماءا
ليحطموا الأصنام والحجارة أن يتركوا التقليد والخرافة
متمماً مكارم الأخلاق بداية الدعوة كانت سراً
مُعَلِّماً كي يَهْجُرُوا الأَرْجَاسَا لَا غَيْرَهُ وَيَتْرَكُوا الأَوْثَانَا
لأن في دعائهم الخسارة ويرجعوا لِلرُّشْدِ وَالْحَصَافَةِ
وداعياً لِنَصْرَةِ الْخَلَاقِ وَلَقِيَ الأَتْبَاعُ فِيهَا الْمُرَا

نتائج الدعوة السرية :

أمة ذوو العقل فحالا بادروا إليه ثم عاونوا وآزرُوا^(١)
وحكمة الدعوة بالسرية كما أترى في السيرة المروية
أن لا يُبْلَغ الشَّدِيدُ لِلْعَرَبِ حالا وإلا بان شرُّ واقترب^(٢)

★ ★ ★

وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمُوا فِي الْحَالِ وَابْنُ أَبِي قُحَافَةٍ قَدْ جَاءَ
تَقْدِمَ الْفَتَى وَمَا تَأَخَّرَا ثُمَّ عَلِيٌّ وَكَذَلِكَ زَيْدٌ
ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ دَعَا عُثْمَانَا خَدِيجَةُ سَيِّدَةُ الْحَجَّالِ^(٣)
مُسْلِمًا مُذْ سَمِعَ الْأَنْبَاءَ^(٤) وَصَدَّقَ النَّبِيَّ فِيمَا أَخْبَرَا
وَأُمُّ أَيْمَنٍ كَذَا سَعِيدُ^(٥) فَمُلَّا الْفَتَى بِهِ إِيمَانَا^(٦)

(١) آزرُوا أي أعانوا ووقفوا الى جانب الحق مدافعين مسلمين مؤمنين

(٢) لم يرد الله أن يفجئ العرب قاطبة بأمر الإسلام الذي يقضي تغيير المجتمع وقلب مفاهيمه بشكل جذري لذلك كانت الدعوة سرّاً في بدايتها .

(٣) هي خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ وسيدة الرجال : يعني النساء لأن المرأة ربة الرجال وكانت أول من آمن
(٤) هو أبو بكر الصديق أبوه أبو قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي القرشي ورد أنه كان صديقاً لرسول الله ﷺ قبل أن يبعث وما ان سمع منه نبأ بعثه حتى قال : بأبي أنت وأمي أهل الصدق أنت ، ونطق بالشهادة ولم تكن له كربة كغيره .

(٥) علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ ورد في نور اليقين « وكان عنده مقيماً يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره »
ص ٢٩ - وزيد هو ابن حارثة بن شرحبيل الكلبي مولى رسول الله ﷺ اشتراه النبي واعتقه ثم تنبأه إلى أن أبطل الله التنبؤ

(٦) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي ، جامع القرآن أحد الخلفاء الأربعة الذين هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي

(٧) أم أيمن حاضنته اسمها بركة ، وسعيد هو بن زيد كان من السابقين الى الإسلام .

لَقَدْ أَرَادَ عَمُّهُ أَنْ يَفْتِنَهُ
وَمِنْهُمْ الزُّبَيْرُ^(٢) وَابْنُ عَوْفٍ^(٣)
وطلحة كذا صُهِيبٌ أَسْلَمَا
وَجَاءَ عَمَّارٌ^(٧) وَعَبْدُ اللَّهِ^(٨)
وَأَسْلَمَتْ لِرَبِّهَا سُمَيَّةٌ
وَرَجُلٌ أَتَاهُ مِنْ غِفَارٍ
وغيرهم وغيرهم مِمَّنْ دَخَلَ
قد جمع الدين مع الغني
فالفضل للتقوى بعين الحق
فما استطاع جَاهِداً أَنْ يُوهِنَهُ^(١)
وسعدُ أسلموا بدون خوف
وشطَر سَيِّدُ الْهُدَاةِ يَمَّمَا
وَيَسِيرُ^(٩) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
وَأَصْبَحَتْ بِنَفْسِهَا رَضِيَّةً
إِذْ قَدْ رَأَاهُ قَبْلَةَ الْأَنْظَارِ^(١٠)
في الدين ثم للنَّجَاةِ قَدْ وَصَلَ^(١١)
والمعتمد المحروم والولي
لا فضل بالشكل ولا بالعرق

★ ★ ★

كَمْ ذَاقَ هَوْلًا مِنْ قُرَيْشٍ
مُرّاً مِنَ الْعَذَابِ لَكِنْ صَابَرُوا
فَهَوْلًا شَمْعَةً الْهِدَايَةِ
وَتَرَسُوا هَذَا الدِّينَ لِلرَّمَايَةِ^(١٢)
حِينَ أَبَتْ وَاسْتَمْسَكَتْ بِالطَّيْشِ

(١) عمه الحكم لما علم بإسلامه أوثقه وقال : ترغب عن دين آبائك وأجدادك الى دين مستحدث ، والله لأهلك حتى تدع ماأنت عليه ، فلم يجبه عثمان الى طلبه ، فلما رأى صلاته في موقف تركه .

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي ، وأمه صفية بنت عبد المطلب ، كان عمه بعد أن أسلم يرسل الدخان عليه وهو مقيد ليرجع عن دينه الى دين آبائه فقواه الله بالنيات

(٣) هو عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الهاشمي كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه عليه الصلاة والسلام عبد الرحمن « نور اليقين ص ٣١

(٤) سعد بن أبي وقاص بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الهاشمي .

(٥) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ينتهي نسبه الى مرة التيمي القرشي . أبلى في الاسلام بلاءً حسناً وصابر وجاهد مع رسول الله ﷺ ، وهو طلحة الخير ، وطلحة الجود ومن المبشرين بالجنة .

(٦) صهيب الرومي ، وهو من الموالي . بذل ماله يوم هاجر في سبيل الله وقال عنه الرسول ﷺ « ربح البيع أبا يحيى .. » .

(٧) عمار بن ياسر العنسي .

(٨) عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل المعروف شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها وهو أحد الفقهاء العلماء من الصحابة .

(٩) هو والد عمار — ياسر العنسي — وسمية زوجته (أم عمار) .

(١٠) هو ابو ذر الغفاري كان من القصحاء من أهل البادية يرعى الغنم تتبع أمر الرسول ﷺ حتى عرف أنه الحق وأنه يأتيه الناموس الأكبر فأقبل مسلماً

(١١) كان من أوائل من أسلم أيضاً سعيد بن زيد العدوي القرشي وزوجه فاطمة أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنهم و غيرهم

(١٢) لطيش : الجهل

هُم تَلَقَّوْا بِالْفِدَى النِّبَا
 اخْتَارُوا الْأَذَى وَالْجُوعَ وَالْمَشَقَّةَ
 لَمْ يُعْطِهِمْ مُحَمَّدٌ أَمْوَالاً
 بَلْ كُلُّ مَنْ يُعْلَمُ أَنَّهُ صَبَّأَ
 لَكَنَّهُمْ تَبَيَّنُوا الطَّرِيقَا
 وَلَمْ يُيَالُوا أَبَدًا بِالْمَوْتِ
 وَأَنْفَقُوا فِي ذَا دِمَاءٍ زَكَا
 لَمَّا رَأَوْا نُورَ الْهُدَى وَصِدْقَةَ
 حَتَّى أَتَوْا لِدِينِهِ أَرْسَالاً
 عَذَابُهُ مِنْ مَالِكِيهِ مَا هَذَا^(١)
 فَوَجَدُوهُ بِالْفِدَا خَلِيقَا
 نَجَوْتَ يَا نَفْسُ!.. إِذَا نَجَوْتَ^(٢)

★ ★ ★

هَا هُمْ أَوْلَاءُ مَلَأُوا الشُّعَابَا^(٣)
 فَكُلُّ مَنْ تَأَقَّتْ إِلَى الْعِبَادَةِ
 مُسْتَخْفِيًا يَخَافُ مِنْ أَذَاهُمْ
 هَا هُمْ أَوْلَاءُ نَحْوِ أَرْبَعِينَ
 وَذَاكَ يَقْضِي مِنْهُمْ اجْتِمَاعَا
 حَفُّوا بِدَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ الْأَرْقَمِ^(٤)
 فَكَائَتْ الدَّارُ لَهُمْ كَالنَّدْوَةِ
 يُعْلَمُ النَّبِيُّ فِيهَا مَنْ أَتَى
 إِذْ عَدَدُ الْأَتْبَاعِ فِي أَرْبَعِينَ
 يَدْعُونَ رَبًّا عَنْهُمْ مَا غَابَا
 نَفْسٌ لَهُ فَيَنْبَغِي انْفِرَادُهُ
 وَبَطْشِهِمْ وَمَعْلَنًا ، لَوْلَاهُمْ
 صَارُوا بِعَوْنِ اللَّهِ رَاشِدِينَ
 وَلِلْهُدَى مِنْ أَحْمَدٍ سَمَاعَا
 لِيَلْتَقُوا بِالسَّيِّدِ الْمُعَلِّمِ
 فِي الْمُلْتَقَى عِنْدَ الْمَسَا وَالْغَدْوَةِ
 لَكِنَّ هَذَا سَائِرٌ حَتَّى مَتَى ؟
 وَالنَّاسُ يَسْعَوْنَ إِلَى الرَّشَادِ

★ ★ ★

الجهر بالدعوة^(٥) :

قد بقي النبي يدعو بالخفا ثلاثة حتى رأى أن يهتفا^(٦)

(١) مافر ولا انقطع .

(٢) أي إذا استمسكت بالحق وهو الدين القويم لأن فيه النجاة .

(٣) كانوا إذا أرادوا صلاة تفرقوا الشعاب يصلون ركعتين في الصباح وركعتين في المساء حتى فرضت الصلوات الخمس

(٤) وهو من السابقين الى الاسلام أيضاً .

(٥) أي اعلان الدين على الملأ من قريش . وفي اندبتهم ومجالسهم ، ومجامعهم العامة

(٦) بقي ثلاثة أعوام يدعو الناس سراً . حتى أذن له الله بالجهر . فقال جل وعز في سورة الحجر «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن

المشركين»

وَأَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِذَاكَ
وَلَا تَخَفْ أَذِيَةَ الْكُفَّارِ
فَظْهَرَ الْإِسْلَامَ فِي الْمَجَامِعِ
قَامَ النَّبِيُّ عِنْدَهَا إِلَى الصَّفَا
وَصَاحَ : يَا قَوْمُ أَلَا أُتَيْتُمْ
أَبْنَاءَ عَمِي !.. يَا بَنِي عَدِيٍّ
فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ وَمَا تَخَلَّفُوا
فَقَالَ : مَا كُنْتُ عَلَيْكُمْ كَاذِبًا
قَالُوا : لَنَحْنُ مِنْكَ مَا جَرَّيْنَا
فَقَالَ : إِنِّي لَكُمْ بِشِيرُ
أَنْ تَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ وَتَذَرُوا
فَصَاحَ عَمَهُ تَبًّا وَتَبًّا
فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْكَرِيمُ الْآيَةَ
«تَبَّتْ يَدَاهُ» لَيْسَ يُغْنِي مَالُهُ
وَزَوْجُهُ فِي جِيدِهَا مِنَ الْمَسَدِ
كَانَتْ تُشِيعُ الْكَذِبَ فِي النِّسَاءِ

فَقَالَ «فَاصْدَعْ» بِالَّذِي أَتَاكَ^(١)
مَا دُمْتُ فِي عَيْنِي وَفِي جَوَارِي
وَاجْهَر بِهِ دَوْمًا عَلَى الْمَسَامِعِ
حَتَّى عَلَى مَكَّةَ أَضْحَى مُشْرِفًا^(٢)
فَلَا تَقُولُوا بَعْدُ مَا دُعِيتُمْ^(٣)
إِلَيَّ ، هَلْ كُنْتُ مِنَ الرَّدِيِّ !؟
لِيَعْلَمُوا مَاذَا دَهَى وَيَعْرِفُوا
وَهْلَ رَأَيْتُمْ بَيْنَكُمْ لِي عَائِبًا
مِنْ كِذْبَةٍ قَطُّ وَلَا كَذْبَانَا^(٤)
وَإِنِّي مِنْ خَالِقِي نَذِيرُ
أَصْنَامَكُمْ عَنْهَا أَلَا فَاعْتَذِرُوا
لَأَجْلِ هَذَا جِئْتُنَا وَهَبًا^(٥)
مُؤَيَّدًا مُحَمَّدَ الْهِدَايَةِ
عَنْهُ مِنَ النَّارِ وَلَا عِيَالُهُ
حَبْلٌ لِمَا فِي قَلْبِهَا مِنَ الْحَسَدِ^(٦)
عَنِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ الْوَضَّاءِ^(٧)



(١) أي من أمر الوحي . وبلغ الناس القرآن ، وادعهم الى الاسلام الدين الحق .
(٢) صعد الرسول ﷺ الصفا وهو جبل مشرف على مكة . وجعل يصيح : يا بني فهر ، يا بني عدي ، معدداً بطون مكة وقريش حتى اجتمع اليه عدد ليس بالقليل .
(٣) قال ﷺ : أرايم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ « اجابوا ماجرنا عليك كذباً قط . فقال : فأني نذير لكم بين عذاب شديد » .

(٤) أي ولا كذبنا حديثك يوماً .
(٥) أي عمه أبو هب . وقد قال «تبا لك ألهذا جمعنا»
(٦) اشارة لقوله عز من قائل في سورة المسد «تبت يدا أبي هب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصل ناراً ذات هب ، وامرأته حمالة الحطب . في جيدها حبل من مسد » .
(٧) أي الطاهر القوي في عياله وخلقه وخلقه .

وَبَعْدَ هَذَا أُنْزِلَ الرَّحْمَنُ وَأَنْذِرِ الْأَذْيَانِ بِالآيَاتِ لِيَبْلُغَ الْعَشِيرَةَ الْقُرْآنُ مَوْضِحَاتٍ ثُمَّ يَنْبَاتُ^(١)

★ ★ ★

فَجَمَعَ النَّبِيُّ فِي وَلِيمَةٍ وَقَالَ بَعْدَهَا لَهُمْ : هَلْ يَكْذِبُ وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي كَذَبْتُ النَّاسَا وَلَوْ غَرَزْتُ كُلَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِنِّي وَوَاللَّهِ رَسُولٌ مُرْسَلٌ هِدَايَةَ النَّاسِ إِلَى السَّبِيلِ وَاللَّهُ يَا قَوْمُ لَتَبْعُنَّ لَتَجْزُونَ الْحُسْنَ بِالْإِحْسَانِ لَا لَيْسَ بَعْدَ الْعَيْشِ مِنْ دِيَارٍ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَأَطِيعُوا

أَذْنِيهِ فِي دِيَارِهِ الْكَرِيمَةِ رَأَيْدُ قَوْمٍ قَوْمَهُ وَيَخْلُبُ جَمِيعَهُمْ مَا خَنَتْكُمْ إِحْسَاسًا^(٢) لَمَّا غَرَزْتُ أُمَّتِي وَعِزُّي مِنْ رَبِّ هَذَا الْكَوْنِ إِنِّي أَحْمِلُ ذِي الْأَمْنِ فِي غَايَاتِهِ النَّبِيلِ مِنْ مَوْتِكُمْ ، لِلَّهِ تُرْجَعُنَّ وَسِيئَاتِ الْفَعْلِ بِالنِّيرانِ سِوَى النَّعِيمِ أَوْ عَذَابِ النَّارِ رَسُولُهُ الْآتِي وَلَا تَضِيعُوا

★ ★ ★

تَكَلَّمَ النَّاسُ بِقَوْلٍ لَيْنٍ إِذْ قَالَ قَوْلَ الْحَصْمِ وَالْعَدُوِّ شَدُّوا عَلَى يَدَيْهِ وَأَمْنَعُوهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعُوا جَمِيعًا إِنْ تَرَكُوهُ عِنْدَهَا ذَلَّلْتُمْ فَقَالَ عَمَهُ الْكَرِيمُ : إِنِّي

إِلَّا أَبَا لَهُبٍ شَقِيقَ الْأَرَعِنِ^(٣) يُؤْذِيهِ بِالرَّوَّاحِ وَالْغُدُوِّ : وَعَنْ أَذَاةِ الْعُرْبِ فَاجْمَعُوهُ فَلَا يَرَى مِنْ بَيْنِنَا شَفِيعًا^(٤) وَإِنْ مَنَعْتُمْ ابْنَكُمْ قُتِلْتُمْ لِمَانَعٍ عَنْهُ بَغِيرٍ مِنْ^(٥)

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الشعراء «وأنذر عشيرتكَ الأقرين» .

(٢) إحساساً بفتح الكذب .

(٣) عمه أبو لهب — شقيق الأرعن : أي صاحب الجهل والطيش

(٤) أي لا يرى عند ذلك محمد من يحميه منا

(٥) هو عمه أبو طالب — بغير من : أي من غير منة لي عليه

مَا طَالَ عُمْرِي حَافِظٌ مُحَمَّدًا وتاركٌ لَهُ الَّذِي مِنْهُ بَدَأُ^(١)
فَانْصَرَفَ الْجَمِيعُ بَعْدَ حِينٍ وَأَحْمَدُ مُسْتَبْشِرٌ لِلدِّينِ

★ ★ ★

وَاسْتَهْزَأَتْ قُرَيْشٌ فِي الْمَجَالِسِ وَقَابَلَتْ بِالْجَهْلِ وَالتَّقَاعُسِ^(٢)
قَالَتْ : أَجَاءَ الْوَحْيُ لِلْبَنِ الْفَقِيرِ قَدْ كَانَ هَذَا دَاعِيًا لِلنُّكْرِ
لَابْنِ أَبِي كَبِشَةَ وَحْيٍ مُرْسَلٌ لَعَمْرُنَا مَا كَانَ هَذَا يُعْقَلُ^(٣)

★ ★ ★

وَعَابَ عَنْهُمْ أَنَّ الرِّسَالََةَ أَمَرَ إِلَى رَبِّ الْهُدَى مَالَهُ
وَلَمْ تَكُنْ جَبْرًا وَلَا اكْتِسَابًا وَلَا أَنتَ رَغْمًا وَلَا اغْتِصَابًا^(٤)
وَإِنَّمَا النَّبُوءَةُ اخْتِيَارُ مِنْ إِلَهِ مَا بِهَِا اتَّجَارُ

★ ★ ★

مُحَمَّدٌ يَعِيبُ فِعْلَ الْقَوْمِ وَيَنْشِي عَلَيْهِمُ بِاللَّيْلِ نَوْمُ
يَقُولُ : قَدْ غَادَرْتُمْ الصَّحِيحَا مِنْ دِينِكُمْ وَجِئْتُمُ الْقَبِيحَا
وَعَابَ أَصْنَامَهُمُ الْمَعْبُودَةَ وَقَالَ : هَذِي مَا لَهَا مَعْبُودَةٌ ؟
أَتَخْلُقُ الْإِنْسَانَ أَمْ تُطْعِمُهُ هَذِي مَا يَأْتِيهِ أَمْ تُعَلِّمُهُ ؟
بَلْ إِنَّهَا حِجَارَةٌ لَا تَدْفَعُ ضَرًّا وَلَا خَيْرًا أَتَانَا تَمْنَعُ

★ ★ ★

إِنِّي لَكُمْ يَا قَوْمَنَا لَنَاصِحُ وَفَائِزٌ مَنْ جَاءَنِي وَرَابِحُ
قَوْمُوا اسْجُدُوا لِرَبِّكُمْ وَوَحِّدُوا وَسَبِّحُوا بِحَمْدِهِ وَمَجِّدُوا
تَأْتِيَكُمْ الدُّنْيَا بِرَغَمِ الْأَنْفِ وَإِنْ أَيْئْتُمْ ، فَاَبْشِرُوا بِالْحَتِفِ

★ ★ ★

(١) أي طالما عشت ساجده وأمنعه

(٢) الإبطاء في الإجابة

(٣) أبو كبشة هو زوج حليلة السعدية مرضعة الرسول ﷺ

(٤) أي ما أنت ببذل الجهد ، وإنما هي اختيار من الله لمن شاء من عباده .

وَهُمْ تَتَوَرَّعُونَ فِيهِمُ الْحَمِيَّةُ فَيَغْضَبُونَ غَضَبَةَ الْمَنِيَّةِ
وَذَاتَ يَوْمٍ بَعْدَ مَا اخْتَارُوا بِهِ وَفَكَّرُوا فِي نَهْجِهِ وَدَرْبِهِ
ابْتَعَثُوا مِنْ بَيْنِهِمْ جَمَاعَةً لَعَمْرِهِ تُطَالِبُ امْتِنَاعَهُ^(١)
قَالُوا لَهُ : يَا شَيْخُ خَلِّهِ لَنَا مُحَمَّدًا ، أَوْ كُفِّهِ عَنْ شَتْمِنَا
فَكَانَ عَمُّهُ بِهِ تَكْفَلًا وَقَالَ قَوْلًا لَيْنًا وَأَجْمَلًا
فَانْصَرَفَ الْقَوْمُ بِثَوْبِ الْحَيَّةِ وَالَّذِينَ يَزْدَادُ قُوَى وَهْيَّةِ
وَالْمُصْطَفَى مَاضٍ لَمَّا يُرِيدُ مَا صَدَّهُ عَاتٍ وَلَا عَنِيدُ

★ ★ ★

فَعَاوَدُوا إِرسَالَ بَعْضِ الْقَوْمِ وَأَسْرَفُوا فِي عَذْلِهِ وَاللَّوْمِ
قَالُوا لَأَنْتَ سَيِّدُ إِمَامٍ وَعِنْدَكَ الْعَقَالُ وَالزَّمَامُ
وَإِبْنُ أَخِيكَ قَدْ طَلَبْنَا مِنْكَ أَنْ تَنْهَهُ عَنْ دِينِنَا وَعَنْكَا^(٢)
وَشْتِمِ آبَاءِ لَنَا كِرَامٍ عَنْهُمْ وَرِثْنَا الدِّينَ بِاخْتِرَامٍ
اسْمَعْ فَإِنْ لَمْ تَنْهَهُ نُحَارِبُ تَدُورُ فِيمَا بَيْنَنَا الْعَقَارِبُ
فَعَظُمَ ، الْأَمْرُ عَلَى الْكَفِيلِ وَلَمْ يَطْبُ ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ
يَا ابْنَ أَخِي : اسْمَعْنِي لَقَدْ أَتَانِي قَوْمِي فَقَالُوا مَا بِهِ تَرَانِي
فَابْقِ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ لَا تَدْعُ حِمْلًا ثَقِيلًا لَا أُطِيقُ فَاقْعُ^(٣)

★ ★ ★

فَقَالَ : يَا عَمَّاهُ لَوْ أَتَوْنِي بِالشَّمْسِ لِلْيَمْنَى وَلَوْ دَعَوْنِي
فَجَلَبُوا الْبَذَرَ إِلَى الشُّمَالِ وَسَلَمُونِي قُرْصَهُ فِي الْحَالِ^(٤)

(١) انظر : نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، الطبعة الثامنة عشرة ص (٣٧) . وتاريخ الاسلام . د حسن ابراهيم حسن ج١

ص «٧٥» وما بعد و صور من حياة الرسول ﷺ ص ١٤٩

(٢) أي وعن شتم دينك أيضاً لأن أبا طالب كان لا يزال على دين الآباء والاجداد رغم دفاعه عن ابن أخيه محمد ﷺ

(٣) أي لا أطيق حمله

(٤) وذلك أنه قال : «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه ..»

لما تركت الأمر حتى يظهر أو دونه أموت فانظر ما ترى
ثم بكى النبي ظناً منه أن أبا طالب ماض عنه

★ ★ ★

فقال عمه : ألا قل ما تحب فلست عنك اليوم بالذي رغب

الأذى والاضطهاد :

لكن جهل المشركين استظما وأكثروا القوم له أذية يروون أنه بذات يوم يا معشراً ترون ماذا يفعل يعيب ديناً ويسبب جداً يسفه الاحلام ، يشتم الصنم أن يخرجوا لله بعد الموت لكم علي العهد أني جالس بحجر لا أستطيع حمله وبعد إن شئتم فسلموني وبعدها بنو مناف يفعلوا ويبنمما هم جالسون جاء أني إلى البيت الحرام وسجد

فأكثروا له الأذى أني احتمي عمرو ، أبو جهل أخو البلية^(١) أني ونادي في اجتماع القوم محمد وكلكم لا يقبل لنا ويجتاز علينا الحد^(٢) وبعد الأموات من بعد العدم هل تسمعون قالتي وصوتي غداً وضارب له وحابس حتى ترون موته وقته أو دافعوا عني ودافعوني بني ما بدا ليضربوا ليقتلوا محمد الهادي الذي أضاء ورثه الخالق للناس عبداً

★ ★ ★

(١) وهو عمرو بن هشام الخزومي ، كان أشد الناس إيذاء لرسول الله ﷺ

(٢) إشارة للعادثة الشهيرة المذكورة في كتب السيرة وهي كما في نور اليقين : «قال يوماً يامعشر قريش إن محمداً قد أتى ماترون من عيب دينكم وشتم آلهكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم إلي أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر لا أطيق حمله ، فإذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني . فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ..» ولما هم بذلك تحمل له جبهل فعلاً عظيماً بهم بأخذه كلما اقترب من رسول الله ﷺ فغاف ورجع والقي الحجر بعيداً .

فَاخْتَمَلَ الْجَاهِلُ ذَاكَ الْحَجَرَا
إِرْتَدَّ خَائِفًا بُوْجِهٍ مُمْتَقِعٍ
فَقَالَ أَتْرَابُ لَهُ : أَبُو الْحَكَمِ
أَجَابَ : إِنِّي كُلَّمَا دَنَوْتُ
كَأَنَّ فَحْلًا هَائِجًا مِنَ الْإِبِلِ
أَنْ يَأْكُلَ الْجِسْمَ الَّذِي أَحْمِلُهُ
وَهُمْ ثُمَّ خَافَ بَلْ تَأَخَّرَا
وَهَيْكِلِ مُضْطَرِبٍ خَاوٍ جَزَعٍ
مَاذَا جَرَى مِنْ أَمْرِهِ حَتَّى انْهَزَمَ
مِنْ بُغْيَتِي رَأَيْتُ مَا رَأَيْتُ
يُرِيدُنِي يَهُمُّ عِنْدَمَا أُصِلُ^(١)
فِي جَوْفِهِ يَكَادُ أَنْ يَجْعَلَهُ

★ ★ ★

وَحِينَ حُدِّثَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى
عَنْ جَهْلِهِ^(١). لَوْ أَنَّهُ كَانَ اقْتَرَبَ
بِمَا جَرَى ، قَالَ ، وَجَبْرِيلَ عَفَا
لَمَا اسْتَطَاعَ مِنْهُ مِنْ بَعْدِ الْهَرَبِ

★ ★ ★

وَكَانَ مِنْهُمْ الْأَذْيُ عُقْبَةُ
فَقَدْ رَمَى يَوْمًا نَبِيَّ الرَّحْمَةِ
وَمَا اسْتَطَاعَ الْمُسْلِمُونَ ضَعْفًا
بِنْتُ النَّبِيِّ رَفَعَتْ عَنْهُ الْأَذْيُ
ثُمَّ دَعَا النَّبِيَّ بَعْدَ السَّجْدَةِ
يَا رَبَّنَا عَلَيْنَا بِالَّذِينَ
وَعَدَ قَوْمًا ، قِيلَ بَعْدَ عَنْهُمْ
وَاسْتَهْزَأَ الْعَمُّ بِهِ كَثِيرًا
قَدْ كَانَ فِي يَدَيْهِ يَحْمِلُ الْقَدْرَ
وَمَنْ أَضَلَّ اللَّهُ بَعْدَ حِزْبِهِ^(٢)
بِالْفَرِثِ مَا رَعَى إِلَّا وَدِئَمَةً^(٣)
أَنْ يَرْفَعُوهُ ، خَشِيَّةً وَخَوْفًا
وَوَضَعَتْ عَنْهُ بَعِيدًا الْقَذَى
مَوْلَاهُ ، إِذْ لَا قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ^(٤)
آذُونَ رَبِّ ! .. وَاعْتَدُوا عَلَيْنَا
فِي بَدْرٍ خُلِّصَ الْعِبَادُ مِنْهُمْ
وَكَانَ لِلأُلَى اعْتَدُوا ظَهِيرًا^(٥)
يَضْعُهُ بِبَابِ طَهَ الْمُعْتَبِرُ

(١) أي ذاك الفحل هو جبريل وقد عفا عن طيش أبي جهل .

(٢) عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس قتل في بدر شر قتلة وكان من أشد الناس إيذاءً لرسول الله ﷺ ووصداً
عن دينه .

(٣) عهداً ولا قرابة .

(٤) روي أن رسول الله ﷺ قال بعد ذلك : اللهم عليك بالملأ من قريش وسمى أقواماً قال ابن مسعود : فرأيتهم قتلوا يوم بدر .

(٥) العم هو أبو لهب بن عبد المطلب عم رسول الله . آذاه أكثر من الأباعد .

فَيَخْرُجُ النَّبِيُّ حَتَّى يَطْرَحَهُ
ثُمَّ يَقُولُ : يَا بَنِي مَنَا فِ
أَمَّا جَمِيلَةٌ فَكَانَتْ تَشْتِمُ
وَسَيِّمًا بَعْدَ نُزُولِ السُّورَةِ
وَعُقْبَةَ جَارِ الرَّسُولِ الثَّانِي
دَعَا النَّبِيَّ فِي كِبَارِ الْمَعْشَرِ
وَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَسْتُ آكِلًا
حَتَّى تَقُولَ : إِنِّي الرَّسُولُ .
فَقَالَهَا عُقْبَةُ حَتَّى يَأْكُلَا .
فَبَلَغَ الْأَمْرُ أَبِي الْجُمَحِي —
مَاذَا فَعَلْتَ ، مَاذَا قُلْتَ أَمْسِ
وَجِهِي حَرَامٌ مِنْكَ إِنْ لَقَيْتَا .
مِنْ أَجْلِهِ بِمَا رُمِيتَ الْيَوْمَ
وَلَمْ تَقُمْ فِعْلًا بِمَا يَدُلُّ
وَفَعَلَ الْحَبِيثُ مَا أَشَارَا
فَلَطَمَ النَّبِيَّ لَمَّا شَاهَدَهُ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْقَوْلَا
« يَوْمَ يَعُضُّ الظَّالِمُونَ » بِالْيَدِ
يَا لَيْتَنَا كُنَّا أَطْعَمَنَا اللَّهُ

فِي جَانِبٍ وَلَمْ يَكُنْ لِيَفْضَحَهُ
أَيَّ جَوَارٍ ذَا وَأَيَّ جَافٍ
نَبِينَا وَبَافِتِرَاءِ تُعْظِمُ^(١)
تَذُمُّهَا^(٢) إِذْ قَدْ غَدَتِ مَشْهُورَةٌ
ظَالِمٌ نَفْسِهِ الْأَسِيرَ الْعَالِي^(٣)
إِلَى طَعَامٍ فَآتَى لِلْمَحْضَرِ
طَعَامَكُمْ وَلَسْتُ فِيكُمْ نَازِلًا
وَقَدْ أَتَانِي بِالْهُدَى جَبْرِيلُ
مَحَمَّدٌ طَعَامُهُ فَيَفْضُلَا .
وَقَالَ يَا عُقْبَةُ هَلَّا تَسْتَجِي^(٤)
فِي حَضْرَةِ الْقَوْمِ الْأَبَاةِ الْحُمْسِ .
مَنْ قَدْ ، دَعَوْتُهُ وَقَدْ رُمِيتَا
حَتَّى غَدَوْتَ تَسْتَحِقُّ اللَّوْمَا .
عَلَى بَقَاءِ سُرٍّ فِيهِ الْكُلُّ^(٥) .
بِهِ الَّذِي قَدْ أَفْسَدَ الْجَوَارَا
وَعَنهُ وَلَّى مُدْبِرًا وَعَائِدَهُ
لَهُ تَهْزُرٌ خِيفَةً وَمَهْوَلَا
يَا لَيْتَنَا مَعَ النَّبِيِّ الْمُهْتَدِي^(٦)
وَلَمْ نُطِيعْ مَنْ عَنِ هُدَاهُ تَاهَا



(١) أم جميلة هي زوج أبي هب بنت حرب بن أمية . كانت كثيراً ما تسب رسول الله ﷺ

(٢) أي بعد نزول سورة المسد .

(٣) هو عقبة بن أبي معيط — ظالم نفسه : أي لنفسه بصدده وعناده . العالي الأسير لعادات وتقاليد الأسلاف ولو كانت على غير هدى ، المتجاوز للحد في الإيذاء . وهذا من جملة ما قام به من إيذاء أيضاً .

(٤) هو ابن خلف الجمحي القرشي . كان صديقاً لعقبة .

(٥) أي فرح به كل القوم . والبقاء المقصود على الكفر ودين الأجداد .

(٦) إشارة لقوله تعالى في سورة الفرقان : « وَيَوْمَ يَقُولُ يَالَيْتِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ، يَا وَيْلَتِي لَيْتِي لَمْ أَخَذُ فَلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ اضْلَعْتُ عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا » .

وَمِنْهُمْ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ وَمِنْ .
 مِنْ سَادَةِ الْقَوْمِ الْوَلِيدُ كَانَا .
 قَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْهُ آتِئاً .
 مِنْهُ ، وَوَاللَّهِ عَرَفْتُ الشَّعْرَا
 فَلَمْ أَرِ الْقُرَانَ فِي الصَّنْفَيْنِ
 وَمَا أَرَاهُ جَاءَنَا مِنَ الْبَشَرِ
 إِنَّ لَهُ يَا قَوْمُ كَالْحَلَاوَةِ .
 وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ بَدَا
 وَإِنَّهُ يَغْلُو جَمِيعَ الْقَوْلِ

أَعْلَاهُمُ الْوَلِيدُ أَعْمَاهُ الزَّمَنُ (١)
 وَهُوَ الَّذِي إِذْ يَسْمَعُ الْقُرْآنَا (٢)
 . قَوْلًا أَرَانِي لَا أَزَالُ خَائِفًا
 وَالسَّجَّعَ فِي خِطَابِنَا وَالتَّشْرَا (٣)
 وَلَا سَمِعْتُ الشَّبَّةَ فِي اللَّوَيْنِ
 وَلَا مِنَ الْجِنَّ وَلَا مِنَ الْقَمَرِ .
 وَإِنَّ لَفْظَهُ لَهُ طَلَاوَةٌ .
 وَأَسْفَلَ الْقُرْآنَ مُعَدِّقٌ غَدَا .
 وَلَيْسَ يُغْلَى فَوْقَهُ بِالطَّوْلِ

★ ★ ★

قَالَتْ قُرَيْشٌ : الْوَلِيدُ قَدْ صَبَأَ
 إِذْ قَالَ : أَكْفَيْكُمْ أَنَا الْوَلِيدَا
 وَكَلَّمَ الْعَمَّ إِلَى أَنْ تَهْضَا
 وَقَالَ : أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ
 ثُمَّ تَقُولُونَ : كَلَامُ الْكَاهِنِ
 وَقُلْتُمْ كَذَّابٌ . هَلْ جَرَّبْتُمُو
 وَهُمْ يَقُولُونَ : أَلَا اللَّهُمَّ لَا —
 لَكِنَّهُمْ تَسْأَلُوا : مَا الْقَوْلُ ؟

وَإِنَّ أَخِيهِ بَعْدَ هَذَا مَا هَذَا (٤)
 فَجَاءَهُ مُتَّهِمًا شَدِيدًا
 لِمَجْلِسِ قَضَى بِهِ الَّذِي قَضَى
 قَدْ جُنَّ لَكِنْ هَلْ رَأَيْتُمْ جِنَّهُ
 وَمَا رَأَيْتُ فِيهِ قَوْلَ الْوَاهِنِ
 كِذْبًا عَلَيْهِ ، ثُمَّ هَلْ أَخْبَرْتُمُو (٥)
 لَا شَيْءَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ حَصَلًا
 فَعِنْدَكَ الرَّأْيُ وَفِيكَ الْحَوْلُ . (٦)

فَفَكَرَ الْوَلِيدُ ثُمَّ قَدَّرَا
 ثُمَّ أَدَارَ الْفِكْرَ ثُمَّ أَدْبَرَا

(١) العاص بن وائل السهمي وهو والد عمرو .

(٢) الوليد بن المغيرة عم أبي جهل كان ذا سعة ومال .

(٣) إشارة لقول الوليد بن المغيرة : (والله لقد سمعت من محمد آتياً كلاماً ما هو من كلام الانس والجن وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلو عليه)

(٤) ابن أخيه هو أبو جهل .

(٥) أي هل أخبركم أحد أنه كذاب . وقد عاش محمد بين ظهرائكم . ؟

(٦) المقصود أنت ذو القوة والرأي .

فقال: إنه لسحرٌ يؤثر
فضجَّ نادِ الجالسين زهوا
فأنزل الله به التهديدا
فقال: « ذرني والذي خلقتُ »
حياته والرزق والبنينا
مِنْ كُلِّ مَنْ آذاه ربي انتقما
فمنهم من ماتَ شرَّ ميتةٍ
ومنهم من ابتلاه الله
يصير المرء إلى ما يشعُرُ
وفرحاً بقوله وهو
وبالبحيم أوعد الوليدا
من عدم ثم أنا جعلتُ^(١)
فلم يكن بنعمتي قمينا
ونصر النبي طه وحمي
تخاف من سيماء إن لقيته^(٢)
بالداء كالعاصي ومن سواه^(٣)

إيذاء الصحابة وثباتهم:

وَصَابَرَ الصَّحَابَةُ الْكَرَامُ
مَنْ يَهْتَدِي بِأَسْوِ الْعَذَابِ
فَذَا بِلَالٌ صَاحِبُ الْجَنَانِ
تَفْتَحَتْ عَيْنَاهُ بِالْهَدَايَةِ
وَلَمْ يِيَالْ بِالْعَذَابِ الْمُرِّ
سَيِّدُهُ أَمِيَّةٌ يَجْعَلُ فِي^(٥)
ثُمَّ إِلَى الصَّبِيَانِ يَدْفَعُ الْفَتَى
شَيْئاً سِوَى أَنْ بِالنَّبِيِّ آمناً
لِذَاكَ ظَلَّ قَوْلُهُ: رَبِّ أَحَدٍ
لَوْ جَرَّهُ السَّيِّدُ فِي الرَّمْضَاءِ
إِذْ عَذَّبُوا فَالْمَشْرُكُونَ سَامُوا
بِالشَّتَمِ وَالْأَذَى وَبِالضَّرَابِ
وَذُو النُّهْيِ الْمَلِيءُ بِالْإِيمَانِ^(٤)
فَهَا جَرَّ الضَّلَالُ وَالْعَوَايِةُ
مَا دَامَ نَاجٍ دِيئُهُ مِنْ شَرِّ
عُنُقِهِ حَبْلاً كَذَا وَيَصْطَفِي^(٦)
لِيلْعَبُونَ فِيهِ وَهُوَ مَا أُنِي
وَكَانَ حُبُّ اللَّهِ فِيهِ كَامِناً
لَيْسَ لَهُ مِنْ وَالِدٍ وَلَا وَلَدٍ
وَلَوْ رَمَاهُ الْحَرُّ بِالْحَصْبَاءِ

(١) إشارة لقوله تعالى في سورة المدثر «ذرني ومن خلقت وحيداً» وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت له تمهيداً .
ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان آياتنا عنيداً . سأرهقه صعوداً . إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم
عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر . سأصليه سقر وما أدراك ما سقر
لا يبق لي ولا نذر ... » الآيات

(٢) كأي جهل والنضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط

(٣) العاص بن وائل السهمي وأبو لهب والوليد بن المغيرة .

(٤) بلال بن رباح كان مولى لأمية بن خلف . اعتقه أبو بكر بعد أن اشتراه من أسار الرق فغدا من الصحابة المجاهدين ،
وأصبح مؤذناً لرسول الله ﷺ فيما بعد .

(٥) هو أمية بن خلف أحد زعماء قریش .

(٦) أي ويختار له حبلاً ينتقيه لتعذيبه .

وَوَضَعَ الصَّخْرَةَ فَوْقَ الصَّدْرِ
بَلْ إِنَّهُ يَثْبُتُ كَالْجِبَالِ
وَبَعْدَهَا أَعْتَقَهُ الصَّدِيقُ
فَلَا زَمَ الرُّسُولَ طَوْلَ الْعُمَرِ
وَعَمِيَتْ زُرِّيْرَةٌ إِذْ عُذِّبَتْ
كَذَاكَ عَمَّارٌ وَوَالِدَاهُ
حَتَّى رَسُولَ اللَّهِ فِيهِمْ قَالَا:
فَالْجَنَّةُ الْوَارِثَةُ الظَّلَالِ
مَاتَ أَبُو عَمَّارٍ فِي الْعَذَابِ
وَلَمْ يُطَقْ عَمَّارُ ثَوْبَ الْفِتْنَةِ
لَكِنَّ قَلْبَهُ مِنَ الثَّبَاتِ
خَبَابٌ أَيْضاً كَانَ مِمَّنْ عُذِّبَا
حَتَّى أَتَى يَوْماً إِلَى الْمُخْتَارِ
فَقَالَ يَا نَبِيَّنَا فَسَلْ لَنَا
فَجَلَسَ النَّبِيُّ جَلْسَةَ الْغَضَبِ
مَا إِنَّ نَاساً جِيءَ بِالْمُنْشَارِ
مَا صَدَّهُمْ هَذَا عَنِ الْإِيمَانِ
لَنْ يَرْجَعَ الْعُلَامُ نَحْوَ الْكُفْرِ^(١)
عَلَى الْهُدَى وَلَيْسَ فِي الضَّلَالِ
ذُو الْعَطْفِ بِالْمُسْتَضْعَفِ الشَّفِيقِ^(٢)
فِي سِرِّهِ أَحَبُّهُ وَالْجَهْرِ...^(٣)
فِي دِينِهَا، وَكَالْجِبَالِ ثُبَّتْ^(٤)
آذَاهُمْ مَنْ رِبَهُ قَلَاهُ^(٥)
صَبْرًا بَنِي يَاسِرٍ وَاحْتِمَالًا
مَوْعِدُكُمْ أَنْتُمْ عَلَى احْتِمَالِ
وَزَوْجُهُ سُمِّيَ الْجَنَابِ^(٦)
فَقَالَ مَا أَنْجَاهُ مِنْ ذِي الْحَنَةِ
عَلَى الْهُدَى بَاقٍ كَرَايَاتِ
فِي الدِّينِ وَعَلَى الْجِمَارِ قُلْبًا^(٧)
وَهُوَ مِنَ الْكَعْبَةِ فِي جَوَارِ
رَبِّ الْعِبَادِ أَنْ يُزِيلَ مَا بَنَا
وَقَالَ : كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ النَّصَبِ^(٨)
شَقُوا بِهِ وَهُمْ عَلَى اصْطِبَارِ
بَلْ زَادَهُمْ شَوْقًا إِلَى الرَّحْمَنِ

(١) كان أمية يخرجها إذا حيت الظهيرة في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فيوضع على صدره ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ﷺ وتبعد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد .. أحد ..

(٢) هو أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الخليفة الأول وصاحب رسول الله ﷺ في هجرته إلى المدينة .

(٣) أي طول عمر رسول الله ﷺ لأن بلال عاش حتى خلافة الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

(٤) هي صحابية سابقة إلى الإسلام ، ما ردها البلاء عن دينها . « قال أبو جهل : ألا تعجبوا هؤلاء وأتباعهم لو كان أتى محمد خيراً ما سبقوا إليه ، ألتسبنا زنية إلى رشد » فأنزل الله تعالى قوله : « وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه . وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إلفك قديم » وكانت زنية قد ذهب بصرها تحت العذاب . فقالت فريش ما أذهب بصرها : إلا اللات والعزى . فقالت : كذبوا ، وبیت الله . ما تضر اللات والعزى وما تنفعان ... فرد الله بصرها » سيرة ابن هشام ص ٣١٣ ج ١

(٥) عمار بن ياسر وقد سبق التصريف به .

(٦) طعن أبو جهل فاستشهدت وما انتفت عن إيمانها ، وكذلك ياسر مات تحت العذاب .

(٧) خياب بن الأرت سبي في الجاهلية فاشترته أم أمار ، قيل إنه كان حداداً ، وكان رسول الله ﷺ يألفه قبل البعثة فلما شرقة الله بها أسلم خياب .

(٨) الثصب : في الأصل التعب ، والمقصود هنا العذاب والأذى .

لِيُظْهِرَنَّ اللَّهُ دِينَهُ إِلَى شَيْءٍ وَيَمْضِي الْمَرْءُ مِنْ صَنْعَاءَ
أَنْ لَا يَخَافَ الرِّكْبُ فِي الدَّرْبِ عَلَى لِحْظَرَمَوْتَ لَا يَرَى أَعْدَاءَ

★ ★ ★

وَأُوذِيَ الصَّدِيقُ فِي الْإِسْلَامِ وَهُمْ بَعْدَ ذَاكَ أَنْ يُهَاجِرَا
وَهُمْ بَعْدَ ذَاكَ أَنْ يُهَاجِرَا حَتَّى تَكُونَ النَّفْسُ فِي أَمَانٍ
لَوْلَا إِجَارَةُ لَابَنِ الدُّغْنَةِ وَهَجَرَهُ لِلْجَهْلِ وَالْآثَامِ^(١)
وَهُمْ فِي أَنْ لَا يَزَالَ سَائِرًا تَطِيعَ مَوْلَاهَا بَلَا امْتِهَانٍ
لَبَاتَ فِي الْأَرْضِ يُرِيدُ أَمْنَهُ^(٢)

★ ★ ★

كُلُّ الْعَذَابِ وَالْأَذَى لِلصَّحْبِ وَحَاوَلْتُ قَرِيشُ دُونَ جَدْوَى
وَشَاهَدْتُ بِأَنَّهَا لَا تُفْلِحُ فَاجْتَمَعْتُ لِلرَّأْيِ وَالتَّشَاوُرِ
أَلَا أَقُومُ قَاصِدًا مُحَمَّدًا قَالُوا : أَبَا الْوَلِيدِ قُمْ إِلَيْهِ
لَعَلَّهُ يَقْبَلُ هَذَا مِنْكَ فَذَهَبَ الزَّعِيمُ حَتَّى الْمَسْجِدِ
فَقَالَ : يَا ابْنَ الْأَخِ أَنْتَ مِنَّا وَقَدْ أَتَيْتَ الْقَوْمَ بِالْعَظِيمِ
فَرَّقْتَ جَمْعًا وَرَمَيْتَ حِلْمًا كَانَ يَزِيدُ حُبَّهُمْ لِلرَّبِّ
فَتَتَهُمُ وَرَدَّهُمْ لِلْبَلْوَى فِي كُلِّ مَا تَسْلُكُهُ لَا تَنْجُحُ
فَقَالَ عُتْبَةُ لِكُلِّ حَاضِرٍ^(٣) لَعَلَّهُ يَقْبَلُ مَا مِنِّي بَدَا
كَلِمُهُ وَاعْرِضِ الْقَدَا عَلَيْهِ وَيَحْجُبُ الْأَذَى عَنَّا وَعَنَّا
حِينَ بِهِ قَامَ الرَّسُولُ الْمُهْتَدِي كَمَا عَلِمْتَ نَسَبَةً وَمَبْنَى
سَفَهَتْ فِيهِ سَادَةَ الْقَدِيمِ بِالطَّيِّشِ ثُمَّ قَدْ فَعَلْتَ ظُلْمًا^(٤)

★ ★ ★

(١) عزم الهجرة الى الحبشة ، فلما وصل برك الغماء لقيه ابن الدغنة ، وهو سيد مطاع في قبيلته (القارة) سأله إلى أين يا أبا بكر ؟ فأجابته : أخرجني قومي فأريد أن أخرج في الأرض أعبد ربي فقال ابن الدغنة مثلك يا أبا بكر لا يخرج ، وأنا لك جار فارجع واعبد ربك ببلدك . فرجع في جواره .

(٢) أي مكاناً يأمن فيه ولا يؤذى .

(٣) لكل حاضر : أي لكل من حضر المجلس .

(٤) بمفهوم الآباء والأبناء ، وإلا فالنبي مافعل ظلماً عليه السلام بل فعله منتهى العدل والسماحة .

قَالَ الرَّسُولُ : يَا أَبَا الْوَلِيدِ
فَقَالَ : إِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْمَالَ
نُعْطِيكَ حَتَّى تُصْبِحَ الْغَنِيًّا
وَإِنْ يَكُنْ هَذَا الَّذِي جِئْتَ بِهِ
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ ثُمَّ سَلَّمَ
أَفَدَّ فَرَعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟
تَم ثَلَا : آيَا مِنْ الْكِتَابِ
مِنْ فَصَّلْتَ ثَلَا النَّبِيُّ حَتَّى
وَعَادَ مَخْذُولًا إِلَى الرِّجَالِ
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ
وَاللَّهُ مَا كَانَ الَّذِي سَمِعْتُهُ
وَلَمْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ بِالْكَاهِنِ

قُلْ مَا تَرَى أَسْمَعُ بِالْمَزِيدِ
وَالْمُلْكُ وَالْعَطَاءُ وَالْعِيَالُ^(١)
فِينَا وَتَعْدُو سَيِّدًا رَضِيًّا
عَنْ مَرْضَى أَوْ جِنَّةً نُدَاوِهِ
عَلَيْهِ وَالصَّحَابِ مَا غِيَتْ هَمِي
قَالَ : نَعَمْ . لَمْ يَنْقُ مِنْ جَدِيدِ
ذِي النُّورِ وَالْهَدْيِ وَذِي الرِّحَابِ
نَاشِدُهُ عُتْبَةُ أَنْ يَتَّ^(٢)
إِذْ سَأَلُوا مَاذَا جَرَى ؟ فِي الْحَالِ
شَيْئًا ، وَلَا رَأَيْتُ ، لَا عَرَفْتُ
سِحْرًا وَلَا شِعْرًا وَقَدْ خَبِرْتُهُ
وَلَمْ يَكُنْ بِكَاذِبٍ أَوْ وَاهِنٍ

★ ★ ★

أَيَا قَرِيشُ !.. لِي فاجعلوها
وَاللَّهُ لَيَكُونَنَّ لَهُ مَكَانَةٌ
فَإِنْ تُصِيبُهُ الْعُرْبُ قَدْ كُفِيتُمْ
عِزًّا بِعِزِّهِ ، وَجَاهًا وَسَعَةً
قَالُوا : لَقَدْ بِسِحْرِهِ قُلِبْنَا

دَعَاؤُهُ ، خَلْوُهُ ، لَهَا ، خَلْوُهَا
وَقَوْلُهُ هَذَا سِغْلِي شَانَهُ
بِغَيْرِكُمْ وَإِنْ عَلَا لِقَيْتُمْ
وَلَنْ تَرَوْا مِنْ بَعْدِ نَصْرِهِ ضَعْفَهُ
عَنَّا ، وَوَاللَّهُ لَقَدْ غُلِبْنَا

(١) إشارة لقوله «يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا تقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك ربياً من الجن لا يستطيع رؤيه عن نفسك طلبنا لك الطيب وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى .»

(٢) من سورة فصلت وأن يتنا : أي ينقطع من الكلام وكان قرأ من قوله تعالى : . بسم الله الرحمن الرحيم رجم . تنزيل الكتاب من الرحمن الرحيم ... حتى قوله تعالى « قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة من السماء فإننا بما أرسلتم به كافرون .»

(٣) بعد أن سمع عبة منه القرآن . أمسك بغيره وناشده الرحم أن يكف عن ذلك ، فلما رجع إلى قومه سأله فقال : «والله لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر يامعشر قريش اطيعوني فاجعلوها لي ، خلوا بين الرجل وبيننا هو فيه فاعتزلوه ، والله ليكونن لكلامه الذي سمعت نبا فإن تصبه العرب فقد كفرتموه بغيركم . وإن يظهر على العرب فعزه عزكم . فقالوا : والله لقد سحرك محمد ...»

أَجَابَهُمْ : هذا هو الرأي الحسن رأيتُهُ ، وَإِنِّي لَمُؤْتَمِنٌ^(١)
إسلام حمزة :

وَعَاوَدَتْ قَرِيشُ لِلْأَذْيَةِ بِالْمُسْلِمِينَ اشْتَدَّتِ الْبَلِيَّةُ
وَكَانَ إِيْذَاءُ النَّبِيِّ سَبَبًا فِي نُصْرَةِ الدِّينِ ، فَرَّبِي وَهَبًا
لِلدِّينِ حِمَاةَ الشَّجَاعِ السَّيِّدَا إِذْ شَرَحَ اللَّهُ الْفَوَادَ وَهَدَى^(١)
فَذَاتَ يَوْمٍ بِالنَّبِيِّ حَدَّثَا وَعَنْ أَبِي جَهْلٍ ، وَمَاذَا أُحْدِثَا^(٢)
إِذْ أَنَّهُ آذَى النَّبِيَّ الْمُصْطَفَى وَمَا اسْتَحَى مِنْ قُرْبِهِ وَلَا آخَتَفَى
فَجَاءَ مُسْرِعًا إِلَى الْجَهْلُولِ يَقُولُ صَرْتُ تَابِعَ الرَّسُولِ
يَا جَاهِلًا كَيْفَ تَسُبُّ أَحْمَدَا وَإِنِّي فِي دِينِهِ حَيْثُ غَدَا
وَأَنْشَرَخَ الصَّدْرُ بِنُورِ الدِّينِ وَحُبِّ هَذَا الْمُصْطَفَى الْأَمِينِ
غَدَا الْقَرِيبُ نَاصِرًا مُؤَيَّدَا مُؤَاوِرًا مَدَافِعًا عَنِ الْهُدَى

الهجرة إلى الحبشة : / الأولى /

لَمَّا اسْتَمَرَّ الْجَهْلُ وَالْإِيْذَاءُ وَالْاضْطِهَادُ. الْمُسْلِمُونَ شَاوَرُوا^(٤)
أَنْ يَهْجُرُوا إِلَى مَكَانٍ آمِنٍ حُرٍّ، إِلَى ظِلِّ زَعِيمٍ ضَامِنٍ^(٥)
فَهَاجَرُوا الْأُولَى إِلَى التَّجَاشِي لِعَدْلِهِ فَرُّوا مِنَ الْأَوْشَاشِ^(٦)

(١) أي أقول قول من أؤمن على شيء .

(٢) هو حمزة بن عبد المطلب ، أسلم في السنة الثانية من البعثة . لازم النبي ﷺ وهاجر معه وقد آخى الرسول بينه وبين زيد بن حارثة استشهد في أحد وسماه النبي ﷺ سيد الشهداء .

(٣) بينما عاد من قصصه اقتربت من حصوله لعبد الله بن جدعان . وقالت : واذلاً يا بني عبد مناف . يا أبا عمارة ، لو رأيت مالقي ابن أخيك من أبي الحكم بن هشام (أبو جهل) وجده هنا جالساً فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ فغضب حمزة ثم انطلق إلى أبي جهل وقال : (أتشتمه !! فأنا على دينه ، أقول ما يقول فَرُدَّ علي ذلك إن استطعت .. وشرح الله صدره للإسلام فأسلم)

(٤) أي تهاجروا وهاجروا في الهجرة فراراً بدينهم ، وقد أشار عليهم رسول الله ﷺ بذلك قائلاً : «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم ...» فخرج عند ذلك المسلمون ابن هشام جـ ١

ص ٣١٥

(٥) أي مكان يأمنون فيه . وملك يمكنهم من عبادة ربهم ويضمن لهم الاعتداء عليهم وكان عدد المهاجرين عشرة رجال وخمس نساء

(٦) المقصود من التجاشي (الحبشة) . ومن الأوشاش (كفار مكة من سادة قريش)

مِنْ بَيْنَهُمْ عُثْمَانُ التَّقِيُّ وَزَوْجُهُ^(١)، وَعَامِرُ النَّقِيِّ^(٢)
 وَزَوْجُهُ لَيْلَى^(٣) وَأُمُّ سَلَمَةَ^(٤)
 ثُمَّ أَخُوهُ^(٥) ثُمَّ زَوْجُهُ^(٦) الَّتِي
 أَبُو حُذَيْفَةَ، كَذَاكَ هَاجِرًا
 وَزَوْجُهُ سَهْلَةُ بِنْتُ سَهْلٍ
 وَهَاجَرَتْ مُسْلِمَةً تَقِيَّةً
 وَكَانَ مِنْهُمْ ابْنُ عَوْفٍ أَيْضًا^(٩)
 وَابْنُ عُمَيْرٍ^(١١) وَفَتَى الْبَيْضَاءِ^(١٢)
 وَجُلَّهُمْ قَدْ انْتَهَى انْتِسَابًا
 قَدْ وَصَلُوا جَمِيعُهُمْ لِلْمَقْصِدِ
 وَلَمْ يَقِيمُوا هَجْرَةً طَوِيلَةً
 بَلْ رَجَعُوا عَنْ فِتْرَةٍ قَلِيلَةٍ^(١٥)

إِسْلَامُ عُمَرَ :

خِلَالَ ذَلِكَ أَسْلَمَ الْهُمَامُ ذُو الْجَاشِ وَالْفَتْوَةُ الْإِمَامُ

- (١) أي زوج عثمان بن عفان . وهي رقية بنت رسول الله ﷺ
- (٢) هو عامر بن ربيعة أحد الصحابة السابقين الى الدين .
- (٣) هي زوج عامر بن ربيعة
- (٤) أم سلمة الصحابية السابقة وزوجها أبو سلمة . وقد غدت أما للؤمنين بعد وفاة أبي سلمة (أي تزوج بها الرسول ﷺ)
- (٥) أي أخو أبي سلمة لأمه وهو أبو سبرة بن أبي رهم .
- (٦) أي زوج أخي أبي سلمة (أبو سبرة) واسمها أم كلثوم .
- (٧) هو أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة .
- (٨) زوج أبي حذيفة وهي سهلة بنت سهيل .
- (٩) هو عبد الرحمن بن عوف الصحابي المعروف كان من أغنياء الصحابة فيما بعد .
- (١٠) أي عثمان بن مظعون وكان أميرهم كما روى ابن هشام .
- (١١) هو مصعب بن عمير أحد كبار الصحابة والسابقين .
- (١٢) «فتى البيضاء» أي سهيل بن البيضاء من السابقين الى الاسلام .
- (١٣) هو الزبير بن العوام الصحابي المشهور الغني عن التعريف .
- (١٤) ورد في نور اليقين قوله (وجلهم من قريش) انظر الصفحة (٥٦)
- (١٥) رجعوا لا شيء إلا لكونهم من أشرف قريش ومعهم نساؤهم وهؤلاء لا يطيب لهم عيش في الغربة وهم قلة . ولا صحة كما أجمع رواة السيرة النبوية للقصة المتعلقة بالعرانق وأن النبي مال إلى كفار قريش (حاشاه ﷺ انظر تفاصيل القصة في كتب السيرة) .

آمَنَ بِاللَّهِ فَتَى الْخَطَّابِ
 قَدْ كَانَ أَحْمَدُ دَعَا مَوْلَاهُ
 مِنْ أَحَدِ الْاِثْنَيْنِ عَمْرُو الْهَاشِمِي
 وَبَيْنَمَا النَّبِيُّ وَالصَّحَابَةُ
 إِذْ جَاءَ يَطْلُبُ الدُّخُولَ فِيمَا
 وَقَالَ : إِنِّي شَاهِدٌ لِلذَّاتِ
 فَهَلَلُ الْحُضُورِ ثُمَّ كَبَرُوا
 قَدْ جَاهَرَ الْمُؤْمِنُ بِالصَّلَاةِ
 مَا زَالَ أَتْبَاعُ الْهُدَى فِي عِزَّةٍ
 وَرَبُّهُ لِلدِّينِ قَدْ هَدَاهُ
 كَلَّ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْصَابِ^(١)
 أَنْ يَنْصُرَ الدِّينَ بِمَنْ يَرْضَاهُ^(٢)
 أَوْ عُمَرَ الْمُطَاعِ ذِي الْمَعَالِمِ^(٣)
 فِي دَارِ ابْنِ الْأَرْقَمِ الْمَثَابَةَ
 أَتَى بِهِ النَّبِيُّ أَنْ يُقِيمَا
 وَلِلنَّبِيِّ كَافِرٌ بِاللَّاتِ
 إِذْ فَضَّلَ إِسْلَامَ الْفَتَى لَا يُتَكْرَرُ
 لَمَّا رَأَاهَا مَسَلَكَ النَّجَاةِ
 مُذْ عُمَرَاً مَوْلَاهُ قَدْ أَعَزَّهُ^(٤)
 وَنَصَرَهُ، وَلَمْ يَكُنْ قَلَاهُ

الحصار في شعب أبي طالب :

وَبَعْدَهَا ضَاقَتْ قُرَيْشٌ حِيلَةً
 مَا تَرَكْتَ شَيْئاً مِنَ التَّرْهيبِ
 إِلَّا وَكَأَنَّكَ تَسْلُكُ الطَّرِيقَا
 ثُمَّ أَنتَ عَبْدٌ مَنْفٍ آلَهُ
 فَعَرَضَتْ عَلَيْهِمُ الْفِدَاءُ
 ثُمَّ أَتَوْا لِلْعَمِّ قَائِلِينَ
 ابْنَ أَخِيكَ بَدَلًا فَعَجَبَا
 وَلَمْ تَجِدْ رَأْيًا وَلَا وَسِيلَةً
 وَلَمْ تَدْعُ نَوْعًا مِنَ التَّرْغِيبِ
 إِلَيْهِ حَتَّى لَوْ أَحَطَّ ضَيْقَا
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ وَعِيَالُهُ^(٥)
 بِالْمَالِ، فَأَبَوْا لَهُمْ إِرْضَاءً
 لَهُ نَعْطِيكَ ابْنَنَا فَأَعْطَيْنَا^(٦)
 مِنْ قَوْلِهِمْ هَذَا وَعَنْهُمْ رَغْبَا

- (١) هو عمر بن الخطاب العدوي القرشي .
 (٢) أي يرضاه الله ، وذلك أن رسول الله ﷺ كان يدعو الله قائلًا : «اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين عمرو بن هشام أو عمر بن الخطاب — وفي رواية بأحد العمرين إليك ..
 (٣) ذي المعالي : أي ذي العلامات الحسنة .
 (٤) في رواية البخاري . قال عبد الله بن مسعود : «مازلنا أعزة منذ أسلم عمر» .
 (٥) عرضوا على بني عبد مناف ورسول الله منهم دية مضاعفة ويسلمونه لهم فأبى بنو عبد مناف ذلك .
 (٦) وذلك أنهم أتوا أبا طالب قائلين نعطيك أحد أبنائنا وتسلمنا ابن أخيك .

قَالَ: أَتُعْطُونَ ابْنَكُمْ أَغْذُوهُ
وَاللَّهِ مَا ذَاكَ بِقَوْلِ الْحُرِّ
لَمَّا رَأَوْا أَنَّ لَا سَبِيلَ حَتَّى
كَادُوا لَهُ وَأَمَرَهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا
وَسَطَّرُوا صَحِيفَةً قَدْ عُلِقَتْ
وَكَانَ فِيهَا أَنَّ يُحَاصِرُوهُمْ
وَأَنْ يُضَيِّقُوا فَلَا يَبْعَ جَرَى
حَتَّى مُحَمَّدًا لَهُمْ يُسَلِّمُوا
وَانْحَارَ آلَ هَاشِمٍ جَمِيعُهُمْ
وَجَهَدَ الْقَوْمُ إِلَى أَنْ أَكَلُوا
أَعْدَاؤُهُمْ قَدْ مَنَعُوا التَّجَارَا
وَكُلَّ مَنْ مَالَ إِلَى النَّبِيِّ
أَمَّا مُحَمَّدٌ فَتَقَتَلُوهُ
وَلَا الشُّجَاعُ السَّيِّدُ الْأَبْرُ
ثُبَّتْ دَعْوَةُ النَّبِيِّ بَنَّا
عَلَى مَنَافٍ كُلَّهُمْ وَأَسْرَعُوا
فِي الْكَعْبَةِ الَّتِي لَدَيْهِمْ عُظِّمَتْ
وَيُخْرِجُوا لَهُمْ مَنْ نَاصَرُوهُمْ^(١)
وَلَا ابْتِيعَ مِنْهُمْ وَلَا شِرَا
وَيَرْجِعُوا عَنْ نَصْرِهِ وَيَنْدُمُوا
لِلشَّعْبِ إِلَّا «لَهَبًا» وَضِيعُهُمْ^(٢)
مِنْ وَرَقِ النَّخْلِ وَنَفْسًا بَذَلُوا
مَنْ أَنْ يَبِيعُوا كُلُّ مَنْ أَجَارَا^(٣)
مُؤَازِرًا، لِلصَّادِقِ الزَّكِيِّ

الهجرة الثانية إلى الحبشة :

مُحَمَّدٌ قَدْ أَمَرَ الْأَتْبَاعَا
يَعِينُ بَعْضُ بَعْضُهُمْ هُنَاكَ
إِلَى النَّجَاشِيِّ هِجْرَةً تِبَاعَا
فَيَأْمُنُونَ عِنْدَهُ الْهَلَاكََا^(٤)

★ ★ ★

فَهَاجَرُوا جَمِيعُهُمْ وَكَانُوا
سَبْعِينَ زَادُوا عَشْرَةً وَيَأْنُوا^(٥)

(١) أي حصار اقتصادي ، تجاري ، وحتى اجتماعي ، وذلك طمعاً في أن يتخلى بنو هاشم وبنو عبد المطلب وهما ولدا عبد مناف عن محمد ﷺ ونصرته .

(٢) خرج معهم حتى من لم يكن مسلماً ولا مؤمناً بدين محمد . وذلك لرابطة القرابة غير أن أبا هب وهو من بني عبد المطلب بقي مع قريش وكذلك اتخذ عنهم بنو عبد شمس وبنو نوفل وهما ابنا عبد مناف .

(٣) جهد القوم في الشعب حتى أكلوا ورق الشجر .

(٤) يعين بعضهم بعضاً فلا يشعرون بالغرابة . والهلاك المقصود به أذى قريش واضطهادهم .

(٥) كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً .

عَشْرُ نِسَاءٍ مَعَهُمْ وَزِدْنَ حَتَّى إِلَى الْعِشْرِينَ عَدًّا كَذَنَ (١)

★ ★ ★

مِنَ الرِّجَالِ جَعْفَرُ وَزَوْجُهُ
وَمِنْهُمْ الْمُقْدَادُ نَسْلُ الْأَسْوَدِ (٢)
أَيْضاً عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ (٣)
ثُمَّ أَبُو مُوسَى وَنَسْلُ عَمِّهِ
أَسْمَاءُ قَدْ طَابَ لَهَا خُرُوجُهَا (٤)
ثُمَّ ابْنُ مَسْعُودٍ جَمِيلُ الْمُقْصِدِ (٥)
وَزَوْجُهُ بِنْتُ النَّهْيِ وَالْجَاشِ (٦)
وَفَازَ مَنْ نَصَرَ الْهَدْيَ مِنْ هُمَا (٧)

★ ★ ★

وَأَرْسَلْتُ قُرَيْشُ وَفَدًا طَالِبًا
مَا أَفْلَحَ الَّذِينَ أَرْسَلْتَهُمْ
عَادُوا يَجْرُونَ الْأَسَى وَالْحَيْبَةَ
لِلْخَارِجِينَ بِالنَّجَاشِيِّ رَاغِبًا (٨)
إِلَيْهِ فِي هَذَا وَكَلَّفَتْهُمْ
وَالْمُسْلِمُونَ يَرْتَقُونَ هَيْبَةَ

نقض الصحيفة وفك الحصار :

دَامَ الْحِصَارُ شِدَّةً ثَلَاثَةَ
وَقَامَ خَمْسَةٌ مِنَ الْأَشْرَافِ
وَطَالَبُوا نَقْضَ الْكِتَابِ الظُّلْمِ
وَهُؤُلَاءِ هُمُ عَلَى التَّوَالِي
ثُمَّ أَغَاثَ اللَّهُ مَنْ أَغَاثَهُ (٩)
عَلَيْهِمْ حَمِيَّةُ الْأَخْلَافِ
وَمَنْ يَبُوءُ بِالْأَذَى وَالْإِثْمِ
هَشَامُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْمُثَالِي (١٠)

(١) هن ثمانى عشرة امرأة .

(٢) جعفر بن أبي طالب وزوجة أسماء بنت عميس .

(٣) هو المقداد بن الأسود

(٤) هو عبد الله بن مسعود .

(٥) عبيد الله بن جحش ويروى أنه تنصر فيها بعد وبقي في الحبشة .

(٦) هي أم جبيبة بنت أبي سفيان — أم المؤمنين فيما بعد .

(٧) أبو موسى الأشعري وبنو عمه من اليمن .

(٨) أرسلت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ومعهم بعض الهدايا الى النجاشي يكلمانه في رد هؤلاء .

(٩) أي أغاث نبيه محمداً ﷺ

(١٠) هشام بن عمرو بن الحارث العامري وهو أعظم بلاء في ذلك

ثُمَّ زَهِيرٌ^(١) وَكَذَلِكَ الْمُطْعِمُ^(٢)
فاجْتَمَعُوا بِأَحْسَنِ الثِّيَابِ
نَادُوا أَهْلَ مَكَّةَ حَرَامُ
مِنْ غَيْرِ أَكْلٍ فِي ثَنَائِ الشُّعْبِ
★ ★ ★

وَاللَّهُ لَا تَقْعُدُ حَتَّى تُخْلَقَا
قَالَ أَبُو جَهْلٍ لَهُ : كَذَبْتَا
فَهَتَفَ الْمُطْعِمُ قَدْ صَدَقْتُمَا
ثُمَّ أَتَى الصَّحِيفَةَ الْعَتِيقَةَ
وَفَرَجَ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْكَرْبَا
صَحِيفَةُ الظُّلَمِ وَثَمَّ تُمَزَّقَا^(٣)
فَقَالَ زُمْعَةُ : بَلْ أَنْتَ خُتْنَا
حَقٌّ وَصِدْقٌ كُلُّ مَا نَطَقْتُمَا
فَشَقَّهَا مُوَازِرًا صَدِيقَهُ
نَصْرًا لِمَنْ أَرْسَلَهُ وَحِبًّا

وفد نجران^(٤) :

بَعْدَ الْخُرُوجِ جَاءَ مِنْ نَجْرَانَ
حَتَّى النَّبِيُّ بَايَعُوا إِسْلَامًا
وَقَدْ وَمَا إِنْ سَمِعُوا الْقُرْآنَا
وَعَاهَدُوا أَنْ يَهْجُرُوا الْآثَامَا
★ ★ ★

وَعَدُّ الْوَفْدِ — رَوَوْا — عِشْرِينَ
وَكُلُّهُمْ آمَنَ بِالرَّحْمَنِ
كَانُوا لِلْإِسْطِطْلَاعِ قَادِمِينَ
وَبِالرَّسُولِ الْمُصْطَفَى الْعَدْنَانِ
★ ★ ★

(١) زهير بن أمية الخزومي ابن عاتكة عمة الرسول الأعظم .

(٢) هو المطعم بن عدي النوفلي .

(٣) هو زمعة بن الأسود الأسدي .

(٤) هو أبو البخري بن هشام الأسدي «العاص بن هشام بن الحارث بن أسد» .

(٥) الذي قال ذلك هو زهير بن أمية ، فبعد أن لبس حُلَّةً من الثياب طاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال : «يا أهل مكة أناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكت لاييعون ولايتاعون ، والله ! لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطمة الظلمة ...»

(٦) كان ذلك بعد الخروج من الشعب ، وكان الوفد من النصارى ممعوا بالنبي من مهاجري الحبشة وكانوا عشرين رجلاً تقريباً .

قَالَ أَبُو جَهْلٍ لَهُمْ مَا كَانَا
أَرْسَلَكُمْ تَسْتَطْلِعُونَ الْخَبَرَ
ثُمَّ صَبَّأْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِيَمَا
قَالُوا : سَلَامٌ أَيُّهَا الْجُهَّالُ
وَأَنْتُمْ أَيْضاً لَكُمْ مَا اخْتَرْتُمُوا
إِذْ قَالَ جَلَّ اللَّهُ ، عَزَّ قَوْلُهُ
«قَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا ... لَا نَبْتَغِي»
رَكِبَ كَأَنْتُمْ نَفْسَهُ أَهَائَا
قَوْمٌ لَكُمْ وَتَنْظُرُونَ النَّظَرَ^(١)
دَعَا إِلَيْهِ . جِئْتُمْ عَظِيمَا^(٢)
لَنَا الَّذِي اخْتَرْنَاهُ لَا الْجِدَالَ^(٣)
فَأَنْزَلَ اللَّهُ : لَقَدْ صَدَقْتُمُوا^(٤)
سُبْحَانَهُ ، لَا حَوْلَ إِلَّا حَوْلُهُ :
جَهْلًا ، وَلَا هَذَا لَدَيْنَا يَنْبَغِي



قَدْ كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي الْعَجْزِ
يَرْمُونَ أَشْرَفَ الْعِبَادِ مَرَّةً
وَمَرَّةً يَرْمُونَ بِالْكَهَانَةِ
وَذَاكَ شَأْنُ الْعَاجِزِينَ دَائِمًا
إِذْ فَقَدُوا الْحُجَّةَ عِنْدَ الرَّجْزِ
بِالسَّحْرِ أَوْ بِالشَّعْرِ صَرُّوا صَرَّةً^(٦)
ذَا النَّسَبِ الْعَالِي وَذَا الْمَكَانَةِ
مَا دَامَ حِقْدٌ فِي النُّفُوسِ قَائِمًا

عَامُ الْحُزَنِ

(١) وفاة خديجة^(٧)

مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ اخْتِبَارُ الرُّسُلِ وَالْمُؤْمِنِينَ ، رِفْعَةُ لِلْفَضْلِ^(٨)

(١) وذلك أن أبا جهل قال لهم «ما رأينا ركباً أحق منكم أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصباكم» .

(٢) أي شيئاً عظيماً في فعلكم هذا .

(٣) لأنهم أجابوه «سلام عليكم لاجتادكم لكم ما أنتم عليه ولنا ما اخترناه» .

(٤) أي صدق الله قوسم . فأنزل في سورة القصص : (الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به أنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين .. إلى قوله تعالى : (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ، وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) صدق الله العظيم .

(٥) إشارة للآيات الواضحات .

(٦) أي صيحة دون فائدة .

(٧) كان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين .

(٨) أي رفعة لدرجاتهم عند الله

فَتَّارَةٌ يَكُونُ الْاِخْتِبَارُ بِالْمَالِ ، أَوْ تَغِيبُ عَنْهُ الدَّارُ (١)
وَتَّارَةٌ بِالْأَهْلِ وَالْأَحْبَةِ وَفَارَازٌ مِنْ فِيهِ أَطَاعَ رَبَّهُ

★ ★ ★

بَعْدَ الْحِصَارِ بِقَلِيلٍ جَاءَ
إِذْ رَوْجُهُ خَدِيجَةٌ تُؤْفِيَتْ
فَلَمْ يَزَلْ يَذْكُرُهَا تَرَحُّمًا
لَا غُرُوَ فِي هَذَا وَلَا يُسْتَعْرَبُ
نَفْسًا بِهِ قَدْ صَدَّقَتْ وَآمَنْتْ
وَأَزْرَتْهُ خَفَفَتْ مِنْ حُزْنِهِ
وَجَاءَ أَوْلَادُ النَّبِيِّ مِنْهَا
مِنْهَا أُتَتْ بِنْتُ النَّبِيِّ زَيْنَبُ (٥)
رُقِيَّةُ (٧) ، وَالْقَاسِمُ الَّذِي بِهِ
وَأُمُّ كُلثُومٍ وَقَدْ تَزَوَّجَا
لِذَاكَ كَانَ حُزْنُهُ كَبِيرًا
نَبِينَا ، الْبَلَاءُ ثَلَاثُ الْبَلَاءِ (٢)
زَكِيَّةُ الْقَلْبِ ، بِنَفْسٍ أُرْضِيَتْ (٣)
أَوْ قُلْ ، وَفَاءٌ مِنْهُ أَوْ تَكْرُمًا
أَنْ يَذْكُرَ الزَّوْجُ النَّبِيَّ الْأَطِيبُ
مُذْ سَمِعَتْ مِنْهُ وَعَنْهُ مَا وَتَتْ (٤)
وَسَاهَمَتْ فِي نَصْرِهِ وَأَمْنِهِ
يَا رَبِّ ، فَارَضَ فِي السَّمَاءِ عَنْهَا
وَفَاطِمَةُ الَّتِي عَلَيَّ يَخْطُبُ (٦)
كُنِّي فِي مَعْشَرِهِ وَحِزْبِهِ
عُثْمَانُ مِنْهَا ، ذُو الضِّيَاوِذُو الْحَجِي
عَلَى الَّتِي كَانَتْ لَهُ نَصِيرًا

(٢) (وفاة عمه أبي طالب (٨) :

وَبَعْدَ شَهْرٍ زَادَ حُزْنُهُ ، فَقَدْ
هَذَا الَّذِي مَنَعَهُ مِنَ الْأَذَى
تُوفِّيَ الْعَمُّ النَّصِيرُ وَابْتَعَدَ
كَانَ وَقَدْ أَبْعَدَ عَنْ طَهِ الْقَذَى (٩)

(١) أي في الاختبار والمقصود أن البلاء تارة يكون بالمناخ وتارة بالنفس والأهل .

(٢) الامتحان والاختبار

(٣) أي رضية النفس بإيمانها بالله ورسوله

(٤) أي ما تأخرت ولا تخلفت

(٥) أي منها زينب وهي أكبر أولاده ﷺ تزوجها أبو العاص بن الربيع في الجاهلية وأعقب منها أمانة التي تزوجها علي كرم الله وجهه بعد وفاة فاطمة (رضي الله عنهما) كما ورد في بعض الروايات .

(٦) أي فاطمة زوج علي بن أبي طالب التي منها الحسن والحسين (رضي الله عن الجميع) .

(٧) رقية تزوجها عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ولما توفيت زوجها الرسول ﷺ بأم كلثوم ابنته الثانية (رضي الله عنها) .

(٨) كان ذلك فيما روي . بعد شهر تقريباً من وفاة خديجة .

(٩) المقصود أنه حماه من قریش ومكنه من الجهر بالدعوة .

لم يمكن الأعداء من محمده
أعماله عظيمة لا شكا
لكنه لم يشهد الشهادة
ولم يدعه وحده بمفرده
عن نصره القريب لا ما انفكا^(١)
وقد أتى الله بلا عبادة

★ ★ ★

قد حزن النبي حتى سُميَا
ذَا الْعَامُ عَامَ الْحُزْنِ ثُمَّ أَرْضِيَا

★ ★ ★

لما أبو طالب مات ، منه
ترميه بالتراب وهو سائر
وَمَرَّةً تَعْلُقُوهُ جَذَبَا
قريشُ نالت ، وتناعت عنه
وتضع الأوساخ وهو ناظرُ
له وصداً وأذى لا حبا
وقولهم : ياأنت هل يريدُ
وقد أتى الصديق قاتلاً لَهُم
نسخ القديم دينك الجديدُ
أَتَقْتُلُونَ طَاهِراً لَلَّهِ هَمْ

في الطائف :

قريشُ لَمَّا مِثْلَ هَذَا سَارَتْ
تَوَجَّهَ النَّبِيُّ نَحْوَ الطَّائِفِ
لَعَلَّهُ عِنْدَ ثَقِيفٍ يَأْمَنُ
فَيَنْصُرُوهُ عَلَى الْعُدَاةِ
وَفِي طَرِيقِ الْجَائِرِينَ جَارَتْ
يَسِيرُ مِنْ مَوْلَاهُ فِي لَطَائِفِ^(٢)
وَبَيْنَهُمْ نَشْرَ الْكِتَابِ يَضْمَنُ
مِنْ قَوْمِهِ الْقُسَاةَ وَالْجُفَاةَ

★ ★ ★

صَحْبُهُ زَيْدٌ إِلَى ثَقِيفٍ وَأَهْلُهَا فِي النَّسَبِ الشَّرِيفِ^(٣)

(١) لم ينطق أبو طالب بالشهادة حتى آخر لحظة من حياته ، رغم حرص رسول الله ﷺ على إسلامه وفيه أنزل الله تعالى في سورة القصص «إنك لأمهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين» .

(٢) الطائف : بلد في الجنوب الشرقي من مكة . والمقصود أنه سار في رعاية الله تعالى وعنايته .

(٣) هو زيد بن حارثة .

فَقَابَلَ الرَّسُولَ عَبْدَ لَيْلٍ
وَعَرَضَ الدِّينَ عَلَيْهِمْ فَأَبَوْا
لَمْ يَبْدُ خَيْرٌ قَطُّ مِنْ أَوْلَاءِ
وَحِينَ ذَاكَ طَلَبَ النَّبِيُّ
أَنْ يُكْتَمَ الْأَمْرُ بِهِ لَا تَعْلَمُ
فَمَا أَجَابُوهُ وَلَكِنْ أُرْسِلُوا
قَالُوا : اقْدِفُوا مَنْ جَاءَ بِالْحِجَارَةِ
فَفَعَلُوا حَتَّى الدِّمَاءُ سَالَا
وَزَيْدٌ يَذْرَأُ الْأَذَى بِنَفْسِهِ
حِلْمًا وَرِفْقًا دَائِمًا وَعَظْفًا
وَجَلَسَ النَّبِيُّ عِنْدَ كَرَمَةٍ
بِقُرْبِ بُسْتَانِ بَنِي رَبِيعَةَ
ثُمَّ دَعَا : اللَّهُمَّ أَشْكُو ضَعْفِي
أَشْكُو إِلَيْكَ مُرْسِلِي — الْهَوَانَا
رَبِّ إِلَيَّ مَنْ فِي الْوَرَى تَكِلْنِي
إِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ مِنْكَ غَضَبٌ
وَإِذَا رَأَاهُ وَلَدًا رَبِيعَةَ
رَقَا لَهُ فَأَرْسَلَا عَنْقُودًا

وَعَايِرُهُ مِنْ سَادَةِ الْقَبِيلِ^(١)
وَبِالْقَبِيحِ حَدَّثُوهُ وَتَبَّوْا^(٢)
إِذَا أَعْرَضُوا خَالًا عَنِ النَّدَاءِ
أَلَّا يُشَاعَ أَمْرُهُ الزَّكِيُّ^(٣)
قُرَيْشٌ كَيْمَا لِلْهَدَى لَا تَظْلِمُ
صَبِيَّانَهُمْ وَعَلَّمُوا وَأَعْلَمُوا .
وَعَرَقُوا لَهُ إِذَنْ مَسَارَةً
مِنْهُ ، وَجَهْلُ الْجَاهِلِينَ طَالَا
عَمَّنْ يَعِزُّ أَنْ تَرَى كَعْرَسِهِ^(٤)
وَقُوَّةً فِي دِينِهِ وَلُطْفًا
وَقَلْبُهُ قَدْ اسْتَفَاضَ رَحْمَةً^(٥)
أَعْدَاءُهُ أَلَى قُلُوبًا صَنِيعَةً
إِلَيْكَ — رَبِّ — يَا خَفِيَّ اللَّطْفِ^(٦)
فِي النَّاسِ — يَا مَنْ تَمْلِكُ الْحَنَانَا
هَلِكْتُ إِنْ لَمْ مِنْهُمْ تَقْلِنِي
فَلَنْ أَبَالِي هَجَرُوا أَمْ رَغِبُوا
وَشَاهَدَا زَيْدًا كَذَا صَنِيعَهُ^(٧)
مَعَ الْفَتَى عَظْفًا بِهِ وَجُودًا^(٨)

(١) رؤساء ثقيف وهم ثلاثة : عبد ياليل ومسعود وحبيب أولاد عمرو بن عبير الثقفي .

(٢) ردوا عليه رداً قبيحاً ولم يجد منهم نصرة .

(٣) طلب منهم أن لا يصل الأمر إلى قريش .

(٤) أي أصله وخلقه ونسبه .

(٥) شجرة الكرم كانت بجوار بستان له (عتبة وشيبة) ابني ربيعة وكانا من أعدائه .

(٦) وذلك أن رسول الله ﷺ دعا ربه فقال : «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين

أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري .. إن لم يكن بك غضب علي

فلا أبالي غيبتك رحمتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن

تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » . ابن هشام ج ٢ ص ٢٢ .

(٧) أي فعله .

(٨) أرسل العنقود مع غلام لهما يدعى عداس وقد أسلم .

أَخَذَهُ نَبِينَا وَقَالَ :
« بِاسْمِ إِلَهِ الرَّاحِمِ الرَّحِيمِ »
فَقَالَ عَدَّاسٌ لَقَدْ رَأَيْتُ
أَهْلَ الْبِلَادِ ذَاكَ لَمْ يَقُولُوا

فَسَأَلَ الرَّسُولُ مِمَّنْ أَنْتَ !
مَنْ نِينَوَى . أَجَابَهُ عَدَّاسٌ
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ
مِنْ قَرْيَةِ الصَّالِحِ يُونُسَ الْفَتَى ؟

فَقَرَأَ النَّبِيُّ فِي الْقُرْآنِ
قِصَّتَهُ ، فَأَسْلَمَ الْغُلَامُ

★ ★ ★

وقال إني قَادِرٌ مَكِينٌ
مَا شِئْتُ فِيمَنْ فَعَلُوا الْوَضِيعَا^(١)

فَقَالَ دَاعِيًا لَهُمْ : رَّاهُ
لَا يَعْلَمُونَ مَا أَنَا عَلَيْهِ
هَذِي صِفَاتُ الْمُجْتَبَى الْمُخْتَارِ
مِنْ ظَالِمِيهِ إِذْ عَلَيْهِ جَارُوا

قَابَلَهُمْ بِالْعَفْوِ وَالْوَدَادِ
حَتَّى قَضَى مِنْهُمْ عَلَى الْفَسَادِ

★ ★ ★

(١) وقد قيل ملك الجبال .

وَأَرْسَلَ اللَّهُ لَهُ مُوسَىٰ —————
فَأَنْصَتُوا لِلذِّكْرِ ثُمَّ انْصَرَفُوا
انطلقوا للجنِّ منذرينا
وَأَبْلَغُوهُمْ خَبَرَ الرَّسُولِ
جَنًّا أَتَوْهُ إِذْ رَأَوْهُ دَاعِيَا^(١)
مِنْ بَعْدِ مَا هَدَاهُمْ قَدْ عَرَفُوا
وَانْقَلَبُوا بِاللَّهِ عَارِفِينَ
مُحَمَّدٍ الْهَادِي إِلَى السَّبِيلِ

★ ★ ★

العودة الى مكة في جوار المطعم بن عدي^(٢)

وَبَعْدَ أَنْ عَادَ وَمَا اسْتَجَابَا
مَا أُمَكَّنَتْهُ مَكَّةُ دُخُولًا
لَأَنَّ أَهْلَ مَكَّةِ قَدْ عَلِمُوا
فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ نَحْوَ الْمُطْعِمِ
حَتَّىٰ إِلَى مَكَّةَ يَسْتَطِيعَا
فَقَبِلَ الْمُطْعِمُ أَنَّ يُجِيرَهُ
وَأَمَرَ الْأَبْنَاءَ أَنْ يَحْمُوهُ
حَتَّىٰ أَتَى النَّبِيَّ لِلْمَطَافِ
قُرَيْشٍ كَانَتْ تَسْأَلُ النَّصِيرَا
وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّنِي مُجِيرُ
وَوَصَلَ النَّبِيُّ بَعْدَ آمِنَا
لَهُ سِوَى عَدَّاسٍ ، ثُمَّ آبَا
وَلَا إِلَى دِيَارِهِ وَصُولًا
أَمَرَ ثَقِيفٌ ، ثُمَّ مَنَعَا عَزْمُوا
يَطْلُبُهُ إِجَارَةً وَيَحْتَمِي
دُخُولَهَا وَدِينَهُ يُشِيعَا
مِنْهُمْ وَيَرْضَىٰ فِعْلُهُ ضَمِيرُهُ
مِنْ جَوْرٍ مِنْ جَارٍ وَيَحْفَظُوهُ
بِرَفْقَةِ الْمُجِيرِ وَالْإِلَافِ
أَتَابِعَا نَرَاكَ أَمْ مُجِيرَا
حَتَّىٰ إِلَى دِيَارِهِ يَصِيرُ
لِبَيْتِهِ وَالشَّرْكَ بَاتَ وَاهِنَا

★ ★ ★

(١) جاءه الجن لما كان بنخلة . قال الله تعالى في سورة الأحقاف : وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ ، قَالُوا : أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ ، وَلُّوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ، قَالُوا : يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، وَمَنْ لَا يُجِبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . »

(٢) هو المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف

وَفَدُّ دَوْسٍ (١)

فِي مَكَّةَ أَتَاهُ وَفَدُّ دَوْسٍ عَلَيْهِمُ الطُّفِيلُ كَالرُّئِيسِ
كَانَ الطُّفِيلُ شَاعِراً لَبِيّاً ذَا فِطْنَةٍ وَحِنَكَةٍ، أَرِيّاً
اسْتَمَعَ الْقُرْآنَ ثُمَّ أَسْلَمَا وَنَحْوَ قَوْمِهِ كَذَاكَ يَمَّمَا

★ ★ ★

دَعَا لَهُمْ نَبِيّاً بِالْخَيْرِ وَقَالَ : يَارَبِّ اهْدِهِمْ لِلنُّورِ (٢)
فَأَمَّنُوا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ قَدْ رَضِيَ اللَّهُ الْكَرِيمُ عَنْهُمْ
وَأَقْبَلُوا مِنْ بَعْدِ لِمَدِينَةٍ حَيْثُ غَدَتْ بِأَحْمَدٍ حَصِينَةٍ

الْإِسْرَاءُ وَالْمَعْرَاجُ (٣) :

قَدْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنِ الْحَزِينِ هَادِي الْوَرَى بِرَأْفَةٍ وَلِينِ
مِنْ بَعْدِ مَا لَاقَاهُ مِنْ تَعْنُتٍ مِنْ قَوْمِهِ أَذَى وَمِنْ تَفَلُّتٍ
فَكَانَ أَنَّ أَسْرَى بِهِ الرَّحْمَنُ ذُو الْمُلْكِ فِي قُدْرَتِهِ الدِّيَانِ
عَلَى الْبُرَاقِ مِنْ فِتَاءِ الْمَسْجِدِ لَيْلاً إِلَى الْأَقْصَى الشَّرِيفِ الْمَعْبِدِ
أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَقَالَ : هَيَّا يَا أَحْمَدَ الْخَيْرِ اسْتَمِعْ إِلَيَّا
لَمَّا ارْتَقَى ظَهَرَ الْبُرَاقِ، طَارَا ثُمَّ إِلَى الْأَقْصَى الشَّرِيفِ صَارَا
إِذْ وَجَدَ الرُّسُلَ الْكَرَامَ صَفًّا وَكُلُّهُمْ بِالْمُجْتَبَى قَدْ حَفَا
وَقَدَّمُوهُ لِلصَّلَاةِ فِيهِمْ فَأَمَّهُمْ مُقَدِّمًا عَلَيْهِمْ —

(١) جاءه وهو بمكة هذا الوفد وعلى رأسه الطفيل بن عمرو الدوسي . ودوس هي عشيرة أبي هريرة الصحابي الجليل وكان الطفيل شاعراً لبيباً أسلم عند سماعه القرآن ثم ذهب الى قومه داعياً ومبشراً بالنور الجديد .

(٢) قال رسول الله ﷺ : (اللهم اهْدِ دَوْساً) .

(٣) كان ذلك قبل الهجرة الى المدينة . والإسراء والمعراج شيء تفضل به الله على نبيه ﷺ ، وخصه به دون الأنبياء .

وَكَانَ مِمَّنْ خَلَفَهُ الْخَلِيلُ
وَكَانَ مُوسَى فِيهِمْ وَعِيسَى
ثُمَّ ارْتَقَى الرَّسُولُ فِي السَّمَاءِ
رَأَى مِنْ الْآيَاتِ مَا لَا يُوصَفُ
مِمَّا رَأَى أَرْوَاحَ مَنْ قَدْ انْتَقَلَ
وَأَدَمًا أَبَا الْوَرَى جَمِيعًا
مَنْ نَسَلِهِ وَإِنْ رَأَى الْخَيْثَا
أُطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَثِيرِ
مِمَّا لِغَيْرِ أَحْمَدٍ لَا يُمَكِّنُ
وَجَاءَنَا مِنْ بَعْدُ بِالصَّلَاةِ

★ ★ ★

يَا أَيُّهَا الْمُرْتَابُ فِي ذِي الْقِصَّةِ
تَظُنُّ أَنْ رَبَّنَا سَيَعْجِزُ
وَهُوَ الَّذِي قَدْ سَيَّرَ النَّامُوسَا
وَمَنْ سِوَاهُ يَخْلُقُ الْإِنْسَانَا
وَمَنْ سِوَاهُ يُولِجُ الظَّلَامَا

★ ★ ★

لَا يَسْتَطِيعُ الْعَقْلُ أَنْ يُحِيطَا
أَكُلُّ مَا لَا تُبْصِرُ الْعُيُونُ
لَا وَالَّذِي قَدْ كَوَّنَ الْأَبْصَارَا

وَلَا تَطِيقُ الْكُلُّ أَنْ تُنِيطَا^(١)
رَجْمٌ مِنَ الْغَيْبِ؟ فَهَلْ يَكُونُ؟
وَكَوَّنَ الظَّلَامَ وَالنَّهَارَا

(١) أي يفرح إذا رأى من أولاده ذوي الأعمال الرفيعة ويحزن إذا رأى المسيئين منهم .

(٢) لأنه لا ينبغي لأحد أن يدعي مثل هذه الفضيلة .

(٣) وذلك لأن العقل عاجز محدود ، وملك الله وذاته لا يستطيع العقل أن يحيط بهما .

سُبْحَانَهُ سَلَّمَ لَهُ يَدَيْكَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ تَلَقَّاهُ إِلَيْكَ. (١)

★ ★ ★

مَنْ عَدِمَ سِوَى الْإِلَهِ الْكَوْنَا
أَلَا تَرَى الْيَوْمَ مِنَ الْأَثِيرِ
مُشَاهِدًا بَعِيدَةَ الْمَنَالِ
وَكَوَّنَ الْحَيَا.. أَلَا تَرَوْنَا (٢)
وَأَنْتَ جَالِسٌ عَلَى السَّرِيرِ (٣)
عُدْتُ قَدِيمًا مَسْرَحَ الْحَيَالِ!؟

★ ★ ★

حَقُّ هُمَا الْإِسْرَاءُ وَالْمَعْرَاجُ
إِذْ عَادَ فِي الصَّبَاحِ ثُمَّ أَخْبَرَا
أَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَحَالًا صَدَّقَا
وَصَفَّقَ الْجُهَّالُ ثُمَّ صَفَّرُوا
أَحْذَهُمْ قَالَ لَهُ كَأَنِّي :
أَنْتَ لِلْسَّمَاءِ قَدْ صَعَدْتَا
أَنْتَ زُرْتَ الْقُدْسَ بِالْعَشِيَّةِ
هُمَا لِخَيْرِ الْعَالَمِينَ تَاجُ.
قُرَيْشٍ بِالْأَمْرِ الَّذِي لَهُ جَرَى (٤)
فَوَادُّهُ وَوَجْهُهُ قَدْ أَشْرَقَا
صَدَّاءُ، وَثُمَّ أَوْعَدُوا، وَأَنْذَرُوا
أَرَى عَلَيْكَ طَائِفًا مِنْ جِنٍّ (٥)
فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَعُدْتَا
فَصِفْ لَنَا الْأَقْصَى. أَخَا الرُّضِيَّةِ (٦)

★ ★ ★

فَنَعَتَ النَّبِيَّ شَكْلَ الْمَسْجِدِ
قَدْ صَدَّقُوا الْوَصْفَ وَلَكِنْ قَالُوا
مَتَى رَأَيْتَ مَقْدِمَ الْجَمَالِ
مُفَصَّلًا، لَكِنْ وَمَنْ سَيَهْتَدِي!؟
عَيْرٌ لَنَا فِي الشَّامِ. قُلْ أَمَالُوا!؟..
تَسِيرُ هَذَا الْيَوْمَ فِي الرَّمَالِ

(١) أي تلقاه مقبلاً عليك ، وإليك بالخير والرحمة والمعونة .

(٢) الحيا : المطر .

(٣) أي بواسطة الراي (التلفزيون) .

(٤) جاءه أبو جهل فحدثه الرسول ﷺ بما جرى في تلك الليلة فنادى أبو جهل يا بني كعب بن لؤي فأقبل عليه كفار قريش فأخبرهم رسول الله ﷺ الخبر فصاروا بين مصفق ومصفر ومنكر

(٥) أي فيك مس من الجن - كما يزعم القائل .

(٦) أي يا صاحب النفس الرضية .. وقد وصف الرسول ﷺ المسجد باباً باباً وموضعاً موضعاً . وذلك أن الله تعالى جلّاه له وقد صدقوا وصفه .

فَقَالَ إِنَّهَا إِلَيْكُمْ قَادِمَةٌ حِينَ تَكُونُ الشَّمْسُ حَالًا قَائِمَةً
وَالْجَمَلُ الْأَوْرَقُ فِي الطَّلِيْعَةِ وَصَدَّقَتْ أَوْصَافُهُ الْبَدِيعَةَ

★ ★ ★

لَكِنَّ مَنْ أَعْمَتْهُمْ الْمَصَالِحُ لَمْ تُجِدْهُمْ أَدِلَّةَ صَحَائِحُ

العرض على القبائل :

وَابْتَدَأَ الْعَرْضُ عَلَى الْقَبَائِلِ فَبَعْضُهُمْ يَرُدُّ رَدًّا لُطْفًا شَدِيدَةً كَانَتْ بَنُو حَنِيفَةَ وَسَأَلَتْهُ «عَامِرٌ» أَنْ يَجْعَلَ فَقَالَ رَبِّي يَضَعُ الْأُمُورَ ثُمَّ أَتَى لَفْتِيَةَ مِنْ يَثْرِبَ وَيَثْرِبٌ قَدْ كَانَ فِيهَا الْخَزْرَجُ عَدَاوَةٌ قَائِمَةٌ بَيْنَهُمَا وَجَاوَرَ الْقَوْمَ يَهُودٌ مِنْهُمْ وَقَيْنِقَاعٌ وَبَنُو قُرَيْظَةَ عَادَتْهُمْ قَدِيمَةٌ فِي النَّقْضِ كَانَتْ لَهُمْ سَيْطَرَةٌ وَقُوَّةٌ أَبْنَاؤُهَا مِنْ قَبْلِ حَارِثُوهُمْ كَانَ الْيَهُودُ حِينَ يُخَذِّلُونَا لَكِنَّهُمْ لَمَّا أَتَاهُمْ أَحْمَدُ	وَسَيْلَةً كَانَتْ مِنَ الْوَسَائِلِ وَأَخْرُونَ شَدَّةً وَعُنفًا فِي رَدِّهَا وَلَمْ تَكُنْ لَطِيفَةً مُلْكًا لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَيَفْعَلًا ^(١) حَيْثُ يَشَاءُ، وَكَانَ بِي بَصِيرًا جَاءُوا قُرَيْشًا، رَغْبَةً فِي الْمَغْلَبِ ^(٢) وَالْأَوْسُ، وَالْحَرْبُ لَدَيْهِمْ ثَوَلَجُ قَدِيمَةٌ ضَارِيَةٌ عِنْدَهُمَا بَنُو النَّضِيرِ لَا تَسْلُنِي عَنْهُمْ إِنْ جَاءَهُمْ أَمْرٌ أَتَوْا بِغِيْضَةٍ بَلْ صَارَ هَذَا عِنْدَهُمْ كَالْفَرَضِ فِي يَثْرِبَ، ظُلْمًا كَذَا عُتُوَّةٌ حَتَّى لَهُمْ بِالْحَقِّ أَنْخَضَعُوهُمْ عَلَيْهِمْ بِهِ يُوَاعِدُونَا عَتَوْا وَجَارُوا عِنْدَهَا وَأَفْسَدُوا
---	--

★ ★ ★

(١) أي سأله بنو عامر أن يجعل الملك فيهم من بعده . أما بنو حنيفة وهم رهط مسيلمة الكذاب فكان ردهم أقبح الرد .
(٢) يثرب (وهو اسم) المدينة المنورة (في الجاهلية) تقع بين مكة والشام وهي مكان الهجرة للرسول الأعظم ﷺ .

تَنَاجَزَ الْحَيَّانِ فِي الْمَدِينَةِ
تَحَالَفًا مَعَ الْيَهُودِ، أَشْعَلَا
يَوْمَ بُعَاثٍ آخِرُ الْحُرُوبِ
ثُمَّ رَأَى الْأَوْسُ تَحَالَفًا مَعًا
فَيَمَّمُوا مَكَّةَ قَاصِدِينَ
فَجَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ وَقَالَا :
أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ، أَلَا تُشْرِكُوا
وَاللَّهَ قَدْ أَرْسَلَنِي لِلنَّاسِ
ثُمَّ تَلَا الْقُرْآنَ فِيهِمْ حَالًا
يَا قَوْمُ ! إِنَّهُ الْهُدَى وَالصَّدَقُ
قَامَ أَبُو الْحَيْسَرِ يَرْمِي تَرْبَهُ
فَلَمْ يَقُلْ إِيَّاسُ شَيْئاً بَعْدَهَا
وَبَعْدَ ذَلِكَ حِينَ جَاءَ الْمَوْسِمُ
عَدَدُهُمْ قَدْ قِيلَ نَحْوَ سِتَّةٍ
بَلْ أَسْلَمُوا جَمِيعُهُمْ وَعَادُوا
وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّهُ
فَآمِنُوا بِهِ لَا يَسْبِقَنَّكُمْ
ثُمَّ وَلِلنَّبِيِّ حَالاً قَالُوا :
فَإِنْ هَدَاهُمُ الرَّحْمَنُ جَمْعاً

وَأَعْمَلَا الشَّتَاتِ وَالضَّغِينَةَ
حَرْباً أَتَتْ عَلَيْهِمْ، وَأَثْقَلَا
بَيْنَهُمْ، وَالْقَتْلِ وَالْهُبُوبِ
قُرَيْشَ حَتَّى وَزَرَ حَرْبٍ تُوضَعَا
هَذَا، وَحَلَفَ النَّصْرِ طَالِبِينَ
هَلْ لَكُمْ أَحْسَنَ مِنْ ذَا حَالَا؟
وظلمكم كذاك أيضاً فتركوا
كلهم بِالْخَيْرِ وَالْإِيَّاسِ
وَعِنْدَهَا إِيَّاسُ مِنْهُمْ قَالَا : (١)
وإنه خير لنا وَحَقُّ
يَقُولُ : مَا كُنَّا بِهَذَا نَأْبَهُ (٢)
وَلَمْ يَفْهَمْ بِأَيِّ حَرْفٍ عِنْدَهَا
تَعَرَّضَ الرَّسُولُ بَعْضاً مِنْهُمْ
مَا جَادَلُوهُ فِي الْمَقَالِ الْبَتَّةِ (٣)
بِأَمْرِهِ عَلَى هُدَاهُ انْقَادُوا
صِدْقٌ، وَقَدْ مَنَنْتَ يَهُودُ مَنَّةً (٤)
يَهُودُ نَحْوَهُ فَيَغْلِبَنَّكُمْ —
قَوْمٌ لَنَا عَلَى الْعَنَاءِ مَا زَالُوا
فَلَا أَعَزَّ مِنْكَ بَعْدُ سَمْعَا



(١) هو إياس بن معاذ الخزرجي .
(٢) هو أبو الحيسر (أنس بن رافع) . خزرجي أيضاً — تربه : صديقه .. تأبه : نهم لأنه قال لصاحبه : (دعنا منك لقد جئنا
لغير هذا) .
(٣) البتة : بمعنى أبداً — وهؤلاء كلهم من الخزرج .
(٤) أي كانت يهود تمني نفسها بالنصر عليكم ، وبالإيمان به .

مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ كَانَ رَافِعٌ ^(١) وَأَسْعَدٌ ^(٢) وَعَوْفٌ كُلُّ سَامِعٍ ^(٣)
 وَقُطْبَةُ ^(٤) وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ^(٥) وَجَابِرُ الْكَرِيمِ فِي الْمَصَادِرِ ^(٦)
 وَكَانَ هَذَا أَوَّلَ الْبِشَارَةِ وَزَادَ رَبِّي بَعْدَهَا انْتِصَارَهُ ^(٧)

بيعة العقبة الأولى :

إِذْ بَعْدَ هَذَا جَاءَهُ الرَّجَالُ عَشْرَةٌ أَتَاهُ وَقَدْ الْخَزَرَجِ فَاسْعَدٌ مِنْهُمْ فَتَى زُرَّارَةَ ^(٨)
 وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ ^(٩) وَعُقْبَةُ ^(١٠) كَذَا عِبَادَةَ ^(١١) مَعَ ابْنِ ثَعْلَبَةَ ^(١٢)
 أَمَّا مِنَ الْأَوْسِ فَقَدْ أَتَاهُ وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ النِّسَاءِ
 مِنْ يَثْرِبَ ، نَحْوَ هَذِهِ مَالُوا
 وَاثْنَانِ مِنَ أَوْسِ كِرَامِ الْمَخْرَجِ
 وَعَوْفٌ وَأَخُوهُ ذُو الْجِدَارَةِ ^(١٣)
 ذَكْوَانُ ^(١٤) أَيْضاً جَاءَهُ وَقُطْبَةُ ^(١٥)
 وَابْنُ عِبَادَةَ يَنَالُ مَطْلَبَةَ ^(١٦)
 عُوَيْمٌ ^(١٧) وَابْنُ التَّيْهِانِ ثَلَاثًا ^(١٨)
 جَمِيعُهُمْ مِنْ غَيْرِ مَارِيَاءَ ^(١٩)

-
- (١) هو رافع بن مالك بن عامر من بني زريق .
 (٢) هو أسعد بن زرارة من بني النجار .
 (٣) هو عوف بن الحارث من بني النجار أيضاً .
 (٤) هو عقبة بن عامر من بني سلمة .
 (٥) هو قطبة بن عامر من بني حرام .
 (٦) هو جابر بن عبد الله من بني عبيد بن عدي .
 (٧) أي انتصار محمد لله ودينه .
 (٨) أسعد بن زرارة سبق التعريف به .
 (٩) عوف بن الحارث وأخوه معاذ .
 (١٠) رافع بن مالك .
 (١١) عقبة بن عامر بن زيد بن حرام .
 (١٢) ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق .
 (١٣) قطبة بن عامر .
 (١٤) عباد بن الصامت .
 (١٥) يزيد بن ثعلبة .
 (١٦) هو العباس بن عباد .
 (١٧) عويم بن ساعدة .
 (١٨) أبو الهيثم بن التيهان .
 (١٩) مراءاة وتفاخر .

أَنْ يَعْْبُدُوا اللَّهَ وَآلَا يُشْرِكُوا
جَزَاؤُهُمْ . إِنْ أَخْلَصُوا الْإِيمَانَ
وَإِنْ أَتَوْا شَيْئاً فَإِنَّ الْأَمْرَ
وَكَانَتِ الْبَيْعَةُ عِنْدَ الْعُقْبَةِ
وَالْفَحْشَ وَالزَّوْنَى جَمِيعاً يَتْرَكُوا
خَيْرٌ وَإِنْ لَمْ يَفْتَرُوا بُهْتَانَا
لِلَّهِ فِيهِمْ خَفِيَّةٌ وَجَهْرًا
وَيَسِّرَ اللَّهُ لِمَا قَدْ رَغِبْنَا^(١) -



فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ فِيهِمْ مُصْعَبًا
كَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أُمٍّ
نَتِيجَةُ الدَّعْوَةِ فِي الْمَدِينَةِ
كَذَا أَسِيدٌ وَلَدُ الْحُضَيْرِ
انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِي الْبُيُوتِ
مُعَلِّمًا وَدَاعِيًا مُؤَدِّبًا^(٢)
مَكْتُومٌ أَيْضًا ذُو النَّهْيِ وَالْعِلْمِ^(٣)
إِسْلَامُ عَبْدِ الْأَشْهَلِ الرَّزِينَةِ^(٤)
هَدَاهُ رَبِّي بِالْهُدَى وَالْخَيْرِ^(٥)
حَتَّى غَدَا الْحَدِيثُ فِي النَّعْوَةِ^(٦)

بيعة العقبة الثانية :

وَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الْحَجِّ جَاءُوا
وَبَيْنَهُمْ مِمَّنْ هُمْ لَمْ يُسَلِّمُوا
فَقَابَلَ الرَّسُولُ وَفَدًا وَخَدَهُ
أَمْرُهُمْ إِلَّا يُنَبِّهُوا عَلَى
إِلَيْهِ إِذْ بِالَّذِينَ قَدْ أَضَاءُوا
بَعْدُ ، وَأَوْتَانَا لَهُمْ لَمْ يَهْدُمُوا^(٧)
لَيْلاً — أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ عَبْدَهُ
خَبَرَهُمْ مَنْ لَيْسَ فِيهِ دَخَلًا^(٨)

(١) وهذه هي بيعة العقبة الأولى .

(٢) هو مصعب بن عمير — روى البخاري عن البراء بن عازب قال : « أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فجعلنا يقرئنا القرآن .. » مختصر ابن كثير ج ١ ص ٦٢٩ .

(٣) عبد الله بن أم مكتوم . ابن خالة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنهما . فيه نزلت سورة (عبس وتولى ...) وكان ضيقاً استخلفه النبي ﷺ على المدينة في بعض الغزوات . وفي بعض الروايات أنه لم يرسل الا مصعباً فقط .

(٤) بنو عبد الأشهل ، هم بطن من الأوس .

(٥) هو أسيد بن الحضير .

(٦) أي كان حديث البيوت هو الإسلام . ونعوته أي صفاته وميزاته .

(٧) كان ممن جاء الموسم من لم يسلم بعد كاهن أبي وغيره .

(٨) أمرهم أن لا يوقظوا نائماً وأن لا ينتظروا غائباً كي لا تعلم قريش بالأمر ، كان عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين .

عَسَى قَرِيشٌ لَا ، بِهَذَا تَخْبِرُ
وَبَعْدَ أَنْ حَجُّوا إِلَيْهِ عَادُوا
اجْتَمَعُوا زَادُوا عَلَى السَّبْعِينَ
أَغْلَبَهُمْ مِنْ خَزَرَجٍ قَدْ كَانُوا
وَأَفْقَهُمْ رَسُولُنَا هُنَاكَ
أَمْرٌ وَيَضْمَنُ الْقَرِيبُ نَصْرًا
وَبَعْدَ أَنْ خَاطَبَهُمْ عَبَّاسُ
وَعُقِدَتْ بَيْنَهُمْ جَمِيعًا
قَالُوا اشْتَرِطَ اللَّهُ مَا أَرَدْتَ
فَقَالَ : اللَّهُ بِأَنْ تَوْحَّدُوا
وَاللَّبِّي تَمْنَعُوهُ مِمَّا
مَتَى قَدِمْتُ نَحُوكُمْ تَوَازَرُوا
أَجَابَ بَعْضُهُمْ فِيهِ قَالَا :
إِنَّ الرِّجَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْنَا ذَاكَ
أَمْ تَتْرُكُ الْأَنْصَارَ ثُمَّ تَرْجِعُ
فَقَالَ : لَا بَلْ إِنَّهُ الدَّمُ الدَّمُ
فَبَايَعَ الرِّجَالَ — كَانَ أَوَّلًا

فَتَحَكَّمُ الرَّأْيَ ، وَجَهْلًا تُظْهِرُ
تَسْلًا وَلِلنَّبِيِّ انْقَادُوا
بَيْنَهُمْ ثِنْتَانِ قَدْ رَضِينَ
وَبِالْهُدَى وَلِلنَّبِيِّ دَانُوا
وَمَعَهُ الْعَبَّاسُ كَيْ يُحَاكَ (١)
لَابِنِ أَخِيهِ وَيَشُدُّ أُرَا
عَلَاهُمْ الْوِدَادُ وَالْحِمَاسُ (٢)
فَمَا تَرَى فِيهِمْ سِوَى مُطِيعَا
وَأَنْتَ قُلْ لَنَا الَّذِي رَغِبْتَ (٣)
وَالَّذِي عَلَيْكُمْ تُسَدِّدُوا
نِسَاءَكُمْ قَدْ تَمْنَعُونَ هُمَا
وَتَنْصَرُونَ ، بِالْهُدَى تَجَاهِرُوا
هَلْ لَكَ ، إِنِّي سَائِلٌ سَوَالًا
عَهْدٌ ، وَإِنَّا قَاطِعُوهُ دُونَهُمْ
ثُمَّ ظَهَرْتَ بَيْنَنَا تَرَاكَ — ؟! .
وَهَذِهِ الْبَيْعَةُ حَالًا تُرْفَعُ (٤)
هَذَا إِذَا أَرَدْتُمْ سَأْفِدِمُ (٥)
مَنْ بَايَعُوهُ أَسْعَدَ وَقَدْ ثَلَا (٦)



(١) كان معه عمه العباس بن عبد المطلب ، وهو على دين قومه أراد أن يحضر أمر ابن أخيه ليكون متوفقاً له .

(٢) خطب فيهم العباس عم رسول الله ﷺ . معروفاً بابن أخيه ، مبيتاً مكاتته في نفوس أهله ، فأجابته البراء بن معرور وكان كبيرهم .

(٣) أي اشترط لنفسك ما أردت ولربك ما فرض علينا .

(٤) قال له الهيثم بن التيهان : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال عهداً وإننا قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ ! ...

(٥) قال عليه الصلاة والسلام : وقد تبسم لابن التيهان « الدم الدم والمدم المدم » .

(٦) « قال ابن اسحاق : بنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده ﷺ (أي بايعه) وبنو عبد الأشهل يقولون بل أبو الهيثم بن التيهان .. وفي رواية أخرى البراء بن معرور » . ابن هشام ج ٢ ص ٤٣ .

اختار الرسول منهم رجالا . من بينهم أشرفهم مثالا —
فتسعة من خَزَرَجِ النقباء
ثلاثة أيضاً أتوا من أوس
هم الكرام فهم والرُقَباء (١)
أهل الهدى والطهر في النفوس

★ ★ ★

قال الرسول : إنكم أنصاري
فخبرت قريش ذلك الخبرا
فأنكر الأنصار أن يكوئوا
والمشركون منهم قد أقسموا
وابن أبي رأسهم يقول :
غيط على العتاة والفجار
فخرجت لتنظر الذي جرى (٢)
أتوا بهذا أو لهم يكوئوا
لهم وقالوا : إنهم ما أسلموا
ما كان قومي بالألى يحولوا (٣)

★ ★ ★

قد رجع الأنصار بالإيمان
وأظهر الإسلام في المدينة
قلوبهم كالصف في البنيان
والله فيها قد أعز دينه

★ ★ ★

أما رسول الله والأصحاب
إذ علمت قريش أن حلفا
فأمر الرسول من أتاه
فقال : يا من آمنوا بي هاجروا
فهاجروا سراً لكي لا يمتنعوا
وهاجرت من بعد بعل أم
فعندهم قد شدد العذاب
جرى عليهم ما أحاطت وصفا
مصدقاً بالحق إذ دعاه
ليثرب ، ومكة فعادروا
من هجرة لله ثم يرجعوا
سلمة ، وغاب عنها هم

(١) النقباء هم : أسعد بن زرة ، سعد بن الربيع ، عبد الله بن رواحة ، رافع بن مالك ، عبد الله بن عمرو بن حرام ، عبادة ابن الصامت ، سعد بن عبادة ، المنذر بن عمر بن خنيس ، أسيد بن الحضير ، رفاعة بن عبد المنذر بن عوف بن مالك ، سعد ابن خيثمة ، أبو الهيثم بن التيهان .

(٢) ذكر ابن هشام أن قريش علمت الخبر (خبر البيعة) فتبعته الأنصار فأدركت منهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو . أما المنذر فاستطاع الهرب وأما سعد فأخذ إلى مكة ثم أجاره جبير بن مطعم بن عدي .

(٣) يحولوا : أي يهتروا ما بيننا وبينهم .

إِذْ قَوْمَهَا قَدْ وَقَفُوا لِلْمَنْعِ
لَكِنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَا خَلَوْهَا
وَتَابَعَ الْمُهَاجِرُ الْمُهَاجِرَا
مُدَّ حَمَلَ الْإِيمَانِ وَسَطَ الْقَلْبِ
مَا هُم نَأْيٍ مَضَى وَبُعْدُ
قَدْ هَاجَرُوا لِمَوْطِنٍ يُقَامُ
لَمْ يَبْقَ فِي مَكَّةَ إِلَّا الْقَلَّةُ
يَوَدُّ لَوْ فِي رَكْبِهِ قَدْ التَّحَقُّقُ

★ ★ ★

ظَلَّ أَبُو بَكْرٍ كَذَا عَلَيَّ،
قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا مُهَاجِرُ
لَعَلَّ رَبِّي لِي بِهِذَا يَأْذَنُ
فَحَبَسَ الصَّدِيقُ نَفْسَهُ عَلَى
فَعَلَّفَ اثْنَيْنِ مِنْ بَيْنِ الْإِبِلِ
وَبَقِيَ الصَّدِيقُ فِي أَنْتَظَارِ

فِي مَكَّةَ وَزَيْدُ الرِّضِيِّ
قَالَ الرَّسُولُ: اصْبِرْ فَإِنِّي صَابِرُ
ثُمَّ نَسِيرُ بَعْدَهَا وَنَأْمَنُ
صُحْبَةٍ مِنْ رَبِّي بِهِ تَكْفُلَا
بِفَعْلِهِ كَانَ النَّبِيُّ قَدْ قَبِلَ
حَتَّى أَتَى الْإِذْنَ مِنَ الْغَفَّارِ

القسم الثالث
الهجرة إلى المدينة

تساور قريش في دار الندوة^(١) :

واجتمعت قريش في النوادي لَمَّا رَأَتْهُ ظَلَّ فِي أَرْيَادِ
وَسَمِعَتْ بَيْعَةَ الْأَنْصَارِ لِأَحْمَدِ وَالذُّودِ بِالذِّيارِ

★ ★ ★

في دارِ ندوةٍ لهم تجمعوا تَبَادَّلُوا الْأَرَاءَ ثُمَّ أَجْمَعُوا
تساوروا فيما سَيَصْنَعُونَا في أمر هذا ما سيفعلونا
فقال منهم قائل : نُخْرِجُهُ من أرضنا وعندها نُحْرِجُهُ
فَرَفِضَ الرَّأْيَ لِأَنَّ النَّاسَ يجتمعون حَوْلَهُ أَجْناسًا
فقال آخر : إِذَنْ نَحْبِسُهُ مُقَيَّدًا . وَقَطُّ لَا نُجْلِسُهُ
لَمْ يَقْبَلُوا الرَّأْيَ . وقالوا : نَعْلَمُ أَنْصَارُهُ هَذَا وَحَالًا نَعْزِمُ
محمداً يَفْدُونَ بِالْحَيَاةِ والنفس والبنين والبنات

وذاك رُبَّمَا يَجْرُ حَرْبَا عنها غَدُونَا فِي غِنَى ، وَكَرْبَا
فقال طاغِيَهُمْ إِذَنْ نَقْتُلُهُ هذا هو الرأي الذي نفعلُهُ
وَنَمْنَعُ الْأَهْلَ مِنَ الشَّارِ أَرَى دماءه في القوم أن تبعدوا
من كُلِّ قَوْمٍ نَنْتَقِي قَوِيًّا يَأْتِي لِدَارِ أَحْمَدٍ عَشِيًّا
حَتَّى إِذَا مِنْ دَارِهِ قَدْ خَرَجَا يَضْرِبُهُ الْكُلُّ . فقالوا فَرَجَا
سَبِيلَنَا .. وَبَعْدَ لَا تُطِيقُ مَنَافُ حَرْبِ الْقَوْمِ أَوْ تَرِيقُ
فَتَأْخُذَ الدِّيَاتَ مِنْ جَمِيعِ مَنْ شَارَكُوا الْيَوْمَ بَذَا الصَّنِيعِ

(١) دار الندوة هي دار لقهي بن كلاب . تجتمع فيها قريش للداول في المهمات من الأمور . وكان ممن حضر دار الندوة . يومها : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وطعيمة بن عدي ، وجبير بن مطعم ، والحارث بن عامر ابن نوفل ، والنضر بن الحارث بن كلدة ، وأبو البخري بن هشام ، وزمعة بن الأسود بن المطلب ، وحكيم بن حزام ، وأبو جهل بن هشام ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن سهم ، وأمية بن خلف . كما حضر الشيطان على صورة رجل شيخ من أهل نجد . ابن هشام ص ص ٦٨ — ٦٩ ج ٢ .

ومكروا مكرهم جميعاً وأذن الله له بالهجرة
فأعلم النبي خطّة الألى وربنا كان بهم سميعاً
وَأَذَنَ اللَّهُ لَهُ بِالْهَجْرَةِ قَدْ دَبَّرُوا وَاللَّهُ فَوْقَهُمْ عَلَا
وَرَبَّنَا كَانَ بِهِمْ سَمِيعًا لِلْبُعْدِ عَمَّنْ يَتَغَوَّنَ غَدْرَهُ

هجرة الرسول الأعظم:

فأطلع النبي من ساعته صديقه الراغب في رفقه
على الذي هم بأن يفعلوه وقد رأى الغداة أن يعملوه
فقال: هل لي أن أكون صاحباً لكنتُ دوماً في رضاك راغباً
قال: نعم، فجهّز الجهازا وخذ من الأعداء لك احترازاً
فجهّز الزاد كذا الرواحلا واستأجراهاد، أنيل نائلاً
يدعى بعبدالله نجل الأرقط ومن بني الدليل، وذا للأحوط (١)
قد وعداه غار ثور ليلاً بعد ثلاث. وعداه ميلاً (٢)

★ ★ ★

ويصنع الزاد وفي الجراب تلقه صاحبة الحجاب
نطاقها أسماء شقت شطرا وربطت فيه الجراب فخراً (٣)
فدعيت لذلك بين القوم ذات النطاقين غدث لليوم

★ ★ ★

وفارق الرسول ضمن وعد صديقه. ليلاً وعند بُعد (٤)
قريش همّت عندها بالعزم لكي ترى ماخططت بالحزم
قد جمعت في باب الفتيانا فحول داره غدوا عيانا

(١) هو عبد الله بن أريقط .

(٢) أي ميلاً اليه ووصولاً لمكانه الذي ينتظرهما فيه .

(٣) هي أسماء بنت أبي بكر . وقد لقت بذات النطاقين لذلك

(٤) هذا ما ورد في نور اليقين .

محمّد كَانَ مُقِيمًا فِيهَا وَكَانَ عَالِمًا بِهِمْ نَبِيَّهَا
فَعِنْدَمَا حَانَ الْخُرُوجُ قَالَا عَلَيَّ! أَلَا أَقِمُ تَطْبَ مَا لَا (١)
لِيَدْفَعَ الشُّكَّ كَذَا وَالرِّيْبَةَ وَاللَّهُ وَحْدَهُ كَلَا حَبِيْبَهُ
وَهُمْ إِذَا مَادَقَقُوا الْأَنْظَارَا مِنْ الْعِبَابِ وَجَدُوا الْمُخْتَارَا

★ ★ ★

وَبَعْدَ أَنْ غَطَى عَلِيًّا وَخَرَجَ كَانَ النَّعَاسُ فِي الْعُيُونِ قَدْ وَلَجَ
لَمْ يَرِهِ الْفَتَيَانُ لَمْ يَشَاهِدُوا إِذْ خَرَجَ الشَّهْمُ الْكَرِيمُ الْمَاجِدُ
تَلَا النَّبِيُّ قَبْلَهَا الْقُرْآنَا فَمَا رَأَى فِي وَجْهِهِ إِنْسَانَا
وَضَنُّهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَزَلْ فِي دَارِهِ وَذَاكَ رَأْيِي مَنْ زَلَّ

★ ★ ★

مَضَى مُحَمَّدٌ إِلَى أَنْ قَابَلَا صِدِّيقُهُ وَثَمَ سِرًّا وَاصِلَا (٢)
حَتَّى إِلَى الْغَارِ الَّذِي شَرَّفَهُ نَبِيُّنَا بِالْمَكِثِ قَدْ أَتَخَفَهُ (٣)
إِذْ وَصَلَا فِي سَاعَةٍ إِلَيْهِ وَدَخَلَا، فَفَرَّخَتْ عَلَيْهِ (٤)
حَمَامَةٌ، وَنَسَجَتْ خِيوطَا عَنكَبَتَةً، تَوَدُّ أَنْ تَحُوْطَا
فَكَانَ أَنْ أَغْنَتْ عَنِ السِّيُوفِ وَعَنْ رِجَالِ السَّاحِ وَالْحَتُوفِ
إِنْ أَدْرَكَتْكَ رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ بِالْعَوْنِ لَا تَخَفُ مِنَ الْعَدَوَانِ
عَنَايَةُ اللَّهِ إِذَا أُدْرِكْتَا بِهَا، وَبِالتَّأْيِيدِ إِنْ لُحِظْتَا
فَلَنْ تَذُوقَ فِي الْحَيَاةِ مَرًّا وَلَنْ تَرَى شَيْئًا عَلَيْكَ ضَرًّا
فَالْمُشْرِكُونَ عَلِمُوا أَنَّهُمْ ضَلُّوا وَخَابَ أَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ

(١) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : « نَمَّ عَلَى فَرَاشِي وَتَسَجَ بِيْرِدِي الْحَضْرَمِي الْأَخْضَرُ فَنِمَ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ

تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنَامُ فِي بَرْدِهِ إِذَا نَامَ » .

(٢) قَالَ ابْنُ اسْحَقَ : فَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخُرُوجَ أَتَى أَبَا بَكْرَ بْنَ أَبِي قُحَافَةَ فَخَرَجَا مِنْ خَوْخَةٍ لِأَبِي بَكْرٍ فِي ظَهْرِ

بَيْتِهِ ... » .

(٣) الْغَارُ هُوَ غَارُ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ .

(٤) لَمْ يَذْكُرْ ابْنُ هِشَامٍ قِصَّةَ الْعَنكَبُوتِ وَلَا الْحَمَامِ .

تبينوا أنهم الحراس
 هاجوا انتظاراً بعدها وماجوا
 زادوا كثيراً عندها الجوائز
 ووصلوا للغار لكن أغميت
 في حينه الصديق قال : لو نظر
 أجابه النبي لا تخف ولا
 مع النبي ... معنا لن يصلوا
 عند علي ... رأيهم إفلاس
 وأرسلوا في الأرض حين احتاجوا
 لكل من يأتي عليه حائزاً^(١)
 قلوبهم ، وصرفت وأغفيت
 أخذهم أمامه بنا بصر
 تحزن ، فإن الله جل وعلا
 إلي .. للغار هم لن يدخلوا

★ ★ ★

أمية يقول ما في الغار
 فيه أقاما بعدها أياما
 فابن أبي بكر بيت فيه
 يخرج من غارهما في السحر
 ثم إذا ما اختلط الظلام
 يأتيهما بخبر الكفار
 وعامر يروخ بالأغنام
 من رجل قط ولا من جار
 ثلاثة زيدا بها إكراما
 أيضا وأمر المصطفى يخفيه
 إلى قريش راجعا بالخبر^(٢)
 والناس في مكة بعد ناموا
 ثم بيت بينهم في الغار
 يخفي عليهم أثر الأقدام^(٣)

★ ★ ★

وخرجوا بعد انقطاع الطلب
 صبح ثلاث ركبا وسارا
 لأحقهم سراقه بن مالك
 وبعد أن جاء الدليل للنبي^(٤)
 ميممين يثرب الأنظارا
 يطلبهم فسار في المهالك^(٥)

(١) جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم .

(٢) كان عبد الله يخرج من الغار وقت السحر الى مكة فيغدو كمن بات فيها . ثم يعود وقت الظلام والنوم الى الغار مخبراً المهاجرين الكريمين بأخبار مكة .

(٣) هو عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٤) أي بعد أن أتاهم عبد الله بن أرقط الذي استأجره ليكون لهما دليلاً .

(٥) سراقه بن مالك بن جعشم ينتهي نسبه ببني مدلج بن زهرة .

فرسُهُ سَاخَتْ بِهَا الْأَقْدَامُ لَمْ يُجِدِهِ الْقِتَالُ وَالْإِقْدَامُ
فَطَلَبَ الْأَمَانَ مِمَّنْ قَدْ أَتَى قَبْلَ قَلِيلٍ يَتَّبِعِيهِ إِذْعَتَا
وَعَدَهُ رَسُولُنَا بِالْخَيْرِ فَلَمْ يَنْلُ سُرَاقَةً مِنْ ضَيَّرَ^(١)
وظَهَرَتْ عِنَايَةُ الْكَرِيمِ رَبِّ الْعِبَادِ الْقَادِرِ الْعَلِيمِ
بِأَحْمَدِ رَسُولِهِ الْأَمِينِ أَنْعَمَ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ مَعِينِ
وَحَابَ كُلُّ مَنْ لَهُ قَدْ أَضْمَرَ شَرًّا وَعَادَ خَاسِرًا لِلْقَهْقَرَى

النزول بقباء^(٢) :

مَنْ بَعْدَ سَيْرٍ بَلَعًا قُبَاءَ وَشَاءَ رَبِّي وَخَبَدَهُ مَا شَاءَ
كَلْثُومَ بْنِ الْهَدَمِ قَدْ أَضَافَهُ رَأَى النَّبِيَّ وَرَأَى عَفَافَةَ^(٣)
ثُمَّ بَنَى الرَّسُولُ فِيهَا مَسْجِدًا أَسَّسَهُ بِالْخَيْرِ وَعَلَى الْهُدَى
فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ الْمَسَاجِدِ وَقَدْ بَنَاهُ لِلْعَلِيمِ الْوَاحِدِ
وَعَمَلَ الرَّسُولُ فِيهِ يَدَهُ وَالْمُسْلِمُونَ سَاهَمُوا فِي مَسْجِدِهِ
وَسَارَ مَنْ بَعْدُ إِلَى الْمَدِينَةِ حَيْثُ بِهَا اللَّهُ أَعَزَّ دِينَهُ
فَلَا تَسْلُ عَنْ فَرْحَةِ الْأَنْصَارِ كِبَارِهِمْ فِي ذَاكَ وَالصِّغَارِ
تَزَاحَمُوا عِنْدَ زِمَامِ النَّاقَةِ مَا وَجَدُوا إِلَى الزَّحَامِ طَاقَةَ
حَفَّ الرِّجَالُ الْخَيْرِ بِالسُّيُوفِ إِذْ تَقَرَّعُ النِّسَاءُ بِالذُّفُوفِ
وَارْتَفَعَتْ: قَدْ طَلَعَ الْهَلَالُ وَالتَّوَرُّ وَالطُّهْرُ كَذَا الْجَمَالُ^(٤)

(١) أسلم سراقه بن مالك بعد فتح مكة إذ لقي رسول الله ﷺ في الجعرانة كما ذكر ابن هشام في ج ٢ ص ٧٨ .

(٢) نزل بقباء على بني عمرو بن عوف وكان ذلك بعد ثلاثة عشر عاماً من البعثة .

(٣) ونزل أبو بكر الصديق على خبيب بن أساف . أما علي رضي الله عنه فقد أقام بمكة ثلاث ليال حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ فنزل معه على كَلْثُومَ بْنِ هَدَمٍ .

(٤) كان نشيدهم :

« طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا لله داع
أيا المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع »

يَا مَرْحَبًا بِمَنْ أَتَى مُطَاعًا فَازَ الَّذِي مُحَمَّدًا أَطَاعَا

★ ★ ★

وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَى دِيَارٍ يَسْمَعُ صَوْتَ الْأَهْلِ وَالْأَنْصَارِ
هَلَمَّ وَانْزَلَ وَأَقَامَ بِالْيَمَنِ وَالنَّصْرِ وَالْقُوَّةَ لَا بِالْوَهَنِ
وَكُلُّهُمْ يَأْمِلُ أَنْ يَحُلَا يَامَرْحَبًا بِأَحْمَدٍ وَأَهْلَا

★ ★ ★

وَيَبْسُتُمُ النَّبِيَّ ثُمَّ يَشْكُرُ أَصْحَابَهُ، حُبَّ الْجَمِيعِ يُضْمِرُ
ثُمَّ يَقُولُ: نَاقَتِي مَأْمُورَةٌ لَا تَجْعَلُوهَا بَيْنَكُمْ مَأْسُورَةٌ

الخطبة الأولى له (ﷺ):

وَوَصَلَ النَّبِيُّ دَارَ سَالِمٍ^(١) فَأَذْرَكَهُ جُمُعَةُ الْمَكَارِمِ
فاجتمع الأصحابُ للصلاة هُنَاكَ خَلَفَ طَاهِرِ الصِّفَاتِ
وخطبَ النبيُّ فيهم خطبةً كانت هي الأولى لديه رتبةً
ذَكَرَهُمْ بِاللَّهِ فِيهَا قَائِلًا: يَمْضِي الْفَتَى عَنِ الْحَيَاةِ رَاحِلًا
حَتَّى إِلَى اللَّهِ يَكُونُ السَّيْرُ وَيُبْصِرُ الشَّرُّ هُنَا وَالْخَيْرُ
لَيْسَ أَلَنَ اللَّهُ كُلَّ عَبْدٍ أَسَاءَ أَمْ أَحْسَنَ بَعْدَ الْقَصْدِ
أَلَا اتَّقُوا اللَّهَ بِشِقِّ تَمْرَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهَا كَجَمْرَةٍ
مَنْ يُحْسِنِ الْأَعْمَالَ يُجْزَى ضِعْفُهَا وَالنَّفْسُ فِي الْمَعَادِ مَا أَخْفَاهَا

(١) نزل ﷺ في بني سالم بن عوف .

الاقامة عند أبي أيوب الأنصاري :

وَمَالَتْ النَّاقَةُ نَحْوَ خَالِدٍ فَنَزَلَ النَّبِيُّ فِي دِيَارِهِ
فَنَزَلَ النَّبِيُّ فِي دِيَارِهِ تَوَارَدَتْ لِذَارِهِ الْهَدَايَا
تَوَارَدَتْ لِذَارِهِ الْهَدَايَا وَلَمْ يَكُنْ فِي يَثْرِبٍ سَعِيدُ
وَلَمْ يَكُنْ فِي يَثْرِبٍ سَعِيدُ أَقَامَ عِنْدَ خَالِدٍ حَتَّى بَنَى
أَقَامَ عِنْدَ خَالِدٍ حَتَّى بَنَى فَتَى النَّدَى وَالطُّهْرَ وَالْمَحَامِدِ^(١)
فَتَى النَّدَى وَالطُّهْرَ وَالْمَحَامِدِ^(١) فَطَابَ فِي ضَيْفِ الْهُدَى وَجَارِهِ
فَطَابَ فِي ضَيْفِ الْهُدَى وَجَارِهِ حَبًّا بِمَنْ أَتَاهُ وَالْعَطَايَا
حَبًّا بِمَنْ أَتَاهُ وَالْعَطَايَا مَثَلُ ابْنِ زَيْدٍ، لَمْ يَكُنْ رَغِيدُ
مَثَلُ ابْنِ زَيْدٍ، لَمْ يَكُنْ رَغِيدُ مَسْجِدُهُ الْمُضِيِّءُ ثُمَّ الْمَسْكَنَا
مَسْجِدُهُ الْمُضِيِّءُ ثُمَّ الْمَسْكَنَا

المجتمع المسلم في المدينة :

وَعَمَّرَ النَّبِيُّ فِي الْقُلُوبِ مُكُونًا مُجْتَمَعًا مُوَحَّدًا
مُكُونًا مُجْتَمَعًا مُوَحَّدًا وَكَانَ أَنْ أَخَى مَعَ الْأَنْصَارِ
وَكَانَ أَنْ أَخَى مَعَ الْأَنْصَارِ وَأَظْهَرَ الْأَنْصَارُ فِيهِ الْجُودَا
وَأَظْهَرَ الْأَنْصَارُ فِيهِ الْجُودَا أَحَبَّ كُلُّ مُسْلِمٍ أَخَاهُ
أَحَبَّ كُلُّ مُسْلِمٍ أَخَاهُ حَتَّى يُوَدَّ لَوْ يُشَاطِرُ الْأَخَا
حَتَّى يُوَدَّ لَوْ يُشَاطِرُ الْأَخَا أَنْ يُؤَثِّرَ الْمُقِيمُ مَنْ أَتَاهُ
أَنْ يُؤَثِّرَ الْمُقِيمُ مَنْ أَتَاهُ



وَأَظْهَرَ الْمُهَاجِرُ التَّعَفُّفَا وَمَا اسْتَفْلَ هَذِهِ تَكْفُفَا
وَمَا اسْتَفْلَ هَذِهِ تَكْفُفَا فَبَعْضُهُمْ قَالَ لِمَنْ أَرَادَا
فَبَعْضُهُمْ قَالَ لِمَنْ أَرَادَا إِعْطَاءَهُ وَأَضْمَرَ الْوُدَادَا

(١) هو خالد بن زيد (المكنى : بأبي أيوب الأنصاري) وهو ما اشتهر به . وقد دفن في الآستانة في استامبول بعد حصار المسلمين لها أيام خلافة معاوية بن أبي سفيان . ذلك أن الناقة بركت على باب مسجده (أي في المكان الذي اتخذ مسجداً ﷺ) وهو يومئذ مرید «لغلامين يتيمين من بني النجار وهما لي حجر معاذ بن عفرأ ... فاحتمل أبو أيوب رجل رسول الله ﷺ فوضعه في بيته فنزل عليه الرسول ﷺ » .

(٢) أخذ رسول الله ﷺ بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : هذا أخي كما أخي بين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة ، وبين معاذ بن جبل وجعفر بن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق مع خاتمة بن زهير وبين عمر بن الخطاب وعثمان ابن مالك .. وهكذا .

يَا بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْذِّيَارِ وَالْعِيَالِ
أَخِي !. أَلَا أُرْشِدْتَنِي لِلسُّوقِ حَتَّى أُوَدِّيَ الْبَغْضَ مِنْ حُقُوقِي
فَدَلَّهُ أَخُوهُ ثُمَّ تَاجَرَا وَصَارَ لِلذِّينِ بِمَالٍ نَاصِرَا

★ ★ ★

خَيْرُ دِيَارٍ أَضْحَتِ الْمَدِينَةُ مِنْ بَعْدِ أَعْوَامٍ مَضَتْ حَزِينَةُ
لَمْ يَبْقَ حَرْبٌ بَيْنَ سُكَّانِهَا بَلْ كُلُّهُمْ بِاللَّهِ قَدْ تَوَلَّهَا
وَأَصْبَحُوا كَالْجَسَدِ الْمَوْحِدِ إِنَّ أَنْ عَضُو بَاتَ كَالْمُسْهَدِ
كَذَاكَ بَيْنِي أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ وَيَفْعَلُ الْأَتْبَاعُ وَالْأَنْصَارُ

بدء الأذان :

كَانَ يُنَادِي النَّاسَ لِلصَّلَاةِ بِالْقَوْلِ : يَا نَاسُ إِلَى الصَّلَاةِ
إِنَّ الصَّلَاةَ لِلْقُلُوبِ جَامِعَةٌ وَتَسْتَجِيبُ كُلَّ أُذُنٍ سَامِعَةٍ
وَتَارَةً يَأْتِي اجْتِمَاعُ النَّاسِ عَفْوًا لِلْقِيَا الْقَوْمِ وَالْإِنْسَانِ

★ ★ ★

حَتَّى لَقَدْ هَمَّ النَّبِيُّ صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّ الْكَوْنِ حَيْثُ حَلَا
أَنْ يَنْعَثَ الْبَغْضَ إِلَى الْآطَامِ يَدْعُونَ لِلصَّلَاةِ وَالْقِيَامِ
لَكِنَّهُ قَالَ : أَلَا أَشِيرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلَا أَشِيرُوا
حَتَّى ابْنُ زَيْدٍ جَاءَ فِي الْعَدَاةِ (١) يَقُولُ : أُرْشِدْتُ إِلَى الصَّلَاةِ
لَقَدْ أَتَانِي طَائِفٌ فِي النَّوْمِ يَقُولُ : خَبِّرْ أَمْرًا لِلْقَوْمِ
وَدَلَّنِي عَلَى النَّدَاءِ مِثْلَمَا قُلْتُ لَكُمْ . وَقَدْ سَمِعْتُهُ كَمَا

★ ★ ★

(١) هو عبد الله بن زيد .

قَالَ الرَّسُولُ : إِنَّمَا رُؤْيَاهُ
مَنْ ذَلَّهُ عَلَى النَّدَاءِ حَقًّا
عَلَّمَ بَلَّالًا ، إِنَّهُ الْأَذَانُ
وَصَارَ بَعْدَ ، تِلْكَ تِلْكَ بَلَّالُ
وَقَدْ رَأَى الْمَنَامَ أَيضًا عُمَرُ
حَقٌّ وَصِدْقٌ وَلَقَدْ أَتَاهُ
وَكَانَ حُلْمُهُ نَدًى وَصِدْقًا
أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ الْمَنَانُ
مُؤَذِّنًا . وَطُيِّبَ الْمَالُ
فُزِفَ لِلْأَصْحَابِ مِنْهُ الْخَيْرُ



لَقَدْ غَدَا الْإِسْلَامُ فِي أَمَانٍ
لَوْلَا الْيَهُودُ وَالْمَنَافِقُونَ
نِفَاقُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ وَالرِّيَّةُ
وَرَضِيَ النَّبِيُّ مِنْهُمْ ظَاهِرًا
وَأَوْثَقَ الْعَهْدَ مَعَ الْيَهُودِ
وَدِينُهُمْ أَقْرَبُ مُحَمَّدُ
وَأَنْ يُنَاصِرُوهُ فِي الشَّدَائِدِ
فِي يَثْرِبٍ وَالنَّاسُ فِي أطمئنانٍ
وَمَنْ تَشْهَدُوا وَيُطِئُونَ^(١)
وَسَعْيُهُمْ نَمِيمَةٌ وَغَيْبَةٌ
وَلِلْعَلِيمِ أَوْكَلَ الضَّمَائِرَ
أَنْ لَا يُنَاجِزُوهُ بِالْجُنُودِ
لَهُمْ عَلَى أَنْ لَا عَلَيْهِ يَعْتَدُوا
فَمَا رَعَوْا عَهْدًا مَعَ الْمُعَاهِدِ

مشروعية القتال :

إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَكْرِ ثُمَّ قُوَّةُ
وَالْحَقُّ إِنْ لَمْ يَمْلِكِ السِّلَاحَ
لَكِنَّمَا سِلَاحُهُ لَا لِلْأَذَى
وَأِنَّمَا لِلرَّدِّ وَالْحِمَايَةِ
فَالَّذِينَ لَمْ يُنْشَرِ بِحَدِّ السَّيْفِ
وَالَّذِينَ لَمْ يُجْبَرْ عَلَى الْهِدَايَةِ
لَكِنْ مِنْ وَاجِبِهِ أَنْ يَضْمَنَّا
تَطْبِيقُهُ يَسِيرُ نَحْوَ هُوَّةُ
لَا يَمْلِكُ الْقِيَامَ وَ النَّجَاحَا
وَالْإِعْتِدَاءَ ، وَالْفُسَادَ .. لَا لِذَا
مَنْ عَلَيْهِمْ تَعْمَلُ الْعَمَايَةِ
بِالظُّلْمِ وَالْأَذَى وَلَا بِالْخَيْفِ
مَا كَانَ ذَا لِلَّذِينَ قَطُّ غَايَةً
لِمَنْ أَتَاهُ مَسْكَنًا وَمَأْمَنًا

(١) تَشْهَدُوا : نطقوا بالشهادة لفظاً لا حقيقة .

سِلَاحُهُ فِي كَفِّهِ مِصْبَاحُ يُنِيرُ فِي الدَّرْبِ كَمَا الصَّبَاحُ
لَكِنَّ مَنْ يَبِيدُهُ قَدْ مَسَا مِصْبَاحُهُ بِالْبَغْيِ أَوْ قَدْ جَسَا
مَنْ وَهَجِهِ، مَنْ يَعْتَدِي سَيَخْتَرِقُ وَالنُّورُ فِي الْمِصْبَاحِ دَوماً مُؤْتَلِقُ

★ ★ ★

إِذْ يَخْتَمِي بِالسَّيْفِ كُلُّ مُهْتَدٍ ثُمَّ يُرَدُّ الْكِدُ نَحْوَ الْمُعْتَدِي
مَا دَامَ لَمْ يُرْغَمْ عَلَى الْإِيمَانِ فَلِيَحْمَ بَعْدَ دَوْحَةِ الْقُرْآنِ

★ ★ ★

فَالْمُشْرِكُونَ مِنْ قَرِيشٍ وَقَفُوا ضِدَّ الْهُدَى وَفِي أَذَاهُ أُسْرِفُوا
فَأَخْرَجُوا النَّبِيَّ وَالْآتِبَاعَا عَنْ مَكَّةَ، لَا مَلِكَ، لَا مَتَاعَا
وَبَدَّوْا بِالْجَوْرِ وَالتَّعْذِيبِ وَالصِّدِّ وَالْأَذَى وَبِالتَّكْذِيبِ
أَلَا يَحِقُّ بَعْدَهَا أَنْ يُخْرَجَا دِينَ النَّدَى يَحْمِي الْهُدَى وَيُنْجَا

★ ★ ★

لِذَاكَ أُذِنَ اللَّهُ الرَّحِيمُ لِلْمُسْلِمِينَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ^(١)
أَنْ يَرْفَعُوا الرُّمَحَ بِوَجْهِ الْمُعْتَدِي لِيَعْتَلي فِي الْأَرْضِ صَوْتُ الْمَسْجِدِ

★ ★ ★

وَقَالَ رَبِّي: جَلُّ، فِي الْقُرْآنِ وَلَمْ يَزَلْ أَرْحَمَ بِالْإِنْسَانِ
« وَقَاتِلُوا » فِي ... اللَّهُ ... إِنَّ اللَّهَ مُحْزٍ الَّذِي بِالْكَفْرِ قَدْ تَنَاهَى^(٢)
قَرِيشُ كَانَتْ تُرْسِلُ الْقَوَافِلَا تِجَارَةً لِلشَّامِ كَنَى ثَوَاصِلَا
وَالرَّكْبُ فِي تِجَارَةٍ يُسَمَّى غَيْرَا يُحِيطُ فِيهِ مَنْ أَلْمَا

(١) وضع الاذن بالقتال موضع التنفيذ في شهر صفر على رأس اثني عشر شهراً من هجرة النبي ﷺ . / فقه السيرة / د . سعيد رمضان البوطي .

(٢) إشارة لقوله تعالى: « وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْدِينَ » البقرة الآية (١٩١) . وقوله تعالى: « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » سورة الحج الآية (٣٩) .

وَكَانَ لَا بُدَّ لِكُنْيِ تَصْيِيرًا لِلشَّامِ أَنْ يَيْثُرِبَ تَسِيرًا
لِذَا رَأَى الرَّسُولُ أَنْ يَعْتَرِضًا قَافِلَةَ الْقَوْمِ وَقَدْ كَانَ ارْتَضَى
مُصَادِرًا لِلْمَالِ عِنْدَ الْعِيرِ كَيْمَا يَعُودَ فِيهِ لِلْفَقِيرِ
عُقُوبَةً لِلْمُشْرِكِينَ جَمْعًا لِكُلِّ مَنْ صَدَّ وَضَاقَ ذَرْعًا

★ ★ ★

فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ فِي سَرِيَّةٍ حَمْرَةَ ذَا النُّهْيِ وَذَا الْحَمِيَّةِ^(١)
عَلَى ثَلَاثِينَ مِنَ الرِّجَالِ قَدْ عَقَدَ اللَّوَاءَ لِلْهِلَالِ
أَمْرَهُمْ أَنْ يَقْفُوا لِلْقَافِلَةِ وَقَدْ أَتَتْ مِنَ الشَّامِ نَاقِلَةً
فِيهَا أَبُو جَهْلٍ كَبِيرُ الْقَوْمِ كَأَنَّهُ عَنِ الْهُدَى فِي نَوْمِ

★ ★ ★

فَسَارَ حَمْرَةَ لِبَعْضِ السَّاحِلِ وَصَادَفَ الْعِيرَ أَتَتْ فِي نَائِلِ
فَحَجَزَ الْقِتَالَ مَجْدِي الْجَهْنِي وَلَمْ يُرِدْ إِلْقَاءَهَا فِي الْمَحْنِ
فَانصَرَفُوا... وَشَكَرَ النَّبِيُّ مَجْدِي لِأَنَّهُ هُوَ النَّهْيُ

★ ★ ★

وَبَعْدَ هَذِي بَعَثَ الرَّسُولُ عُيَيْدَةً وَهَمُّهُ الْوُصُولُ
لِلْعِيرِ.. لَا الْقِتَالَ وَالْحُرُوبُ مَاكَانَ فِي ذَا يَرْغُبُ الْحَبِيبُ
فَعَادَ أَيْضًا دُونَ أَنْ يَنَالَ عَيْرًا لَهُ مَاتَرَكْتَ مَجَالًا

★ ★ ★

فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ مَاتَ صَاحِبُ لِلدِّينِ وَالرَّسُولِ لَا يُغَالِبُ

(١) ذكر ابن هشام سرية عبيدة بن الحارث قبل سرية حمزة بن عبد المطلب وقال : إنها أول راية عقدتها الرسول ﷺ ... ثم قال

بعد ذلك : ان البعض يقول : إن سرية حمزة هي قبل سرية عبيدة ..

انتهت سرية حمزة الى سيف البحر . حيث حجز بينه وبين أبي جهل مجدي بن عمرو الجهني فلم يكن قتال .

عُثْمَانُ تَرْبُ أَحْمَدُ فِي الْبَادِيَةِ أَخُوهُ فِي الرِّضَاعِ عِنْدَ الْحَانِيَةِ
هُوَ ابْنُ مَظْعُونٍ كَرِيمِ الْخُلُقِ وَالْمُسْلِمُ الَّذِي أَتَى بِالسَّبْقِ
كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ثُمَّ دَفَنَهُ فَعَلَّمَ الْأَتْبَاعَ فِي ذَا سُنَّتِهِ

مِنْ قَبْلِ بَدْرِ قَدْ غَزَا نَبِينَا ثَلَاثَ غَزَوَاتٍ بِهَا مُبِينَا
أَنَّ الْقِتَالَ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَصْدِهِ فِيهَا كَذَاكَ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَعْدِهِ
« وَدَانُ »^(١) أُولَى مَاغَزَا النَّبِيُّ ثُمَّ « بَوَاطُ » قَادَهَا النَّقِيُّ^(٢)
وَبَدْرُ الصُّغْرَى، وَكَانَ قَبْلَهَا « عَشِيرَةُ » الْعِظْمَى وَجَاءَ
بَعْدَهُ^(٣)

سَرِيَّةٌ قَدْ قَادَهَا ابْنُ جَحْشٍ مُبْتَعِداً عَنِ رِبْيَةٍ وَفَحْشٍ^(٤)

★ ★ ★

فِي ذَلِكَ الْعَامِ أَتَتْ فَرَائِضُ مِنْ رَبَّنَا مَنْ ذَا الَّذِي يُعَارِضُ
مِنْهَا الصِّيَامُ وَالزَّكَا لِلْمَالِ وَالْبَذْلُ قَبْلَ الْفِطْرِ لِلْعِيَالِ
وَأَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى الْأَقْوَامِ فِي شَهْرِ الْقِيَامِ بِالصِّيَامِ
وَحَوَّلَتْ قِبْلَتُهُ مَنْ يُصَلِّي مِنْ مَسْجِدِ الْقُدْسِ لَكِي يُؤَلِّي
وَجْهًا إِلَى مَكَّةَ لَا لِلْقُدْسِ وَكَانَ رَبِّي عَالِمًا بِالنَّفْسِ
فَطَبَّلَ التَّفَاقُ ثُمَّ زَمَرَا لَكِنَّهُ مَائَالٌ مَا قَدْ قَدَّرَا

(١) أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ فِي (وَدَان) قَرِيشًا وَبَنِي ضَمْرَةَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كَثَّانَةَ فَوَادَعَهُ جَحْشُ بْنُ عَمْرِو الضَّمْرِيِّ وَكَانَ سَيِّدَهُمْ فِي زَمَانِهِ فَرَجَعَ الرَّسُولُ ﷺ

(٢) (بَوَاطُ) : جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ جَهَنَّمَ بِقَرْبِ بَنِي ... وَقَدْ أَرَادَ الرَّسُولُ ﷺ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ قَرِيشًا .

(٣) غَزْوَةُ الْعَشِيرَةِ وَادَعَا فِيهَا الرَّسُولُ ﷺ مَدَاجَ وَحُلَفَاءَهُمْ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا . الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ص ١٧٣ .

(٤) سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ كَانَتْ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْحَرَمِ وَبَعْدَ بَدْرِ الْأَوَّلَى وَقَدْ كَانَ مَعَهُ (فِي سَرِيَّتِهِ) ثَمَانِيَةَ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَتَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ فِيهِ حَتَّى يَسِيرَ يَوْمَيْنِ فَيَمِطُهَا لَمَّا أَمَرَهُ بِهِ وَلَا يَسْتَكْرِهَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا ... وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ (نَخْلَهُ) بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ لِيَتَرَصَّدَ بِهَا قَرِيشًا وَيَعْلَمَ أَخْبَارَهَا . وَأَصَابَتْ السَّرِيَّةُ مِنْ قَرِيشٍ عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ فَقُتِلَ . وَأَسْرَتِ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَالْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ .

غزوة بدر الكبرى

وَارْتَقَبَ النَّبِيُّ عِيْرًا ذَهَبَتْ
وَالآنَ وَقْتُ عَوْدَةِ التَّجَارَةِ
قَدْ سَمِعَ الرَّسُولُ أَنَّ الْعِيْرَ
فَنَدَبَ الْأَصْحَابَ ثُمَّ قَالَا :
فَلَنُخْرِجَ الْيَوْمَ ... لَعَلَّ اللَّهَ
فَهَبَ قَوْمٌ وَأُنَاسٌ قَعَدُوا
مُحَمَّدٌ قَالَ لَهُمْ : مَنْ كَانَا
لَمْ يَنْتَظِرْ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا ظَهْرٍ
وَخَرَجُوا بَعْدَ ثَلَاثِ رَحَلَتْ
كَانُوا ثَلَاثُمِائَةَ وَعَشْرًا
سِلَاحُهُمْ إِيْمَانُهُمْ بِاللَّهِ
وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ لِلرُّكُوبِ
فِي يَدِهِ اللَّوَاءُ كَانَ مَصْعَبُ
مَا إِنْ بِهَذَا عَلِمَتْ عِيْرُ الْعَمَلَا
مُسْتَأْجِرًا مَنْ جَاءَ نَادِي الْقَوْمِ
وَعَلِمُوا ... وَعِنْدَهَا تَسَارَعُوا
إِلَّا أَبُو لَهَبٍ فَقَدْ تَخَلَّفَا
أَمِيَّةٌ هَمَّ كَذَا أَنْ يَقْعِدَا
فَعَابَهُ بَعْضُ الرِّجَالِ ، فَهَضَّ
وَخَرَجَتْ قِيَانُهُمْ كَيْ تَطْرِبَا
عُدُّوا بِتِسْعِمِائَةٍ وَزَادُوا

لِلشَّامِ فِي الْخَفَاءِ كَانَتْ هَرَبَتْ
فَهَلْ قُرَيْشٌ تَطْعَمُ الْخَسَارَةَ ؟ ..!
آبَتْ وَكَانَتْ تَحْمِلُ الْكَثِيرَا
عِيْرُ قُرَيْشٍ قُرَيْشٌ مِنْ آلَا .
يُنْفِلُنَا الْعِيْرَ الَّتِي تَرَاهَا
لَوْ عَرَفُوا الْحَرْبَ لَكَانُوا وَرَدُّوا
وَمَعَهُ الظُّهْرُ ، ... هُنَا يَلْقَانَا
أَوْ بَاتَ مُهَرَّ مُلْكُهُ فِي الْمَصْرِ

مِنْ رَمَضَانَ الْخَيْرِ ثُمَّ انْتَقَلَتْ (١)
زَادُوا ثَلَاثَةً . رَأَوْهُ فَجَرَأَ
وَحُبُّهُمْ رَسُولَهُ ذَا الْجَاهِ
وَالْحَقُّ قَدْ أَضَاءَ فِي الْقُلُوبِ (٢)
بْنُ عُمَيْرٍ ، صَادِقٌ مُحَبَّبُ
حَتَّى أَبُو سُفْيَانَ عَنْهَا أُرْسِلَا
يَحُثُّهُمْ ، لِنُصْرَةٍ .. فِي لَوْمِ
خَافُوا عَلَى الْمَالِ وَمَا تَنَازَعُوا
وَأُرْسِلَ الْعَاصِي وَقَدْ تَأَفَّفَا
لِخَوْفِهِ مِنْ حَتْفِهِ .. وَيَعْدَا
مَسَارِعًا وَلِلْحَتُوفِ قَدْ رَكُضَ
نَفُوسَهُمْ حَتَّى تَصِيرَ تَرْغِبَا
خَمْسِينَ ، وَالسَّلَاحُ وَالْعَتَادُ

(١) كان ذلك في السنة الثانية للهجرة ، خرج النبي للإيمان مضين من شهر رمضان وقد ولي على المدينة عبد الله بن أم مكتوم .

وقيل خرج لثلاث مضيقات منه .

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ١٨٥ .

(٣) كان معهم سبعون ناقة وفرسان فقط .

من الجمال معهم سبعة
ومائة من الخيول كانت
من ذا يحارب الرسول ثم

لم يعلم النبي ماذا دبّرت
ولم يكن خروجه للحرب
وبعد أن أعلم بالجموع
وقال للاتباع: قد وعدت

فقام عند ذاك ابنُ الأُمجد
إمضي ... رسول الله لا نقول
إمضي ... فوالله إنا معك
والله لو خضت الغماد خضنا
ففرح النبي ثم سأل
للقول: أن يا أيها الأتباع
يعني ويغي منهم الأنصار
فقام سعد قائلاً: آمنا
ونحن أعطيناك من العهد
إنا لصدّق في اللقاء جلد
ما فيه ترضى وتسر نفساً
والله لو خضت الغداة البحر
فاشرق الرسول وجهاً لما
وقال: أبشروا كاني أنظر
كان أبو سفيان لما أخبرا

قلوبهم إلى القتال ظامئة
وعنهم قواهم قد بانث
يعود ... إلا خيبة وهمما

قريش ماذا للقتال أخضرت
وإنما للعير لا للضرب
نادى النبي بعد للجميع
بالعير .. أو بالنصر .. لو قاتلت

مقداد قال للنبي أحمد^(١)
كما لموسى قاله القبيل
جميعنا، ومن تأبى هلكا
فما تخلفنا ولا رفضنا
له بخير .. ثم بعد انتقلا
هلا أشرتم إني سماع
ومن تواعدوا له انصارا
نصرتك اليوم لقد ضمنا^(٢)
فامضي . فإنا سنريك الودا
لعل ربي أن يريك بعد
إذ يظهر الأنصار فيك بأسا
خضنا كما خضت ... شدذنا الأزرا
أنصاره أروه منهم عزما
مصارع القوم . وإني مخبر
بالمسلمين ، ذريه قد غيرا

(١) المقداد بن عمرو .

(٢) سعد بن معاذ .

وَسَلِمَتْ عَيْرُ قُرَيْشٍ رَاجِعَةً
إِذْ خَسِرَتْ جَمِيعُهَا فِي الْحَرْبِ
مِنْ ذِلَّةٍ وَمِنْ هَوَانٍ نَفْسٍ

فَأَيْنَ قَوْلٌ قَالَهُ أَبُو الْحَكَمِ
لَا يَرْجِعُ الْقَوْمُ وَلَكِنْ يَخْضَرُونَ
وَتَعْرِفُ الْقِيَانُ ثُمَّ يَسْمَعُ
يَكُونُ فِي أَمْثَالِ ذِي الطُّقُوسِ
لَكِنْ بَنِي زُهْرَةَ لَمْ يَكُونُوا
بَنُو عَدِي مِثْلَهُمْ مَا شَارَكُوا

قَدْ قَصَدَتْ قُرَيْشُ أَرْضاً لَيِّنَةً
فَالْمُسْلِمُونَ أَغْلَمُوا بِالْعَيْنِ^(٢)
وَعَرَفُوا مَكَانَهُمْ وَجَمَعَهُمْ
قَالَ النَّبِيُّ : هَذِهِ الْبَطْحَاءُ
وَقَدْ رَأَى الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْدِرِ
أَنْ يَنْزِلُوا مَاءً هِيَ الْقَرِيْبَةُ
وَأَنْ يَغُورَ الْمَاءُ فِي الْآبَارِ
وَقَالَ : حَوْضاً نَحْنُ سَوْفَ نَبْنِي
وَيَغْطِشُ الْكُفَّارُ وَالْأَعْدَاءُ
وَفَعَلَ النَّبِيُّ مَا رَأَاهُ ...

سَعْدٌ رَأَى أَيْضاً بِأَنْ يُقَامَا

لِلنَّاسِ ، لَكِنْ لَمْ تَكُنْ بِالنَّافِعَةِ
وَبَلَغَ الْقَوْمَ أَشَدُّ الْكَرْبِ
وَتَرْحَةً وَتَكْسَةً وَبُؤْسَ

قَدْ حَابَ مَا ظَنَّ وَحَابَ مَا زَعَمَ
بَذْراً وَيَلْعَبُوا بِهَا وَيَسْمُرُوا
مَنْ حَوْلَنَا بِنَا وَبَعْدُ نَرْجِعُ
لِمَكَّةِ مَهَابَةً النُّفُوسِ !
فِي بَذَرٍ ، كَيْمَا نَفْسَهُمْ يَصُوتُوا^(١)
فِي حَرْبٍ أَحْمَدٍ وَلَمْ يَبَارِكُوا

كَانَتْ عَلَى اللَّهِ قُرَيْشٌ هِينَةً
أَخْبَارَ مَنْ أَتَوْهُمْ بِالْمَيْنِ^(٣)
وَأَكْلَهُمْ وَشَرِبَهُمْ وَوَضَعَهُمْ
قَدْ قَذَفَتْ أَفْلَازَهَا فَجَاوُوا
ذُو الرَّأْيِ فِي الْحَرْبِ الْكَرِيمِ الْمُخْبِرِ^(٤)
مِنَ الْعَتَاةِ .. فِكْرَةً نَجِيْبَةً
حَجْباً عَنِ الْعَتَاةِ وَالْكَفَّارِ
نَشْرَبُ مِنْهُ الْمَاءَ بَعْدَ الْوَهْنِ
وَمَنْ بِالْأَنْثِمِ جَاهَرُوا وَبَاوُوا
حُبَابُ وَأَتَى النَّبِيُّ دَعَاهُ

عَرِيْشُ أَحْمَدٍ ، فَلَنْ يُضَامَا

(١) الذي رجع بهم هو الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وكان لهم حليفاً .. وما قاله لهم : يا بني زهرة قد نجى الله لكم أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخزومة بن نوفل وانما نفرتم عنهم وما له فاجعلوا لي جنبها وارجعوا فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا لي ضيعة . ابن هشام ج ٢ ص ١٩١ .

(٢) العين هنا ... الرجل الذي يستخدم لتقصي الأخبار في الحرب .

(٣) المين .. كلام الافتراء والكذب .

(٤) الحباب بن المندر .. أحد الصحابة الكرام .

كَيْمَا يُقِيمَ فِيهِ لِلْقِيَادَةِ
فَعَمَّرُوهُ فَوْقَ تَلٍّ مُشْرِفٍ

وَصَفَّهُمْ نَبِيًّا صُفُوفًا
ثُمَّ إِلَى قُرَيْشَ بَعْدَهَا نَظَرَ
قَدْ خَرَجْتَ قُرَيْشُ بِالْجُنُودِ
تُكَذِّبُ النَّبِيَّ وَالرَّسَالَهَ
يَا رَبِّ نَصْرِكَ الَّذِي وَعَدْتَ

وَعِنْدَ ذَاكَ وَقَعَ الْخِلَافُ
فَعُتْبَةُ يُرِيدُ أَنْ تُمْتَنِعَا
وَأَظْهَرَ اسْتِعْدَادَهُ فِي حَمَلٍ
وَكَانَ عَمَرُو مَاتَ فِي سَرِيَّةٍ

لَكِنْ أَبَا جَهْلٍ أَبَى وَاسْتَكْبَرَا
وَقَبْلَ أَنْ تَقُومَ سَاقُ الْحَرْبِ
أَسُودُ مَخْزُومٌ هُنَاكَ عَاهِدَا
حَتَّى إِلَيْهِ بَعْدَ جُهْدٍ يَصِلَا
فَقَامَ حَمْزَةٌ إِلَيْهِ وَقَطَعَ

وَحَاوَلَ الْأَسُودُ زَحْفًا أَلَا
وَقَبْلَ أَنْ يَفْتَحِمَ الْحَوْضَ أَتَى
وَوَقَفَ النَّبِيُّ بَيْنَ النَّاسِ
وَيَعِدُ الْمُقَاتِلِينَ الْجَنَّةَ

لِلَّهِ فِي رَأْيِ الْفَتَى .. إِرَادَةً
يُظْهِرُ لِلنَّبِيِّ مَا كَانَ خَفِي

كَأَنَّهَا الْبَيِّنَانُ لَا خُلُوفَا
وَقَالَ : يَا رَبَّاهُ .. يَا رَبَّ الْبَشَرِ
وَالْفَخْرِ وَالْكِبَرِ وَبِالْجُنُودِ
تَخُونُ أَتْبَاعَ الْهُدَى وَآلِهِ
إِنْ شِئْتَ يَا رَبَّاهُ ... مَا عَبْدَتَا

فِي الْمُشْرِكِينَ . إِذْ رَأَوْ فَخَافُوا
حَرْبَ وَأَوْزَارًا لَهَا أَنْ تَضْعَا
دِمَاءَ عَمْرٍو ، رَاغِبًا فِي الْبَذْلِ
كَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ ذِي الْحَمِيَّةِ

بِالْأَلَتِ . لَا بِاللَّهِ كَانَ اسْتَنْصَرَا
قَامَ مِنَ الْقَوْمِ شَقِيقُ الْكَرْبِ
أَنْ يُلْغِ الْمَاءَ .. وَأَنْ يُجَالِدَا^(١)
أَوْ دُونَهُ يَمْضِي فِدَا وَيُقْتَلَا
بِضَرْبَةٍ ، رَجُلُ الْفَتَى ثُمَّ رَجَعَ

يَخْفِرَ قَوْلًا بَاءً فِيهِ جَهْلًا
مِنْ حَمْزَةٍ ضَرْبٌ بِهِ مَاتَ الْفَتَى
يَحْتُثُّهُمْ صَبْرًا ، أَمَامَ الْبَاسِ
فِي نِعْمَةٍ وَمَسْكَنٍ وَمِنَّةٍ

(١) قال ابن هشام : « قال ابن اسحق : وقد خرج الأسود بن الأسد الهزومي وكان رجلاً شرساً سيء الخلق . فقال : أعاهد الله لأشهرين من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه ، فلما خرج ، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة فأطعن قدمه « أطار » . بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشعب رجله دماً نحو أصحابه ثم حبا إلى الحوض حتى اتحمم فيه يريده أن يبر يمينه . وأبعده حمزة فضربه حتى قتل في الحوض ... »

فَحِمِيَتْ مِنْ بَعْدِهَا الْوَطِيسُ
فَظْهَرَ الْمُجَاهِدُونَ الْقُوَّةَ
وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ رَبَّ الْكَوْنِ
فَالْمُسْلِمُونَ سَارَعُوا فِي الْبَذْلِ
وَالْجَيْشُ نَظَّمَ النَّبِيُّ أَحْسَنًا
وَحَثَّ أَتْبَاعاً لَهُ وَقَالَ :
فَإِنَّ جَنَّةَ الْخُلُودِ تَنْظُرُ
ذَا ابْنُ عُمَيْرٍ عِنْدَ سَمْعِهِ رَمَى
وَقَاتَلَ الْكَفَّارَ حَتَّى اسْتَشْهَدَا

مِمَّا رَوَوْا فِي الْبَذْلِ أَنَّ أَحْمَدًا
يُعَدُّ الصِّفَّ يُسَوِّي خَلَا
فَمَرَّ بِالْقَضِيبِ مِنْ سَوَادٍ
قَالَ : اسْتَقِمَّ فِي الصِّفِّ يَا سَوَادُ
وَأَنْتَ أُرْسِلْتَ لَنَا بِالْحَقِّ
فَكَشَفَ النَّبِيُّ عَنْ صَدْرِهِ لَهُ
فَضَمَّهُ مُقَبِّلاً سَوَادُ
أُمِّي فِدَاكَ وَكَذَاكَ وَاللَّيْ
وَأِنَّمَا فَعَلْتُ إِذْ رَأَيْتُ
ثُمَّ رَغِبْتُ أَنْ يَكُونَ الْعَهْدُ
بِقُبْلَةٍ تُحْمِي مِنَ الْجَحِيمِ

وَبِذْلِ الْغَالِي كَذَا النَّفِيسُ
بَذْلًا مَعَ السَّخَاءِ وَالْفُتُوَّةِ
فَمَدَّهُمْ سُبْحَانَهُ بِالْعَوْنِ^(١)
وَالْمُشْرِكُونَ قَلَّلُوا بِالْقَتْلِ
شَكْلًا ، وَمِنْ عَدُوِّهِ تَمَكَّنَا
مَنْ قَاتَلَ الْيَوْمَ وَمَنْ تَعَالَى
أَلَا اصْبِرُوا لَهَا وَثُمَّ اسْتَبْشِرُوا
تَمَرًا بِكَفِيهِ وَمَا كَانَ حَمِي^(٢)
وَفِي الْجَنَانِ بَعْدَ ذَاكَ أُخِلِدَا

نَبِينَا قَامَ بِهِمْ مُمَهَّدًا
حَتَّى يُعِيدَ الْحَزَمَ فِيمَنْ حَمَلَا
ذِي الطُّهْرِ وَالنَّقَاءِ وَالْوِدَادِ^(٣)
فَقَالَ : أَوْجَعْتَ .. الَّذِي يَنْقَادُ^(٤)
بِالْعَدْلِ . فَأَقْدَ .. نَبِيَّ الصِّدْقِ
قَالَ : اسْتَقْدَ . كَذَا الْعَصَا نَاوَلَهُ
وَقَالَ : أَفْدِيكَ .. هُوَ الْوِدَادُ
مَالِي وَأَهْلِي كُلُّهُمْ وَتَالِدِي
حَرْبًا أَنَا لِحَوْضِهَا دُعَيْتُ
آخِرُهُ . أَنْ مَسَّ جِلْدِي الْجِلْدُ
وَتَنَقَّلُ الْإِنْسَانَ لِلنَّعِيمِ

(١) « قال بن اسحق : ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع الى العرش فدخله ومعه فيه أبو بكر الصديق — ليس معه فيه غيره — ورسول الله ﷺ عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ... » ابن هشام ج ٢ ص ١٩٨ .

(٢) هو عمير بن الحمام .

(٣) هو سواد بن غزبة .

(٤) كان في يد النبي ﷺ قوس .

لَمَّا الرَّسُولُ مِنْ سَوَادٍ سَمِعَا هَذَا لَهُ بِالْخَيْرِ كَانَ قَدْ دَعَا

★ ★ ★

بِالصَّبْرِ وَالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ
بِالْعَزْمِ فِي بَدْرِ وَبِالْإِيمَانِ
انْفَضَّتِ الْحَرْبُ عَنِ انْتِصَارِ
وَهَزَمَ اللَّهُ الَّذِينَ أَلْبَسُوا
فَرَجَعُوا بِالْعَارِ وَالْهَزِيمَةِ
فَالْمُشْرِكُونَ فَقَدُوا سَبْعِينَ
قَدْ قَتَلَ النَّبِيُّ مِنْ أَسْرَاهُمْ
نَضَرَ بَنِي حَارِثِ الشَّقِيَا
مَنْ مَاتَ مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ دَفَنَهُ
لَأَنَّهُ مِنْ سُنَّةِ الرَّسُولِ
وَمَاتَ فِي الْحَرْبِ مِنَ السَّادَةِ مَنْ
أُمِّيَّةٌ فِي الْحَرْبِ ثُمَّ قَتَلَهُ
إِذْ أَحْمَدُ قَامَ يُنَادِي الْقَوْمَا
هَلْ سَرَّكُمْ أَنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ
إِنِّي وَجَدْتُ الْوَعْدَ حَقًّا . حَقًّا

وَالْحُبِّ وَالْجِهَادِ وَالْبَلَاءِ^(١)
وَالصَّدَقِ وَالتَّنْظِيمِ وَالْإِحْسَانِ
دَيْنِ الْهُدَى وَالطُّهْرِ وَالذَّمَارِ
لِلْحَرْبِ وَالْقِتَالِ ثُمَّ رَغَّبُوا
لِلْمُسْلِمِينَ كَانَتْ الْغَنِيمَةُ
وَمِثْلَهُمْ أُسْرَى وَمُعْتَدِينَ
شَخْصِينَ وَالْبَاقِينَ قَدْ خَلَّاهُمْ
وَعُقْبَةَ الظَّالِمِ وَالرَّدِيئَا^(٢)
وَسَطَ الْقَلْبِ قَدْ غَدَا . وَضِمْنَهُ
بَعْدَ الْعَزَا ، الدَّفْنُ لِلْقَتِيلِ
أَبْنَاؤُهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا بِلَا مَنَنْ
كَذَا أَبُو جَهْلٍ وَخَابَ فَالَهُ^(٣)
عِنْدَ الْقَلْبِ . قَدْ أَتَيْتُمْ لَوَّمَا
بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ أَوْ أَطَعْتُمْ
فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا أَتَيْتُمْ صِدْقًا ؟!

أَمَّا الْأَسِيرُ فَقَدْ اسْتَشَارَا
فَعَمْرُ قَالَ : أَرَى أَنْ يُقْتَلُوا
فِي أَمْرِ الْأَصْحَابِ وَالْأَنْصَارَا^(٤)
جَزَاءَ مَا قَدْ عَذَّبُوا وَنَكَّلُوا

(١) كان أول شهيد للمسلمين في بدر مهجع مولى عمر بن الخطاب ثم حارثة بن سراقة .

(٢) قتل عاصم بن ثابت عقبة بن أبي معيط كما قتل علي بن النضر بن الحارث ، وقد قال عقبة للنبي ﷺ حين أمر بقتله : فمن للصبيّة يا محمد ؟ قال : النار . وقيل إن الذي قتل عقبة هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٣) وقيل أمة بن خلف بلال بن رباح وجماعة من الأنصار . أما أبو جهل فقد ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبتته وتركه وبه رمق فمر به عبد الله بن مسعود فأجهز عليه وأتى برأسه إلى رسول الله ﷺ .

(٤) قال رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى وفرقهم بين أصحابه « استوصوا بالأسارى خيراً » .

أَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : إِنَّهُمْ
أَمَكَّنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالظَّفَرِ
فَقَبِلَ الرَّسُولُ رَأْيَ اللَّيْنِ
فَأَقْبَلَتْ مَكَّةُ تَبْغِي أَهْلَهَا
أَمَّا الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ لِلْمَالِ
أَمْرُهُمْ نَبِيْنَا أَنْ عَلَّمُوا
أُطْلِقُكُمْ مِنْ غَيْرِ مَا فِدَاءٍ
وَبَعْضُهُمْ أَطْلَقَهُ مُحَمَّدٌ
فِي الْأَسْرِ كَانَ ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ
فِي رَأْيِهِ : أَنْ لَوْ لِمَالٍ بَذَلَا
وَبَيْنَمَا سَعْدُ بْنُ نَعْمَانَ أَتَى
فَفُكَّ عَمْرُو وَاسْتُعِيدَ سَعْدُ
بَعْدَ الْفِدَاءِ أَنْزَلَ الْعَلِيمُ
فَمَا أَقَرَّ فِدْيَةَ الْأَسِيرِ
عَسَى الَّذِينَ ابْتَعَدُوا وَصَدُّوا
وَفَصَّلَ اللَّهُ كَذَا الْكَيْفِيَّةَ
عَطِيَّةَ الْحَرْبِ مِنَ الْأَنْفَالِ
وَوُزِعَتْ كَمَا أَرَادَ اللَّهُ

قَوْمٌ لَنَا ... وَالْيَوْمَ خَابَ ظَنُّهُمْ
فَخُذْ فِدَاءً مِنْ أَسِيرٍ ثُمَّ ذَرِ
فِي رَأْيِهِ وَالسَّهْلُ ثُمَّ الْهَيْنُ
مِمَّنْ غَدَا فِي الْأَسْرِ تُعْطَى مَالُهَا^(١)
عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْمَالِ
أَمِينًا خَطَاً كَذَا وَفَهَّمُوا
وَأَنَّ رَبِّي سَامِعٌ نِدَائِي
فَضْلاً وَجُوداً، وَهُوَ نِعَمَ الْجَيِّدِ^(٢)
فَلَمْ يُرِدْ أَبُوهُ ذَا ، الْهَوَائَا^(٣)
لَهَانَ فِي النَّاسِ .. أَلَا قَدْ جَهَلَا
مَعْتَمِراً ، حَجَزَهُ دُونَ الْفَتَى^(٤)
وَتَمَّ نَصْرُ الْمُسْلِمِينَ بَعْدُ
آيَاتِهِ وَيَبِيْنَ الرَّحِيمِ^(٥)
ذِي حِكْمَةٍ السَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ
فِي قُلُوبِهِمْ هَيِّئْ لَهُ تَشْتَدُّ
إِذْ وَفَّقَهَا قَدْ أَنْفَقَ الْعَطِيَّةَ
مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ بِالْحَلَالِ
وَرَضِيَ الْكُلُّ بِمَا أَتَاهُ

(١) قال ابن هشام « كان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل الى الف درهم الا من لا شيء له فمن رسول الله ﷺ عليه دون فداء » .

(٢) من الذين أحل سبيلهم من غير فداء : أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن شمس بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ بفدائه . والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عمر بن مخزوم ، وأبو عزة الشاعر وهو عمر بن عبد الله بن عثمان بن أبيب ابن حذافة وكان محتاجاً ذا بنات .

(٣) هو عمرو بن أبي سفيان « واسم أبي سفيان المغيرة » وقد أسره علي بن أبي طالب .

(٤) سعد بن النعمان بن أكال كان في مكة معتمراً فعدا عليه أبو سفيان بن حرب فحجسه بآبنة عمرو .

ابن هشام ص ٢١٨ ج ٢ .

(٥) « قال ابن اسحق : ثم عاتبه الله تعالى في الأسارى . وأخذ المغنم ولم يكن أحد من الأنبياء قبله يأكل مغنماً من عدو له ... » ثم قال بعد ذلك « إن الغنم قد أحلت لرسول الله ﷺ فيما بعد » . المصدر السابق ص ٢٤٠ ج ٢ .

دَعَا الرَّسُولُ بَعْدَهَا الْأَقْوَامَا
نَحْوَ الْعَوَالِي رَاحَ عَبْدُ اللَّهِ
وَرَاحَ نَحْوَ الْأَسْفَلِينَ زَيْدٌ
وَبَيْنَمَا زَيْدٌ يَعُودُ فَرِحَا
رُقِيَّةُ بِنْتُ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ
تُوفِّيَتْ طَاهِرَةً نَقِيَّةً
لَكِنَّ أَخْبَارَ الْقَبُولِ بِالْحَسَنِ

★ ★ ★

بَعْدَ انْتِصَارِ أَجْلِي الْيَهُودُ
وَأَنَّهُمْ خَانُوا النَّبِيَّ وَاعْتَدُوا
فَقِينِقَاعَ حَاصِرَ الرَّسُولِ
فَأَخْرَجُوا لِأَذْرَعَاتٍ ثُمَّ
عِنْدَهُمْ إِذْ تَنَقَّضَ الْعُهُودُ
فِي بَدْرٍ ثُمَّ بِالْخِلَافِ قَدْ بَدَّوْا
حَتَّى بَدَّ لِلْهَجْرَةِ الْقَبُولُ
مَأْنُوا بِهَا تَحْسُرًا وَهَمًّا^(١)

★ ★ ★

أَمَّا قُرَيْشٌ بَعْدَ تِلْكَ الْحَيَّةِ
إِذْ هُزِمَتْ فِي بَدْرٍ ثُمَّ فَقَدَتْ
وَأَخَذَتْ تُهَيِّئُ الْعَتَادَا
إِذْ تَسْتَعِدُّ لِلْقِتَالِ فِي أَحَدٍ
مُحَمَّدٌ يَعْرِفُ مَا تُرِيدُ
وَكَانَ أَنَّ غَزَا ثَلَاثًا دُونَ
لَمْ تَبَقَ فِيهَا قُوَّةٌ وَهَيَّةُ
رِجَالُهَا وَحَزِنَتْ ثُمَّ بَكَتْ
تُرِيدُ أَنْ تُبَدِّدَ الْحِدَادَ
تَجِدُّ فِي هَذَا وَخَابَ مَنْ يَجِدُ
قُرَيْشٌ .. يَذَرِي مَا لَهُ تَكِيدُ
أَنْ يَلْقَاهُ فِي تِلْكَ مُشْرِكُونَا

(١) هو زيد بن حارثة بعثه رسول الله ﷺ إلى « القردة » وهي ماء من مياه نجد ... وذلك أن قافلة لقريش سلكت ذلك الطريق « طريق العراق » . وقد أدركها زيد وأصاب منها . ثم رجع منتصراً .

(٢) « حذرهم رسول الله ﷺ أن يصيبهم ما أصاب قريش في بدر . فقالوا : « يا محمد ... لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة . إنا والله لن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس ... » .. قال ابن اسحق : وحدثني عاصم بن عمر عن قتادة قال : إن بني قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

غَزَا «السُّوَيْقَ» وَغَزَا «بُحْرَانَ» وَغَطَفَانَ جَاءَهَا عَيَانًا^(١)
فَهَرَبَ الْكُفَّارُ خَوْفًا مِنْهُ
وَكَانَ فِي مَكَّةَ «كَعْبُ الْأَشْرَفِ»
يَحْرُضُ الْحَرْبَ عَلَى الْمَدِينَةِ
يَنْكِي عَلَى مَنْ فَارَقَ الْحَيَاةَ
وَيَشْتُمُ النَّبِيَّ بِالْقَرِيضِ
حَتَّى النَّبِيُّ قَالَ: مَنْ لِكَعْبِ
أَجَابَهُ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ
ثُمَّ أَرَاخَ اللَّهُ مِنْهُ الْحَقَّا
فَقَوِيَتْ شَوْكَةُ دِينِ اللَّهِ
وَسُنَّ لِلْإِسْلَامِ عِيدُ الْفِطْرِ
بُجْدُ الْإِخَاءِ فِيهِ الْمُسْلِمُ
وَسُنَّتِ الصَّلَاةُ فِي الْعِيدَيْنِ
وَعَاشَ كُلُّ مُسْلِمٍ فِي الْجَاهِ
وَبَعْدَ ذَلِكَ جَاءَ عِيدُ النَّحْرِ
كُلُّ أَخٍ لَهُ . كَذَلِكَ يَرْحَمُ
بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ رَكَعَتَيْنِ

غَزْوَةُ أُحُدٍ^(٣) :

قَدْ مَنَعَتْ قُرَيْشٌ مِنْ تِجَارَةِ وَعَاشَتْ الْبَلَاءَ وَالْحَسَارَةَ

(١) غزوة السويق : نذر أبو سفيان أن لا يغتسل حتى يغزو الرسول ﷺ فخرج في متي راكب فأصاب رجلين من الأنصار من أصحاب الرسول ﷺ في المدينة فقتلوهما وانصرفوا راجعين . فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم وقد ولى على المدينة أبا لبابة (بشير بن عبد المذزر) وقد فاته أبو سفيان ومن معه فرجع ﷺ إلى المدينة .

وسميت الغزوة بغزوة السويق لأن أكثر ما طرح المشركون من أزوادهم السويق وهو طعام من مدقوق الحنطة والشعير . و (كُرْنًا) : قرية من نواحي الهمزة على طريق مكة .

(غطفان) : دعيت هذه الغزوة بغزوة ذي أمر . وكانت غطفان في نجد . ابن هشام ج ٢ ص ٣٠١ .

(٢) كعب بن الأشرف : قتل محمد بن مسلمة الأنصاري .

(٣) كانت غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة على رأس الثين وثلاثين شهراً من هجرته عليه الصلاة والسلام [فقه السيرة د . سعيد رمضان البوطي] وكان عددهم (١٠٠٠) مقاتل .

لِحَرْبٍ بَذَرِ وَقْتُهَا قَدْ جَرَّتْ
وَقَدْ هَوَتْ . وَتُرْجَعُ الْحَصَانَةُ
قَدْ ضَلُّلَتْ وَسِيلَةً وَغَايَةً
وَيَقْلَعُ الشَّمْسُ مِنَ السَّمَاءِ
فِي الْعَقْلِ ذَا لَالِلِ الْحَجِي الْحَصِيفِ
بِالْخِزْيِ كُلُّلَتْ وَمَا أَفَاءَتْ
يَبْغُونَ هَدْمَ الْحَقِّ حَيْثَمَا انْطَلَقَ
لِيَضْرِبَنَّ حَمَزَةً فِيهَا ضَرْبَةٌ
وَأَنْقَلَبُوا مِنْ بَعْدِ ذَاكَ خِيفَةً

★ ★ ★

فَوَظَّفَتْ مَالَ التَّجَارَةِ الَّتِي
لَعَلَّهَا تَسْتَرْجِعُ الْمَكَانَةَ
تُرِيدُ أَنْ تَقْضِيَ عَلَى الْهِدَايَةِ
مَنْ ذَا الَّذِي يَصُدُّ عَنْ ضِيَاءِ
يُسَوِّلُ الشَّيْطَانُ لِلضَّعِيفِ
لَمَّتْ قُرَيْشُ جَمْعَهَا وَجَاءَتْ
جَاءَ الْأَحَابِيشُ وَالْمُصْطَلَقُ
وَمُطْعِمٌ أُعْطِيَ ابْنُ حَرْبٍ حَرْبَةً
سَارُوا جَمِيعًا نَحْوَ ذِي الْحُلَيْفَةِ^(١)

مُذْ عَلِمَ الْجَيْشَ دَنَا اقْتِرَابَهُ^(٢)
فِي يَثْرِبٍ ، وَنَمْنَعُ الْأَنْبَاءِ
يَكُونُ فِيهِمْ مَا مَضَى وَكَانَا
هَذَا وَبَعْضُ رَغَبُوا بِالنَّأْيِ^(٣)
صَدًّا يُخْلِي جَمْعَهُ فِي ضَنْكَ
أَتَى بَعِيداً^(٤) — هِمَّةٌ لَا طَيْشًا
وَمَنْ قُرَيْشُ لَا تُطِيقُ غَمَزَةً^(٥)
آلِ الْعَفَافِ وَالْقَوَى وَالنَّخْوَةِ
بِصِدْقِهِ سَيَكْتُبُ الْمَصِيرُ

★ ★ ★

فاجتمع الرسول بالصَّحَابَةِ
قال النبي : ندفع الأعداء
نذيقهم — إن دخلوا — الهوانا
فقبل الأصحاب أهل الرأي
عن يثرب لصدد جمع الشرك
فقد أشاروا أن يلاقوا الجيشا
ورأيهم رأي القوي حمزة
فوقف الرسول عند رغبة
لأن جمعهم هو الكثير

(١) موضع قرب أحد .

(٢) أي ما سبب اقترابه .

(٣) كان ممن رغب بالخروج للقاء المشركين : مالك بن سنان ، النعمان بن مالك ، إياس بن أوس .

(٤) أي خارج المدينة .

(٥) قال حمزة بن عبد المطلب : « والذي أنزل عليك الكتاب » يريد رسول الله ﷺ « لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم

بسييفي خارجاً من المدينة » صور من حياة الرسول ص ٣٥٥ .

صَلَّى النَّبِيُّ فِيهِمْ بِالْجُمُعَةِ
وَالصَّبْرِ حَتَّى يُكْتَبَ انتصارُ
وَجَهَّزَ الرَّسُولُ نَفْسَهُ كَمَا
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ كَانَ أَشْجَعَ
ثُمَّ إِلَيْهِ رَجَعَ الْفَتَيَانُ
قَالَ لَهُمْ : مَا كَانَ لِلرَّسُولِ
وَعَقْدَ الرَّايَاتِ لِلْحَبَابِ
وَسَيِّدِ الْأَوْسِ أَسِيدٍ وَخَرَجَ
وَكَانَ عَدَدُ الرَّجَالِ أَلْفًا
رَهْطُ أَبِي عَنَدَ ذَاكَ عَادُوا
وَتَابَعَ الْجَيْشُ إِلَى أَنْ نَزَلَا
فَوَجَّهُهُمْ بَاتَ إِلَى الْمَدِينَةِ
وَوَضَعَ النَّبِيُّ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ
أَوْصَاهُمْ إِلَّا يُعَادِرُوهُ
لَوْ ظَهَرُوا وَانْتَصَرُوا لَا تَبْرَحُوا
وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ أَتَوْا لِلْوَادِي
مَيْمَنَةً لِحَالِدٍ يَقُودُهَا
فَجَعَلَ النَّبِيُّ فِي إِزَاءِ
ثُمَّ ابْتَدَأَ الْقِتَالَ ثُمَّ حَمِيَا
هَزِيمَةً لِأَجْلِهَا قَدْ أَدْبَرَا
وَالْتَقَتِ الصُّفُوفُ بِالصُّفُوفِ
هَيَّجْنَ بِالْدُّفِ عَوَاطِفَ الْأَلَى

وَحَثَّهُمْ لِلْبَذْلِ عِنْدَ الْجُمُعَةِ
لِلَّذِينَ فَوْقَ مَنْ بَعُثُوا وَجَارُوا
يُجَهِّزُ الشُّجَاعُ بِلَ وَفَوْقَ مَا
شُجْعَانِ مَكَّةَ وَكَانَ أَمْنَعَا
إِذْ عَلِمُوا الْحَقَّ وَثُمَّ لَأَنُوا
بَعْدَ لِبَاسِ الْحَرْبِ مِنْ عُذُولِ
وَمُصْنَبِ الْقَوِيِّ فِي الضَّرَابِ (١)
جَمَعَ الْهُدَى الَّذِي مَعَ النَّفْسِ امْتَزَجَ
رَدَّ النَّبِيُّ مِنْهُمْ مَنْ أَخْفَى
فَظَاهَرُوا نِفَاقَهُمْ وَكَادُوا
فِي أَحَدٍ وَكَانَ خَلْفًا قَدْ عَلَا
نَيْرَةً طَيِّبَةً مَكِينَةً
خَمْسِينَ مَأْمُومًا سِوَى رَامٍ بَطْلٍ (٢)
فِي النَّصْرِ أَوْ فِي الْكَسْرِ يَهْجُرُوهُ
وَلَوْ ظَهَرْنَا فَوْقَهُمْ لَا تَفْرَحُوا
بِالْحَيْلِ وَالرَّجَالِ وَالْعَتَادِ
مِنْسَرَّةً عِكْرِمَةً عَمِيدَهَا
كُلَّ فَتَى نِدًّا مِنْ أَقْوِيَاءِ
وَطَيْسَهُ كَذَا الْعَدُوِّ لُقِيَا
كُلَّ فَتَى ، وَعَهْدُهُ قَدْ أَخْفَرَا
وَنَقَرَ النِّسَاءُ بِالْدُّفُوفِ
فِي بَذَرٍ لَأَقُوا مِنْ عَذَابٍ وَبَلَا

★ ★ ★

(١) الحباب بن النذر — مصعب بن عمير — أسيد بن الحضير .

(٢) كان الأمير عليهم هو عبد الله بن جبير أمروه رسول الله ﷺ .

وَالْمُسْلِمُونَ صَابَرُوا بِقُوَّةٍ وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ بِالْفُتُوَّةِ
مُحَمَّدٌ يَحُثُّهُمْ مُبَشِّرًا بِالْفُوزِ وَالْعَدُوِّ وَلَى مُدْبِرًا
يَدْعُو النَّبِيُّ رَبَّهُ ذَا الْحَوْلِ بِالنَّصْرِ وَالْقُدْرَةِ ثُمَّ الطَّوْلِ
يَقُولُ مِنْكَ النَّصْرُ وَالْعَزِيمَةُ أَذِقْهُمْ يَارَبَّنَا!.. الْهَزِيمَةَ
فَبَدَأَ النَّصْرُ تَلَوُّخَ رَأْيَتِهِ وَالْقَتْلُ فِي الْكُفَّارِ بَأْتَتْ غَايَتُهُ
وَالْمُشْرِكُونَ أَذْبَرُوا إِذْ بَارَا وَثَبَّتَ اللَّهُ بِهَا الْأَنْصَارَا

★ ★ ★

حَتَّى لَهَا الْأَثْبَاعُ بِالْغَنَائِمِ وَالْفَيءِ بَيْنَ قَاعِدٍ وَقَائِمِ
فَنَزَلَ الرُّمَاءُ حِينَ شَاهَدُوا إِخْوَانِهِمْ لِلْفَيءِ قَدْ تَبَاعَدُوا
وَخَالَفُوا أَمَرَ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ فَنِدَمُوا وَلَاتَ حِينَ مَنَدِمِ
أَمَّا أَمِيرُهُمْ فَقَدْ كَانَ ثَبِتُ بِالْبَعْضِ . وَالنَفْسُ لِذَاكَ قَدْ أَبَتْ
إِبْنُ الْوَلِيدِ كَانَ فِي الْكَتِيبَةِ وَقَدْ رَأَى الْهَزِيمَةَ الرَّهْيِيَّةَ
رَأَى بِعَيْنَيْهِ الرُّمَاءَ زَالُوا عَنْ خَنْدَقٍ لَهُمْ لِكَيْ يَنَالُوا
فَالْتَفَّ بِالْجَيْشِ مِنَ الْوَرَاءِ وَكَانَ مَا كَانَ مِنَ الْبَلَاءِ
إِذْ بَيْنَمَا تَشَاغَلَ الْجُنُودُ بِالنَّفْلِ إِذْ جَاءَتْهُمْ الْحُشُودُ
غَدْرًا مِنَ الْوَرَاءِ جَاءَ خَالِدُ وَالْمُسْلِمُونَ صَابَرُوا وَجَالَدُوا
وَالصَّفُّ لَكِنْ لَمْ يَكُنْ جَمِيعَا وَكَانَ رَبِّي عَلَامًا سَمِيعَا
أَرَادَ أَنْ يَمْتَحِنَ الْمُجَاهِدَا وَيَبْتَلِيَ الضَّعِيفَ وَالْمُعَانِدَا

★ ★ ★

قَدْ ثَبَّتَ الرَّسُولُ وَالصَّحَابَةُ أَهْلُ التَّقَى وَالْعَزْمِ وَالنَّجَابَةِ^(١)
مِنْهُمْ أَبُو طَلْحَةَ فِي جِحْفَتِهِ يَقُولُ : جَبْهَتِي فِدَا جَبْهَتِهِ^(٢)

(١) ظل رسول الله ﷺ يرمي بالنبل حتى فئت نبلة . وانكسرت قوسه .
(٢) كان أبو طلحة الأنصاري يقول : « نحري دون نحرك ، ووجهي لوجهك فداء » وقد ثبت مع رسول الله ﷺ فيمن ثبت
أيضاً : شماس بن عثمان بن الشريد الخزومي وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص . وأم عمارة (نسيبة بنت كعب
المازنية ، ومصعب بن عمير ، الحجاب بن المنذر .

نَحْرِي لِنَحْرِ أَحْمَدٍ وَقَاءُ
كَذَاكَ يَيْلُو خَالِقِي الْأَنْصَارَا
إِزْمِ فِدَاكَ الْأَهْلُ يَأْمَهُنَّ
جِسْمَ النَّبِيِّ جِسْمُهُ بِهِ تَرَسُ
وَزَهْرُهُ وَنَفْسُهُ وَجِرْمُهُ
مِنْ أَجْلِهِ كَمْ صَابَرَ الْأَنْصَارِي

وَجْهِي لِوَجْهِ أَحْمَدٍ فِدَاءُ
يَرْمِي السَّهَامَ يَدْفَعُ الْكُفَّارَا
كَذَا وَسَعْدُ قَالَ فِيهِ أَحْمَدُ :
وَمِنْهُمْ أَبُو دُجَانَةِ حَرَسُ
فَكَانَتِ السَّهَامُ تَأْتِي جِسْمَهُ
حُبُّ النَّبِيِّ الصَّادِقِ الْمُخْتَارِ

★ ★ ★

فِي أَحَدٍ شَيْئاً كَثِيراً وَالبَدَى
فَأَيْتَمَ النَّبِيُّ بَعْدَ أَهْلِهِ (١)
لِأَنَّهُ كَانَ فَتًى عِتِيّاً

نَبِيُّنَا أَصَابَهُ مِنَ الْأَذَى
أَبِي مُقْبِلٌ يُرِيدُ قَتْلَهُ
لَمْ يَقْتُلِ الْهَادِي سِوَى أَبِي

★ ★ ★

نَفْسِي لَهُ وَكُلُّ مَا عِنْدِي فِدَا
وَجَنَّتُهُ وَبَعْدَ ذَاكَ فَرَجَتْ
عَلَى أَذَاةِ أَحْمَدٍ أَعَانَا
أَذَى نَبِيِّ الصِّدْقِ وَالْخَيْرِ الْوَفَى
قَدْ فَارَقَ الْحَيَاةَ ثُمَّ مَا بَدَا
وَمَا يَسُوءُ بَعْدَهَا أَرَاهُمْ

وَحُدِثَتْ رُكْبَةُ أَحْمَدَ الْهُدَى
وَكُسِرَتْ سِنَّ لَهُ وَجُرِّحَتْ
فَغَضِبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ كَانَا
وَاللَّهُ لَا يُفْلِحُ مَنْ سَاهَمَ فِي
أَشَاعَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنَّ الْهُدَى
لَكِنَّمَا رَبِّي قَدْ أَخْزَاهُمْ

★ ★ ★

سَبْعِينَ مِنْ صَحَابَةِ الْوِدَادِ
وَأَزَرَ النَّبِيَّ ثُمَّ نَاصَرَا
وَأَتَقَدَّ الدِّينُ بِذَاكَ رَمْزَةً (٢)

وَانْجَلَتْ الْحَرْبُ عَنْ اسْتِشْهَادِ
وَيِّفَاءَ ، مِنْ بَيْنِهِمْ مَنْ هَاجَرَا
فَابْنُ عُمَيْرٍ مِنْهُمْ وَحَمْزَةُ

(١) ولم يقتل رسول الله ﷺ رجلاً غيره .

(٢) رمزه - أي رمزا من رموز قوته .

حَمَزَةٌ كَانَ فِي الْقِتَالِ اغْتِيلاً
 اسْتَشْهَدَ الشَّهْمُ الْقَوِيُّ الْمُسْلِمُ
 وَظَلَّ مِنْ أَسَى يَعْضُ نَدَمًا
 أَمَّا مِنَ الْأَنْصَارِ فَابْنُ عَامِرٍ
 وَابْنُ الرَّبِيعِ كَانَ فِيهِ مِنْ رَمَقٍ
 قَالَ لَهُمْ : اللَّهُ .. فِي الْعُهُودِ
 وَاللَّهُ لَيْسَ لَكُمْ مِنْ عُذْرِ
 غَدْرًا وَكَانَ السَّيِّدُ النَّبِيلُ
 وَبَاتَ وَخَشِي لِدَاكَ بِنْدَمٌ^(١)
 يَدِيهِ ، بَعْدَ أَنْ أَتَى وَأَسْلَمَا
 وَابْنُ الْجَمُوحِ . وَوَلِي جَابِرٌ^(٢)
 أَوْصَى بِهِ الْأَنْصَارَ خَيْرًا وَصَدَقَ^(٣)
 وَالنَّصْرَ لِلنَّبِيِّ وَالْجُنُودِ
 إِنْ وَصَلُوا إِلَى الْهُدَى بِالْعُدْرِ

★ ★ ★

وَمِنْهُمْ ابْنُ النَّضْرِ أَنَسٌ وَقَدْ
 يَا قَوْمُ ، إِنْ مَاتَ النَّبِيُّ فَلِمَ
 مُوتُوا عَلَى مَمَاتٍ . إِنْ كَانَ صَدَقَ
 وَظَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ أَنَّهُمْ
 فَرَجَعُوا بِالْذُّفِّ وَالْغَنَاءِ
 وَالْحَقُّ . إِنْ أَحَدًا لَنَصْرُ
 إِذْ لَوْ نَظَرْنَا لِمَرَامِي مَكَّةَ
 وَخَطَّطْتُ كَيْ تَقْتُلَ الْإِسْلَامَا
 نَقُولُ : إِنَّهَا بِذَاكَ أَفْشِلَتْ
 وَمَا قَضَتْ حَقًّا عَلَى الْهُدَايَةِ
 نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَمَا نَحَمَدُ^(٤)
 حَيَاثُنَا مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا لِمَ ؟ ..
 مِنْ قَالَ إِنَّهُ قَضَى وَمِنْ نَطَقَ^(٥)
 قَدْ نُصِرُوا وَزَالَ عَنْهُمْ هَمُّهُمْ
 وَاللَّهُ يَخْزِيهِمْ مِنَ السَّمَاءِ
 لِلْمُسْلِمِينَ لَيْسَ فِيهِ كَسْرٌ
 حِينَ أَتَتْ بِقُوَّةٍ وَحِنَكَةٍ
 قَتْلًا وَالْأُتْرَكَ الْأَصْنَامَا
 وَالِدِينَ ظَلَّ لَمْ تَكُنْ قَدْ قَتَلْتَ
 فِي أَحَدٍ .. بَلْ زَادَتْ الرُّعَايَةَ

(١) هو وحشي بن حرب .

(٢) هو عبد الله والد جابر والباقيون هم : حنظلة بن أبي عامر ، وعمرو بن الجموح ، وابنه خلاد .

(٣) قاتل سعد بن الربيع حتى ألحقت الجراح فمر به بعض الصحابة وهو يجود بنفسه فقال له : « أما علمت أن محمداً قد قتل ؟ فقال سعد : أشهد أن محمداً قد بلغ رسالة ربه ، . فقاتل عن دينك فإن الله حي لا يموت »

(٤) قال أنس بن النضر لنفر قعود عن القتال : ما يقعدكم ؟ قالوا : قتل رسول الله ﷺ « أشيع ذلك » . قال أنس : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ ... « صور من حياة الرسول ص ٣٧٤ .

(٥) أي موتوا على ما مات عليه بنيكم إن كان صحيحاً ما نقل أو ما قاله المشركون في ذلك .

وَكُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّ اللَّهَ
وَعَلَّمَ الْأَتْبَاعَ وَالْإِسْلَامَا
مِنْ غَيْرِ مَا هُمْ لِدُنْيَا زَائِلَةٌ
فَكَانَ مَا كَانَ وَزَادَ نَصْرُهُ
قَدْ ابْتَلَى فِي أَحَدٍ مَنْ تَاهَا
كَيْفَ يَكُونُ صَفْهُمُ تَمَامَا
أَوْ فِي غَنِيمَةٍ وَنِيلٍ نَائِلَةٌ
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لِلْهُدَى وَأَزْرُهُ

حَمْرَاءُ الْأَسَدِ :

مِنْ بَعْدِهَا قَدْ تُودِي الْجِهَادُ
وَعَادَرَ النَّبِيُّ حَمْرَاءَ الْأَسَدِ
شَاعِرِهِمْ بِالْأَمْسِ لَمَّا أَطْلَقَهُ
عَادَ بِخُبْثٍ كَامِنٍ فِي النَّفْسِ
قَالَ لَهُ : لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ
لَغْزَوَةٍ ... فَأُخْزِيَ الْعِنَادُ
مَظْفَرًا وَمُتْسِكًا بِذِي الْحَسَدِ
لِأَهْلِهِ وَنَفْسِهِ فَأَعْتَقَهُ
وَبَاءَ بِالْإِثْمِ كَذَا بِالرُّجْسِ
جُحْرِ ، سَوَى وَاحِدَةٍ مَعَ الزَّمَنِ

غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ :

وَالْتَفَتَ النَّبِيُّ لِلْيَهُودِ
أَجَلَا بَنِي النَّضِيرِ إِذْ قَدْ خَانُوا
وَقَبِلُوا بَعْدَ الْحَصَارِ الْهَجْرَا
وَتَرَكُوا دِيَارَهُمْ غَنِيمَةً
وَبَعْضُهُمْ أَسْلَمَ فَأَقِيمَا
أَهْلُ الْهَوَى وَالنَّقْصِ لِلْيَهُودِ^(١)
وَأَزْرُوا الْكُفَّارَ ثُمَّ هَانُوا
جَزَاءَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ غَدْرًا
لِلْمُسْلِمِينَ سَهْلَةً هَزِيمَةً
فِي الْمُسْلِمِينَ آمِنًا كَرِيمًا

غزوة ذات الرقاع :

وَقَالَ بَعْضُ مَنْ رَوَا فِي السِّيَرَةِ أَنَّ النَّبِيَّ قَدْ غَزَا الْجَزِيرَةَ^(٢)

(١) أُنذِرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَصِيبَهُمْ مَا أَصَابَ غَيْرَهُمْ مِنْ غَدْرٍ . وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ غَيْرَ ابْنِ أَبِي رَجَبٍ فِي الْبَقَاءِ فِي الْمَدِينَةِ . وَقَدْ طَلَبَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَفَادَرَتَهَا . وَبَعْدَ أَنْ حَاصَرَهُمْ قَبِلُوا الْخُرُوجَ بِغَيْرِ سِلَاحٍ . فَأُخْرِجُوا « صُورَ مِنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ ص ٤٠٩ » .

(٢) غَزَا فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنِي مُحَارِبَ وَبَنِي ثَعْلَبَةَ . وَسَمِيَتْ الْغَزْوَةُ بِغَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِأَنَّ الْحِجَارَةَ أَوْهَنْتْ أَقْدَامَ الْمُجَاهِدِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ . فَكَانُوا يَشْدُونَ عَلَيْهَا رِقَاعَ الْخَرَقِ . الْمَصْدَرُ السَّابِقُ .

فِي رَابِعِ الْأَعْوَامِ مِنْ هِجْرَتِهِ «ذَاتِ الرَّقَاعِ» كَانَ فِي غَزْوَتِهِ
لَمَّا أَتَاهُ أَنْ بَنِي مُحَارِبٍ وَتَغَلَّبَ هَمَّتْ مَعَ الْكَتَائِبِ
كَيْمَا يَشْنُؤُوا غَارَةَ مُعْتَدِيَةٍ عَلَى الْهُدَى وَغَزْوَةَ مُبْتَدِيَةٍ
فَقَامَ ثُمَّ جَهَّزَ الرَّسُولُ جَيْشًا وَكَانَ هُمُّهُ الْوُصُولُ
إِلَيْهِمْ لَكِنَّهُمْ قَدْ هَرَبُوا إِلَى الْجِبَالِ مَا أَتَوْا وَاقْتَرَبُوا
وَاللَّهُ رَبِّي فَوْقَهُمْ قَدْ قَذَفَا رُغْبًا وَعَادَ الْمُسْلِمُونَ بِالْوَفَا

غزوة بدر الآخرة :

وَحَدَّثْتُ فِي الْعَامِ بَدْرُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ أَخْزَى كُلِّ نَفْسٍ جَائِرَةٍ^(١)
لِأَنَّهُ كَانَتْ قَرِيشُ وَأَعَدَتْ مُحَمَّدًا فِي بَدْرٍ لَكِنْ مَا وَفَتْ
إِذْ جَهَّزَ الرَّسُولُ فِي الْمِيعَادِ أَصْحَابَهُ فِي الدِّينِ وَالْوَدَادِ
وَجَاءَ غَيْرَ أَنَّهُ مَا وَجَدَا مِنْ أَهْلِ وَعْدِهِ لِيَذِرَ أَحَدَا
فَسُجِّلَتْ عَلَيْهِمْ هَزِيمَةٌ لِيَخُوفِهِمْ كَالْعَادَةِ الْقَدِيمَةِ

غزوة بني المصطلق^(٢) :

وُغْزِيَتْ أَيْضًا بَنُو الْمُصْطَلِقِ إِذْ ظَاهَرُوا لِحَرْبٍ كُلِّ مُتَّقِي
فَنَصَرَ اللَّهُ بِهِمَا النَّبِيَّ وَعَادَ مِنْ غَزَاتِهِ رَضِيًّا
سَاقَ الشَّيْءَ بَعْدَ أَنْ تُفْلَهَا فِيمَا، وَنَحْوَ يَثْرِبَ نَقْلَهَا
وَأَسَرَ النِّسَاءَ وَالذَّرِيَّةَ كَانَتْ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ عَطِيَّةٌ
مَا كَانَ يَنْغِي أَحْمَدُ حُرُوبَا وَلَا دِمَاءَ تَصْنَعُ الْكُرُوبَا
كَانَ يُرِيدُ الدِّينَ أَنْ يَنْتَشِرَا فِي النَّاسِ حَتَّى فِيهِ يَأْمَنَ الْوَرَى

(١) الذي وعد هو أبو سفيان لكنه لم يخرج إلى بدر كما وعد .

(٢) ورد في فقه السيرة . للدكتور سعيد رمضان البوطي ص / ٢٧٦ / ما نصه « ذكر ابن اسحاق وبعض علماء السيرة أنها كانت في العام السادس من الهجرة . والصحيح الذي ذهب اليه عامة المحققين أنها في شعبان من العام الخامس الهجري » .

لَكِنَّهُمْ صَدُّوا وَأَذُوا فَلِذَا حَارَبَهُمْ لِظُلْمِهِمْ وَمَا بَذَا .. ؟



مُحَمَّدٌ قَدْ أَطْلَقَ النِّسَاءَ
أَنْ يُؤْمِنَ الْقَوْمُ وَلَا يَنْصُرُوا
وَنَالَ فِي هَذِي الْعَزَا خَيْرًا
فَابْنُ أَبِي قَالَ : إِنْ رَجَعْنَا
لِيُخْرِجَنَّ مِنْهَا الْأَعْرُ غَيْرُهُ
فَبَلَغَ النَّبِيُّ ذَاكَ فَحَزِنَ
فَقَالَ مَا مَعْنَاهُ أَنْتَ الْأَمَكُنُ
بِحِكْمَةٍ وَرَحْمَةٍ رَجَاءَ
غَيْرِ الْهُدَى وَمَا سِوَاهُ يَحْذَرُوا
وَأَنْ أُنَى النِّفَاقَ فِي ذَا غَيْرِ
لِيُثْرِبَ وَوَزَرَئَا وَضَعْنَا
مِنَ الْأَذْلَيْنِ وَسَارَ سِيرُهُ
لِإِمَّا أَتَاهُ — وَالرَّحِيمُ قَدْ ضَمِنَ
فِيهَا ... أَعَزُّ عِنْدَنَا وَأُخْصِنُ

حَدِيثُ الْإِفْكِ (١) :

سُدَّتْ عَلَى الْمُنَافِقِ الدُّرُوبُ
فَضَحَهُ اللَّهُ فَبَانَ سِتْرُهُ
لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَجِ مِنْ رَبِّهِ
فَسَارَ يَسْعَى لِأَذَى النَّبِيِّ
فَاتَّهَمَتْ فِي هَذِهِ الْعَزَا
فَكَيْفَ يَهْدَا.. كَيْفَ لَا يَذُوبُ!؟
وَوَظَّهَرَ الْيَوْمَ لَطْفَهُ وَزْرُهُ
وَلَا نَبِيَّهِ وَلَا مِنْ حِزْبِهِ
وَذَاكَ سَيْرُ الْفَاحِشِ الْعَبِيِّ
عَائِشَةُ بِالْفُحْشِ وَالْأَذَا



حَاشَا ... وَحَاشَا أَثْمَنَا أَنْ تَفْعَلَا
صِدِّيقَهُ وَالِدَهَا الصَّدِّيقُ
مَعَاذَ رَبِّي مِثْلُ ذَا أَنْ يَخْصَلَا
وَزَوْجُهَا النَّقِيُّ وَالشَّفِيقُ

(١) للتفصيل : انظر فقه السيرة محمد الغزالي / ص ٣١١ .

أو فقه السيرة د . محمد سعيد رمضان البوطي ص (٢٧٩) .

أو السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص ٢٢٣ .

أو صور من حياة الرسول ﷺ (٤٠٨) .

أو نور العقين ص ١٥٥ وكتب السيرة الأخرى .

لَكِنَّهُ الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ
يُرِيدُ أَنْ تُشْعَلَ بَيْنَ النَّاسِ
لِيَصْنَعَ الْفِتْنَةَ وَالصُّدُودَا
اتَّهَمُوا عَائِشَةَ فَبَرَّاتُ
وَذَاكَ أَنْ قَالُوا : كَانَ عَائِشَةُ

يُرِيدُهَا أَنْ تُقْلَبَ الْحَقَائِقُ
فَيَقْذِفَ النَّبِيُّ بِالْأَرْجَاسِ
يَجْتَازُ مِنْ أَجْلِ الْهَوَى الْحُدُودَا
مِنْ رَبِّهَا .. وَفِتْنَةُ قَدْ هِدَاتُ
أَنْتَ وَصَفْوَانٌ وَتِلْكَ فَاحِشَةُ

وَالْحَقُّ إِنَّ الرُّكْبَ بَعْدَ الْعَزْوَةِ
تَرَكَهَا الرُّكْبُ وَسَارَ مَاشِيَا
فَمَرَّ صَفْوَانُ الَّذِي تَأَخَّرَا
مَرًّا عَلَى الدَّرْبِ هُنَاكَ فَرَأَى
أَنَّا رَحَلَهُ وَغَابَ وَابْتَعَدَ

قَدْ فَاتَ أُمُّ الطُّهْرِ أُمُّ النُّخْوَةِ
وَأَمْرُهَا مَا كَانَ فِيهِ فَاشِيَا
يَنْحُتُ عَنْ رَاحِلَةٍ . كَذَا جَرَى (١)
عَائِشَةُ زَوْجَ النَّبِيِّ فَنَأَى
فِي رِيَّةٍ .. حَاشَا وَحَاشَا مَا انْفَرَدَ

وَبَعْدَمَا بَانَ لَهُ أَنَّ رَكِبَتْ
ثُمَّ مَضَى يَقُودُ فِيهَا الرَّاحِلَةَ
كَانَ التَّقَى وَالنُّورُ وَالْإِيمَانُ
فَقَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوهُ

فِي الرَّحْلِ . مَا حَكَى وَلَا تَكَلَّمَتْ
حَتَّى غَدَتْ إِلَى الْأَمَانِ وَاصِلَةً
يَحْجُبُهُ أَنْ يُفْتَرَى الْبُهْتَانُ
خَابُوا وَبَاؤُوا بِالَّذِي جَاءُوهُ

وَوَجَدَ الْمُنَافِقُونَ دَرْبَا
فَبَعْدَ شَهْرِ أُنْزِلَتْ آيَاتُ
فِي سُورَةِ النُّورِ وَسَامَ لَمْ يَزَلْ
وَصَارَ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْبُهْتَانِ
حِكْمَةُ رَبِّي اقْتَضَتْ كَذَاكَ
وَعَاقَبَ اللَّهُ رَجَالَ الْإِفْكِ

وَاللَّهُ يَحْمِي جَبَّهُ وَيَأْبَى
تُبْرِئُ الْأُمَّ وَبَيْنَاتُ
لِزَوْجِ أَحْمَدٍ نَفَى عَنْهَا الزَّلْزَلُ
يُجْلَدُ إِنْ لَمْ يَأْتِ بِالْبُرْهَانِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَى أَلَا يَرَاكَ ؟ ! ..
فَعَيْشُهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَا فِي ضَنْكَ

(١) هو صفوان بن المعطل السلمي .

غزوة الخندق ^(١) :

بَنُو النَّضِيرِ بَعْدَمَا أَجْلَاهُمْ لَمْ يَهْدَأُوا بَلْ حَرَّضُوا قُرَيْشًا كَذًا بَنُو سُلَيْمٍ وَالْأَحْزَابُ إِذْ جَهَّزُوا آلَافٌ ثُمَّ أَقْبَلُوا مَنْ كَانَ هَذَا أَمْرُهُ يَخِيبُ قَدْ بَلَغَ النَّبِيُّ أَمْرُ الْجَيْشِ قَالَ : أَشِيرُوا أَيُّهَا الْأَصْحَابُ أَجَابَهُ سَلْمَانٌ إِنَّ الْخَنْدَقَ	مَحَمَّدٌ فِي الْأَرْضِ مَا خَلَّاهُمْ فَجَهَّزَتْ وَغَطَفَانُ جَيْشًا ^(٢) جَمِيعُهُمْ . لَكِنَّهُمْ قَدْ خَابُوا لِيُطْفِئُوا نَوْرَ الْهُدَى وَيَقْتُلُوا ^(٣) بِالْخِزْيِ وَالْعَارِ كَذًا يَوُوبُ وَبَأُ الْأَحْزَابِ فِي قُرَيْشِ تَصُدُّ عَنَّا كَيْدَهُمْ أَسْبَابُ نَحْفَرُهُ يُعِينُنَا فِي الْمُلْتَقَى ^(٤)
فَشَرَعَ الْأَتْبَاعُ حَالًا بِالْعَمَلِ جَمْعُ الْعَدُوِّ دُونَ أَنْ يُتْمُوا وَشَارَكَ النَّبِيُّ بِالْحَفْرِ وَقَدْ فَفُوجِي الْأَعْدَاءُ بِالطَّرِيقَةِ وَكَانَ جَمْعُ الْمُسْلِمِينَ أَلْفًا	حَتَّى أَتَمُّوا حَفْرَهُ وَمَا وَصَلَ إِنْجَازَهُمْ وَشَمَلَهُمْ يَلْمُوا شَجَعَهُمْ فِي حَفْرِهِ وَمَا قَعَدَ ^(٥) إِذْ لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِمْ عَتِيقَةٌ كَذَا وَالْفَيْنِ وَصَفٌ صَفًّا
وَحَاوَلَ الْأَحْزَابُ أَنْ يَقْتَحِمُوا إِذْ مَا اسْتَطَاعُوا أَبَدًا وَصُولًا لَكِنْ يَهُودَ أَشْعَلُوا الْفَتِيلَةَ	خَنْدَقَهُ لَكِنَّهُمْ قَدْ نَدِمُوا فَكُلُّ مَنْ حَامَ غَدَا قَتِيلًا بِالنَّقْضِ لِلْعَهْدِ ، وَذِي وَسِيلَةٍ

(١) كانت على ما جزم به ابن اسحاق ، وعروة بن الزبير ، وقنادة ، والبيهقي ، والجمهور من علماء السيرة في شوال سنة خمس للهجرة وقيل سنة أربع تفرد به موسى بن عقبة ورواه البخاري وتابعه في ذلك مالك . انظر فقه السيرة د . سعيد رمضان البوطي .

(٢) أي مع غطفان .

(٣) كان عدد الأحزاب والمشركين عشرة آلاف .

(٤) هو سلمان الفارسي رضي الله عنه .

(٥) عن البراء بن عازب قال : لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ . رأيته (أي رأى رسول الله) ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه . قال : وسمعه يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

يَفْعَلُهَا الْيَهُودُ فِي الْعُهُودِ
وَأَفْرَعَ الْأَتْبَاعَ نَقَضُ الْجِلْفِ
وَرَجَعَ الْمُتَافِقُونَ قَالُوا
حَتَّى لَقَدْ تَزَلَزَلِ الضَّعَافُ
لَكِنَّ إِيْمَانَ الرُّسُولِ الْمُصْطَفَى
دَعَاهُ أَنْ يَنْتَصِرَ الْإِسْلَامُ
فَجَاءَهُ نُعَيْمٌ قَالَ : مُرْنِي
فَسَارَ حَالاً لِبَنِي قُرَيْظَةَ
فَاخْتَلَفُوا فَأَرْسَلَ الرَّحْمَنُ
وَبَعَثَ الرِّيحَ بَلِيلَ مُظْلِمٍ
وَأَنْسَحَبُوا هَزِيمَةً وَرَدُّوا
قَدْ ثُبَّتِ الْإِيْمَانُ فِي الْقُلُوبِ

لَيْسَ ذَا مِنْ شِيْمَةِ الْيَهُودِ
وَأَشْتَهَرَتْ قُرَيْظَةُ بِالْخُلْفِ
دِيَارُنَا فَارِغَةً وَمَالُوا
فِي دِينِهِمْ وَأَرْجَفُوا وَخَافُوا
يَزْدَادُ بِالرَّحْمَنِ لَا لَنْ يَضْعُفَا
بِهِ وَأَنْ تَنْفَرِجَ الْآيَامُ
فَقَالَ : خَذَلْ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِّي^(١)
ثُمَّ قُرَيْشاً زَارِعاً نَقِيضَةً
خَوْفاً إِلَى الْأَحْزَابِ حَيْثُ هَانُوا
إِلَيْهِمْ فَاقْتَتَلُوا ... لِمَغْنَمٍ
لِمَكَّةٍ فَخَسِرُوا وَصُدُّوا
وَأَنْتَصَرُوا بِهِ عَلَى الْكُرُوبِ

جزاء بني قريظة : (٢)

وَالْتَفَتَ النَّبِيُّ لِلْيَهُودِ
بَنِي قُرَيْظَةَ أَتَى مُحَمَّدٌ
فِي وَقْتِ حَرْبِهِ مَعَ الْعَدُوِّ
نَحَاثُوا الْعُهُودَ ثُمَّ آزَرُوا الْعِدَا
وَبَعْدَ ذَا تَنَصَّلُوا مِنْ فِعْلِهِمْ

أَهْلِ الْأَذَى وَالْكَفْرِ وَالصُّدُودِ
حَاصِرَهُمْ بِمَا عَتَوْا وَأَفْسَدُوا
وَمَنْ أَتَى بِالْبَغْيِ وَالْعُتُوِّ
مَا أَعْظَمَ الذَّنْبَ الَّذِي مِنْهُمْ بَدَا
هَذَا الَّذِي وَاعْتَذَرُوا بِجَهْلِهِمْ

(١) نعيم بن مسعود الأشجعي .

(٢) ورد في تهذيب سيرة ابن هشام قوله : « فلما كان الظهر (أي من يوم الخندق) أتى جبيل عليه السلام رسول الله ﷺ معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة (سرج) عليها قطعة من ديباج فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم . فقال جبيل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم . إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة . فإني عامد إليهم فمزول بهم . فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس من كان سامعاً مطيعاً . فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة .

تهذيب ابن هشام ج ٢ ص ٣

لَكِنَّ مَنْ سَجِيَّةً قَدْ جَارَا
جَرَبُهُمْ نَبِيْنَا فَمَا وَجَدَ
لِذَاكَ حُوصِرُوا إِلَى أَنْ أُنْزِلُوا
سَعْدٌ بِهِمْ بِالْحَقِّ كَانَ قَدْ حَكَمَ
فَقَالَ : يُقْتَلُ الرَّجَالُ مِنْكُمْ
تُسَبَّى النِّسَاءُ بَعْدُ وَالذَّرِيَّةُ
هَذِي نِهَآةِ الَّذِينَ ظَاهَرُوا
لَمْ يَبْقَ فِي مَدِينَةِ الرَّسُولِ
لِمَآرِبٍ فِي نَقْضِهِ الْمِيثَاقَا
وَأَنْتَصَرَ الدِّينُ عَلَى الْأَحْزَابِ
وَعُزِّزَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ الْخَنْدَقِ

أَيَقْبَلُ الْحَقُّ لَهُ اغْتِذَارَا ؟
عِنْدَهُمْ إِلَّا الصُّدُودَ وَالْحَسَدَ
فِي حُكْمٍ مَنْ يَرْضَوْنَهُ وَأَقْبَلُوا (١)
مَا كَانَ عِنْدَ حُكْمِهِ بِمُتَّهِمٍ (٢)
كَذَاكَ حُكْمِي ، وَكَذَاكَ أَنْتُمْ
يَا سَعْدُ .. نِعَمَ الْحُكْمُ وَالرُّوِيَّةُ (٣)
عَلَى الْهَدَى وَمَنْ سَوَاهُ نَاصَرُوا
بَاغٍ مِنَ الْيَهُودِ لِلْوُصُولِ
وَزَرْعِهِ الْخِلَافَ وَالشُّقَاقَا
بِالْعَزْمِ وَالْحَزْمِ وَالْأَسْبَابِ
وَفَازَ بِالَّذِينَ رَجَالُ الْمَنْطِقِ

★ ★ ★
وَأَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى النِّسَاءِ
وَفَرَضَ الْحُجَّ عَلَى الْمُطِيقِ
★ ★ ★
فِي سَادِسِ الْأَغْوَامِ مِنْ هَجْرَتِهِ
غَزَا رَسُولُ اللَّهِ آلَ الْغَابَةِ
ثُمَّ غَزَا لَحْيَانَ إِذْ هُمْ قَتَلُوا
غَدْرًا وَخَانُوا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَا

أَنْ يَخْتَجِبْنَ الْيَوْمَ بِالْغَطَاءِ
لِمَكَّةَ وَالْمَسْجِدِ الْعَتِيقِ
★ ★ ★
كَمَا رَوَى الرَّوَاةُ فِي سِيرَتِهِ
رَدَّ جِمَالَهُ إِلَى الصَّحَابَةِ (٤)
عَاصِمٍ فِي الرَّجِيعِ ثُمَّ فَعَلُوا
كَانَ النَّبِيُّ يَبْتَغِي اللَّحَاقَا (٥)

(١) حاصره رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب . المصدر السابق ص ٤ .

(٢) هو سعد بن معاذ . ارتضاه بنو قريظة حكماً . لأنه كان سيد الأوس . وبنو قريظة هم حلفاء الأوس . كما كان بنو قينقاع حلفاء الخزرج .

(٣) قال رسول الله ﷺ لسعد بعد حكمه : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » أي سموات .

(٤) هي غزوة ذي قرد . وذلك أن عيينة بن حصن الفزاري قدم في خيل من غطفان على ابل لرسول الله ﷺ في (الغابة) . وفيها رجل من غفار وامرأة له . فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة مع الإبل . فجمعهم رسول الله ﷺ حتى رد الإبل . وعادت المرأة أيضاً .

(٥) ورد في تهذيب سيرة ابن هشام أن غزوة بني لحيان كانت قبل الغزوة السابقة « ذي قرد » وذلك أن بني لحيان قتلوا خبيب ابن عدي وأصحابه الذين أرسلهم رسول الله ﷺ لتعليمهم أحكام الإسلام وقد أراد رسول الله ﷺ في غزوته هذه اللحاق بهم وتأديبهم .

بِهِمْ وَلَكِنْ تَرَكُوا وَهَرَبُوا
فَرَجَعَ النَّبِيُّ ثُمَّ قَالَ :
حَمْدٌ عَلَى مَا بِالْهُدَى قَدْ أَنْعَمَا
مِنْ دَارِهِمْ وَلَا مَا اقْتَرَبُوا
بِالْخَيْرِ أَنْبَا ، وَلَهُ تَعَالَى ^(١)
نَعُودُ ، يَا رَبَّ الْهُدَى ، مِنْ الْعَمَى

★ ★ ★

وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ فِي السَّرَايَا
يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّبَ الذَّيْبَنَ
سَرِيَّةً بَعَثَهَا (لَبَكْرٍ) ^(١)
ثُمَّ سَرِيَّةً أَتَتْ (سُلَيْمًا) ^(٢)
ثُمَّ إِلَى قُرَيْشٍ أَيْضًا أُرْسِلَتْ
كَذَا سَرِيَّةٌ (لِلْأَلِ ثَعْلَبَةٍ) ^(٣)
وغيرها ، وَغَيْرَهَا وَتُصِرَتْ
وَأُدْبِتْ (عُكْلَةً) وَ (عَرِينَةً)
حَاسُوا النَّبِيَّ جَحَدُوا وَكَفَرُوا
قَتَلَهُمْ نَبِينَا مُؤَدِّبًا ..
بَعْضًا .. فَفَاءُوا بَعْدُ بِالْعَطَايَا
قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَذَى نَبِينَا
وَ (أَسَدٍ) وَ (قَصِيَّةٍ) ^(٤) ذِي الْكُفْرِ
يَقُودُهَا زَيْدٌ أَتَى رَحِيمًا
سَرِيَّةً فَازَتْ بِهَا وَأَقْبَلَتْ ^(٥)
ثُمَّ (فَزَارَةً) وَ (كَلْبُ) الْمَثَلَبَةِ ^(٦)
كُلُّ السَّرَايَا ، وَقُرَيْشٌ هَزِمَتْ
وَأَنْقَلَبَتْ مَهْزُومَةً حَزِينَةً
وَقَتَلُوا أَنْصَارَهُ وَعَاذُوا ... !
مَنْ كَانَ ظَنُّ أَنْ فِي الدِّينِ غَبَا

(١) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : آيُونَ تَائِبُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَرَبِّنَا حَامِدُونَ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَسُوءِ الْمُنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ .

(٢) وَهِيَ سَرِيَّةٌ ضَرِبَهَا . كَانَ أَمِيرُهَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ وَعَدَدَ أَفْرَادِهَا ثَلَاثِينَ أُرْسِلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي بَكْرٍ .

(٣) ذِي الْقِصَّةِ مَكَانٌ يَقَعُ عَلَى أَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ مِيلًا مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ مِنْ نَاحِيَةِ الْحِجَازِ . وَقَدْ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً فِي طَلَبِ بَنِي ثَعْلَبَةٍ .

(٤) هِيَ سَرِيَّةُ الْحُمُومِ بَعَثَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ .

(٥) سَرِيَّةُ الْعِيصِ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِي مِائَةِ وَسَبْعِينَ رَاكِبًا . إِلَى (الْعِيصِ) لَتَعْتَرِضَ عِيراً لِقُرَيْشٍ .

(٦) سَرِيَّةُ الطَّرَفِ بَعَثَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدًا إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةٍ بِنَاحِيَةِ الطَّرَفِ وَهِيَ مَاءُ بِطَرِيقِ الْعِرَاقِ . أَمَّا سَرِيَّةُ وَادِي الْقُرَى فَقَدْ أُرْسِلَتْ إِلَى خِزَارَةٍ .

(٧) وَهَوْمَةُ الْجَنْدَلِ : أُرْسِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهَا سَرِيَّةً فِي طَلَبِ الْكَلْبِيِّينَ . اسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ وَخَرَجَ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَحْوُ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ لَا يَحْمِلُونَ مِنَ السِّلَاحِ إِلَّا السِّبْوَ فِي أَغْمَادِهَا .

القسم الرابع
الفجر المبين

عُمْرَةُ الْحُدَيْيَةِ :

كَانَ النَّبِيُّ قَدْ رَأَى الْمَنَامَا
فَوَعَدَ الْأَصْحَابَ بِالْقُدُومِ
لَا لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا مُحَارِبًا
يُرِيدُ عُمْرَةَ يَطُوفُ فِيهَا
فَاسْتَنْفَرَ الْأَعْرَابَ كَيْمَا يَنْصُرُوا
قُرَيْشَ حَتَّى بِالْقُدُومِ تَأْذَنَّا
لَكِنَّمَا الْأَعْرَابُ لَمْ يَقُومُوا
فَقَامَ أَحْمَدُ يَقُودُ هَذِيه
لِيُشْعِرَ النَّاسَ بِأَن لَمْ يَأْتِهِمْ

فِيهِ يَزُورُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَا
لِمَكَّةَ وَالْمَحَقِّ لِلْهُمُومِ
قُرَيْشَ فِي ذَا لَمْ يَكُنْ مُعَالِيَا
بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِذْ يَأْتِيهَا
قُدُومُهُ فِي ذَا وَكَيْمَا يُخْبِرُوا
وَالْحَرْبُ تَنَاضَى عَنْهُمْ وَتُؤَمِّنَا
بِنَصْرِهِ ، فَمَا أَتَى الْقُدُومُ^(١)
وَالَهُ وَصَحْبَهُ وَفَدِيه
إِلَّا لِعُمْرَةِ .. وَلَا لِبَغْتِهِمْ

★ ★ ★

فَعَزَمَتْ قُرَيْشُ أَنْ لَا يَدْخُلَا
إِلَّا بِإِذْنٍ مِنْهُمْ لَا رَغْمَا
إِذْ وَصَلَ النَّبِيُّ لِلْحُدَيْيَةِ
فَارْسَلَتْ قُرَيْشُ ابْنَ عُلْقَمَةَ
وَجَاءَ عُرْوَةَ فَلَمَّا شَاهَدَا
يَقُولُ : مَا جَاءَ لِحَرْبٍ إِنَّمَا
بَيْتًا حَرَامًا فَيُودِي نُسْكُهُ
لَكِنْ قُرَيْشًا رَضِيَتْ فِي الْقَابِلِ
وَأَنْ يُرَدَّ الْيَوْمَ ثُمَّ يَدْخُلُ
وَبَعَثَ النَّبِيُّ عُثْمَانَ لِكِنِّي
لَكِنْ أَشِيعَ أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ

مُحَمَّدٌ مَكَّةَ ، أَوْ أَنْ يَصِلَا
فَرَادَ فِي الْقُلُوبِ ذَاكَ هَمًّا
بِهَا أَقَامَ الْحَجَّ ثُمَّ التَّلْيِيَةَ
كَذَا بَدِيلًا ، لِتَرَى مَا أَقْدَمَهُ^(٢)
وَجَالَسَ النَّبِيَّ ، رَاحَ عَائِدَا
جَاءَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ كَنِي يُعْظَمَا
خَلُوا الدَّمَاءَ لَا نَرِيدُ سَفْكُهُ
أَنْ يَدْخُلَ النَّبِيُّ ، لَا فِي الْعَاجِلِ
فِي السَّنَةِ الْأُخْرَى كَذَاكَ يَفْعَلُ
يُقَاوِضَ النَّاسَ فَيَطْوِي الْحَرْبَ طِي^(٣)
وَوَفْدُهُ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَا قُبِلَ

(١) القدوم : أي قدوم الاعراب .

(٢) الحليس بن علقمة سيد الأحابيش . وعروة بن مسعود سيد بني لقيف .

(٣) عثمان بن عفان رضي الله عنه

فَصَمَّمُ النَّبِيَّ أَنْ يُحَارِبَا
وَقَدْ دَعَا الْأَتْبَاعَ كَيْ يُبَايَعُوا
فَبَايَعُوا عَلَى الْمَمَاتِ إِنْ لَمْ
وَعَادَ مَنْ إِلَى النَّجَاشِيِّ هَاجَرُوا
خَافَتْ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا وَفَاوَضَتْ
فَأَرْسَلَتْ سُهَيْلَ لِّلْمُكَالْمَةِ
فَعَقَدَ الصُّلْحَ وَقَدْ تَضَمَّنَا
مِنْ بَيْنِهِ أَنْ يَرْجِعَ الرَّسُولُ
وَأَنْ تُزَالَ الْحَرْبُ ثُمَّ تَرْفَعَا
وَأَنْ يُعَادَ مَنْ أَتَاهُ مُسْلِمًا
وَمَنْ أَرَادَ حِلْفَ دَيْنِ أَحْمَدَ
ثُمَّ انْتَهَى الْأَمْرُ ، وَقَالَ أَحْمَدُ
وَأَعْتَمِرُوا مِنْ هَاهُنَا وَإِنَّا
وَرَجَعُوا وَكَانَ عُثْمَانُ رَجَعَ
وَأَحْمَدُ لِفَدْيِهِ كَانَ نَحْرُ
وَكَانَ ذَاكَ الْعَهْدُ نَصْرًا لِلْهُدَى
إِذْ طَلَبَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تَحُلَّا
هَزِيمَةً وَكَانَ كَالْبَلَاءِ
أَبُو بَصِيرٍ كَانَ وَالْجَمَاعَةُ

قُرَيْشَ أَنْ يُرْسِلَهُ يُطَالِبَا
بَيْعَةَ رِضْوَانٍ ، وَكَيْ يُتَابَعُوا
يَعُدُّ إِلَيْهِمْ سَالِمًا وَيَسْلَمُ
جَاءُوا إِلَى مُحَمَّدٍ وَنَاصَرُوا
لِلصُّلْحِ أَخْمَدًا وَكَانَتْ نَاجَزَتْ
فِي الصُّلْحِ وَالِدِّفَاعِ وَالْمُسَالَمَةِ (١)
شَيْئًا لِنَصْرِ الْحَقِّ كَانَ أَضْمَنَّا
وَبَعْدَ عَامٍ يُمَكِّنُ الْوُصُولُ
أَوْرَاقَهَا مِنْ بَعْدَ عَنْهُمْ تُمْنَعَا
وَلَا يُعَادَ مَنْ أَقَامَ فِي الْعَمَى
وَعَهْدِهِ وَحِزْبِهِ لَمْ يَتَعَدِ
أَنْ أَحْلَقُوا رُؤُوسَكُمْ وَمَجِدُوا
إِنْ شَاءَ رَبِّي دَاخِلُونَ أَمْنًا
لَمْ يَلْقَ صَدًّا مِنْهُمْ وَلَا فَرْغَ
مُبَشِّرًا بِالنَّصْرِ ثُمَّ وَالظَّفَرُ
فِيهِ وَمِنْهُ نَصْرُهُ قَدْ ابْتَدَا
عَهْدًا بِهَا لِأَنَّهُ أَحَلَّا
أَتَاهُمْ بِالضِّيْقِ لَا التَّمَاءِ
مِمَّنْ أُعِيدُوا ، صَادَرُوا الْبِضَاعَةَ (٢)

(١) سهيل بن عمرو . وقد اتفق الفريقان على :

(أ) الهدنة لفترة عشر سنين

(ب) تأجيل العمرة الى العام القادم .

(ج) أن يرد الى قريش من جاء منها وأن لا يترد قريش من جاءها من المسلمين

(د) أن يكون التحالف حراً «من شاء دخل في حلف قريش . ومن شاء دخل في حلف رسول الله ﷺ» .

صور من حياة الرسول ص ٤٦١

(٢) هو عتبة بن أسيد الثقفي (أبو بصير) نزل مكاناً على ساحل البحرين بين (العيص) و (ذي المروة) من أرض جهينة وهناك قعد بطريق قريش كلما مرت تجارة لها أغار عليها .. وقد انفلت اليه أبو جندل بن سهيل بن عمرو ومعه سبعين ممن أسلموا أيضاً ... « صور من حياة الرسول ص ٤٧٣ .

وَوَقَّفُوا عَلَى طَرِيقِ الْقَافِلَةِ
 حَتَّى عَلَى قُرَيْشٍ قَدْ تَعَكَّرَتْ
 فَرَغِبَتْ أَنْ تَنْتَهِيَ الْمُعَاهِدَةُ
 لِلْمُسْلِمِينَ إِذْ أَتَاهُمْ هَيْئًا
 إِذْ فُتِحَتْ أَبْوَابُ نَشْرِ الْخَيْرِ
 فِي ذَاكَ إِذْ قَدْ بَدَأَ الرَّسُولُ
 لِلْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَلِلْهُدَايَةِ
 إِذْ قَدْ ثَرَى ذَاهِبَةٌ أَوْ قَافِلَةٌ
 مَسَالِكُ الرِّيحِ وَقَدْ تَنَكَّرَتْ
 وَحَقَّقَ اللَّهُ بِذَاكَ الْفَائِزَةَ
 «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا» بَيْنَا
 فِي دَوَلٍ شَتَّى وَ مَا مِنْ خَيْرٍ
 يُكَاتِبُ الْمُلُوكَ كَمَا يُؤُولُوا
 وَتِلْكَ كَانَتْ لِلنَّبِيِّ غَايَةً

رسائله ﷺ إلى الملوك :

كَاتَبَ قَيْصَرَ كَذَا وَالْحَارِثَا
 وَرَاسَلَ الْمُقَوْسَ الْعَظِيمَا
 عَلَى الْهُدَى وَالْخَيْرِ يَا مُقَوْسُ
 وَبَعَثَ النَّبِيُّ لِلنَّجَاشِي
 كَذَا وَرَاسَلَ النَّبِيُّ هُوَذَةَ
 وَبَعَثَ الرَّسُولُ تَخُوَ الْمُنْدِرِ
 أَمَّا أَخُو الرُّومِ فَكَانَ آثَرَا
 كَذَا أَخُو بُصْرَى يَرُدُّ رَدًّا
 لَكِنْ أَمِيرَ الشَّامِ يَنْغِي حَرْبَا
 أَمَّا أَخُو مِصْرَ فَرَدَّ خَيْرَا
 وَمَلِكُ الْأَخْبَاشِ كَانَ أَسْلَمَا
 وَرَدَّ كَسْرَى أَقْبَحَ الرُّدُودِ
 وَكَانَ لِلشَّامِ كَذَاكَ بَاعِثَا (١)
 يَدْعُوهُ : أَنْ أَسْلِمَ وَكُنْ مُقِيمَا
 اللَّهُ تَأْتِي بَعْدَ ذَاكَ الْأَنْفُسُ
 ثُمَّ لِكَسْرَى صَاحِبِ الْفَرَاشِ
 بِنَ عَلِيٍّ فَأَتَى الْمَنْبُودَةَ (٢)
 ثُمَّ إِلَى عَمَّانَ بِالْمُبَشِّرِ
 مُلْكًا عَلَى الْحَقِّ وَكَانَ تَاجِرَا
 يَقْتُلُ فِيهِ رُسُلَهُ وَصَدَا
 وَالْكَفَرِ وَالْعِنَادِ ثُمَّ الضَّرْبَا
 وَلَمْ يَكُنْ عَاتٍ وَلَا كُفُورَا
 وَبَايَعَ النَّبِيُّ فِيمَا أَقْدَمَا
 بِالْجَهْلِ وَالْعِنَادِ وَالصُّدُودِ

(١) «بعث النبي ﷺ دحية بن خليفة إلى قيصر ملك الروم . وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس . وبعث

عمرو بن أمية إلى النجاشي ملك الحبشة ، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم القبط . وبعث شجاع بن وهب إلى

الحارث الغساني ملك تغوم الشام» المصدر السابق ص ٤٩٨

(٢) وقد أرسل رسول الله ﷺ سليط بن عمرو العامري إلى هوزة بن علي ملك الإمامة . والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى

ملك البحرين — نور اليقين ص ٢٠٠ — ٢٠٢ .

فانتقم الله العَظِيمُ مِنْهُ إِذْ أَبْعَدَ الْحَقُّ الشَّقِيَّ عَنْهُ
وَأَسْلَمَ الْمُنْذِرُ فِي الْبَحْرَيْنِ وَمَلِكًا عُمَانَ بَعْدَ اللَّيْنِ
وَطَهَّرَ النَّبِيُّ بَعْدَ ذَاكَ خَيْرَ مَنْ يَهُودِيَهَا هُنَاكَ^(١)

★ ★ ★

فتح خير :

كَانُوا يُجِبُّونَ الْأَذَى وَالْمَوْتَ لِلْمُسْلِمِينَ كُلَّهُمُ وَالْفَوْتَ
وَسَاعَدُوا قُرَيْشَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ لَمْ تَلَقْ مِنْهُمْ . نَاصِرًا لِلْمَنْطِقِ
لِذَا تَجَهَّزَ النَّبِيُّ ثُمَّ جَهَّزَ أَصْحَابًا لَهُ وَهَمًّا
حَتَّى غَزَا خَيْرَ ثُمَّ حَاصِرًا مَنْ كَانَ غَدَارًا بِهَا وَمَاكِرًا
نَصَرَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ ذَوِي الْأَذَى وَالْكَفْرِ وَالْجُحُودِ

★ ★ ★

الكتف المسمومة :

وَأُهِدِيتْ شَاةٌ لَهُ وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَأْكُلَهَا أَلَمَّا^(٢)
شَيْءٌ بِهِ ، وَقَالَتِ الْعِظَامُ إِنِّي مَعِيَ السُّمُّ فَلَا طَعَامُ
فَلَفَظَ النَّبِيُّ مَا كَانَ مَضْغُ أَمَّا الصَّحَابِيُّ فَقَدْ كَانَ انْصَدَغُ^(٣)
كَانَ الْيَهُودُ يَتَتَّبِعُونَ قَتْلَهُ وَاللَّهُ يَذِرُنِي مَا يُرِيدُ فِعْلُهُ
نَجَّاهُ مِنْ امْرَأَةِ الْيَهُودِ حَيْثُ أَتَتْ بِالسُّمِّ لِلدُّودِ^(٤)

(١) تقع خير بين المدينة والشام على بعد مائة ميل من المدينة وهي منطقة خصيبة اشتهرت بحصونها ومزارعها ونخلها . غدر يهودها وحاولوا غزو النبي ﷺ وكادوا للمسلمين فغزاهم الرسول ﷺ في السنة السابعة من الهجرة في شهر محرم في ألف وستمئة من أصحابه . وقد استخلف على المدينة سباع بن عرفة ..
نور اليقين ص ٤٧٩ .

(٢) التي أهدت اليه هي زهبة بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم — وقد أكثر له السم في ذراع الشاة . ولما وضعها بين يديه تناول الدراع فلاك منها مضغة فلم يسفها . وكان معه بشر بن البراء بن معرور . وقد لفظ رسول الله ﷺ ما أكل . وقال «إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم» .. ومات بشر من أكلته التي أكل .. « صور من حياة الرسول ص ٤٩٠ .

(٣) المقصود أنه تولى .

(٤) دعا الرسول ﷺ بها فاعترفت فقال : ما حلك على ذلك ؟ قالت : «بلغت من قومي مالا يخفى عليك . فقلت : إن كان ملكاً اسرحنا منه . وإن كان نبياً فسيخير» . المصدر السابق .

عُمْرَةُ الْقَضَاءِ :

وَبَعْدَ أَنْ حَلَّ مِنَ الزَّمَانِ حَوْلَ عَلَى الصُّلْحِ أَخِي الْأَمَانِ
تَجَهَّزَ النَّبِيُّ وَالْأَنْصَارُ وَيَمُمُّوا شَطْرَ النَّدَى وَسَارُوا^(١)
سُيُوفُهُمْ فِي الْغَمْدِ خَوْفًا مِمَّا قَدْ يَغْدُرُ الْكُفَّارُ فِيهِ هَمَّا
وَدَخَلُوا الْبَيْتَ وَفِيهِ اعْتَمَرُوا وَمُشْرِكُو قُرَيْشٍ يَوْمًا نَفَرُوا
أَرْوَهُمُ الْقُوَّةَ فِي الْأَجْسَادِ وَالْعِزْمَ فِي الْوُجُوهِ وَالْأَغْمَادِ^(٢)
وَفَرِحَ النَّبِيُّ إِذْ أَتَمَّا مَا كَانَ بِالْأَمْسِ رَأَهُ حُلَمًا



وَصَالَحَتْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ فَذَكَ فَحُقِنَتْ دِمَاؤُهُمْ وَانْفَكُوا
كَذَاكَ تَيْمَاءُ النَّبِيِّ صَالَحَتْ فِي جِزْيَةٍ تَذْفَعُهَا وَمَا عَتَتْ
أَمَّا يَهُودُ ذِي الْقُرَى فَقَدْ أَبَوَا فَقَاتِلُوا بِقُوَّةٍ وَأَذْبُوا
وَأَرْسَلُوا شَطْرَ الثَّمَارِ فِدْيَةً لِقَاءَ أَنْ يَحْمِيَهُمْ وَجِزْيَةً
من بعد هذا الفتح جاءَ خَالِدٌ نَجْلُ الْوَلِيدِ مُهْتَدٍ يُرَاوِدُ
مُحَمَّدًا .. يُغْدُو كَبْعُضٍ جُنْدَهُ وَمِنْ هُنَا بَدَأَ الْفَتَى فِي مَجْدِهِ
وَجَاءَ عُمَرُو^(٣) مُسْلِمًا لِلَّهِ يَرْجُو الْقَبُولَ مِنْ عَظِيمِ الْجَاهِ
وَقَدِمَ ابْنُ الْعَبْدَرِيِّ مُسْلِمًا وَهَاجِرًا مَا كَانَ فِيهِ مِنْ عَمَى^(٤)
ثُمَّ غَدَا الْجَمِيعُ جُنْدَ الْحَقِّ يُجَاهِدُونَ فِي الْهُدَى بِالصِّدْقِ

(١) كان عدد الصحابة الذين شاركوا في عمرة القضاء ألفين سوى النساء والصبيان . وقد استخلف الرسول ﷺ أبا ذر

الغفاري على المدينة وساق من الهدي ستين بدنة . وأحرم من باب المسجد ثم سار يليي والمسلمون يلبون معه .

(٢) «دخل رسول الله ﷺ الكعبة . وظل بها حتى جاء وقت الظهر فأمر بلالاً فأذن فوق ظهر الكعبة . فعاظ ذلك المشركين غيظاً شديداً ...»

(٣) هو عمرو بن العاص .

(٤) عثمان بن أبي طلحة العبدي .

وَقَبْلَ عُمْرَةِ الْقَضَاءِ أَرْسَلَ مُحَمَّدٌ جُنُودَهُ لِمَنْ عَلَا (١)
كَيْمَا يُطَهِّرَ الْبِلَادَ مِنْ يَثِيرِ فِتْنَةٍ وَذَاكَ أَضْمَنَ

مَعْرَكَةُ مُؤَتَةَ :

وَجَهَّزَ النَّبِيُّ جَيْشًا بَعْدَهَا فَقَتَلَتْ رَسُولَهُ إِذْ كَفَرَتْ كَانَ أَمِيرَ الْجَيْشِ زَيْدًا وَمَعَهُ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَيْضًا فِيهِ	يُرِيدُ بُصْرَى إِذْ أَرْتُهُ صَدَّهَا بِاللَّهِ مَا وَعَتْ وَلَا تَفَكَّرَتْ (٢) جَعْفَرُ .. يَأْتِي لِلْعَدُوِّ فَيَقْمَعُهُ (٣) لَقِيَهُ فِي الْحَرْبِ مَا لَقِيَهُ
أَوْصَاهُمُ الرَّسُولُ أَنْ يُصَابِرُوا لَا يَقْتُلُوا طِفْلاً وَلَا وَلِيداً فَبَلَّغُوا مُؤَتَةَ ثُمَّ شَاهَدُوا رَمَى الْأَمِيرُ زَيْدٌ حَتَّى اسْتَشْهَدَا إِذْ أَخَذَ الرَّايَةَ ثُمَّ قَاتَلَا حَتَّى إِلَى اللَّهِ غَدَا وَالْجَنَّةُ وَابْنُ رُوحَةَ كَذَاكَ جَاهِدَ حَتَّى تَوَفَّاهُ الْعَلِيمُ الْقَادِرُ	فِي اللَّهِ ثُمَّ أَنْ لَهُ يُثَابِرُوا (٤) وَلَا مُسَالِمًا وَلَا عَيْدًا جَيْشًا كَثِيراً جَمَعَهُ فَجَالَدُوا وَجَعْفَرُ كَمِثْلِ زَيْدٍ قَدْ غَدَا بِقُوَّةٍ وَحِنْكَةٍ وَوَاصِلَا حَيْثُ النَّعِيمُ وَالْعَطَا وَالْمُنَّةُ وَقَاتَلَ الْكُفَّارَ ثُمَّ جَالَدَا وَنَاصِرُ الْحَقِّ الْمُعَزُّ الْقَاهِرُ
فَأَخَذَ الرَّايَةَ خَالِدٌ وَقَدْ حَتَّى أَخَافَ الرُّومَ ثُمَّ كَرَا قَالَ الرَّسُولُ إِنَّهُمْ كُرَّارُ	قَاتَلَ فِي اللَّهِ الْعَظِيمِ وَصَمَدُ (٥) وَقَلْبَ ، الرَّايَ فَعَادَ حُرّاً فِي الْحَرْبِ لَا .. لَا مَا هُمُ الْفَرَارُ

(١) أرسل سراياه الى هوازن والى بني مرة في لندك ، والى عينة بن حصن وجماعة من غطفان ... « نور اليقين ص ٢٠٩ — ٢١٠ .

(٢) الذي قتل رسول الله الحارث بن عمير هو شرحبيل بن عمرو الفسائي . صور من حياة الرسول ص ٥١٥

(٣) كان الأمراء . زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن ربيعة . وكان عدد الجيش ألفين .

(٤) من بين وصايا رسول الله ﷺ لهم : « اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام ، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع

معززين فلا تعرضوا لهم . ولا تقطعوا امرأة ولا صغيراً ولا بصيراً فانياً . ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء » ...

(٥) خالد بن الوليد رضي الله عنه .

فتح مكة (الفتح الأعظم) :

تَطَّلَعَ الرَّسُولُ نَحْوَ مَكَّةَ
مَتَى قُرَيْشٌ تَقْبَلُ الْإِسْلَامَا
وَاللَّهِ إِنْ أَرَادَ أَمْرًا هَيَّأَ
أَرَادَ رَبِّي أَنْ يُظِلَّ الدِّينَ
كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ فِي طَرِيقِ
فَكَانَ فَتْحُ مَكَّةَ وَنَصْرُ مَنْ
أَسْبَابُ ذَاكَ الْفَتْحِ أَنْ قَدْ اعْتَدَتْ
خُزَاعَةٌ كَانَتْ تُحَالِفُ الْهُدَى
فَقَامَ بَكْرِيُّ لِيَهْجُو الْمُصْطَفَى
فَقَارَتِ النَّفْسُ تُرِيدُ الثَّأْرَا
لَكِنَّهَا سُرْعَانَ مَا تَذَكَّرَتْ
فَأَرْسَلَتْ رَعيَمَهَا تُرِيدُ
جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ نَحْوَ يَثْرِبَ
قَالَ النَّبِيُّ : إِنَّا فِي الْعَهْدِ
قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَا .. فَلَمْ يُجِبْ
فَعَادَ بِالْخَيْبَةِ لَا بِالْخَيْرِ

وَالشِّرْكَ فِيهَا هَلْ يَحِينُ دَكَّةُ ؟...
جَمِيعَهَا وَتَهْجُرُ الْأَصْنَامَا ؟!..
أَسْبَابُهُ حَتَّى أَتَى وَمَا نَأَى .
قُرَيْشَ وَالْجَمِيعَ كَيْ يَكُونُوا
حَيَاتِهِمْ فِي الْمَسْجِدِ الْعَتِيقِ
لِلْحَقِّ يَدْعُو.. لَا لِحَرْبٍ أَوْ مِحْنٍ

بِكُرٍّ عَلَى خُزَاعَةٍ وَمَا رَعَتْ^(١)
وَبِكُرٍّ كَانَ حِلْفُهَا مَعَ الْعَدَى
عِنْدَ خَزَاعِيٍّ وَمَا كَانَ وَفَى
ثُمَّ قُرَيْشٌ قَدْ أَعَانَتْ بِكُرًا
مِثْلَاقَهَا مَعَ الْهُدَى وَفَكَّرَتْ
امْتِدَادَ عَهْدٍ وَلَهُ تَزِيدُ
وَفِي قَوَادِهِ الْهُمُومُ تَخْتَبِي
لَا زَالَ بَيْنَنَا .. فَهَلْ مِنْ رَدٍّ ؟..
لَهُ مِنْ بَعْدِ نَطْقِهِ بَدَا طَلَبُ
يَكَادُ لَا يَقْوَى عَلَى الْمَسِيرِ .



فَجَهَّزَ الرَّسُولُ ثُمَّ أَخْبَرَ صَدِيقَهُ بِمَا أَتَى وَمَا جَرَى

(١) هذا ما ذكره صاحب «نور اليقين» ص ٢١٨ وفي تهذيب سيرة ابن هشام : أن نوفل بن معاوية الديلمي «وهو من بكر» خرج ومعه بعض الرجال حتى بيت خزاعة وهم على الوثير (ماء لهم) فأصابوا منهم رجالاً وتحاوروا ، المجاز كل الى قبيلته ، الى ان تذكرت قريش الهدنة ، فرغبت في تجديد مدها . فأرسلت أبا سفيان الى المدينة المنورة في ذلك ، وكان بعد ذلك الفتح

ثُمَّ فِي الصَّيَامِ نَادَى قَاصِدًا
يَقُولُ : يَا رَبُّ .. خُذِ الْعِيُونََا
وَحَضَرَتْ أَسْلَمُ وَمُزَيْنَةُ
نَادَاهُم النَّبِيُّ فَاسْتَعَدُّوا

فَخَطَّ حَاطِبٌ كِتَابًا أَرْسَلَهُ
فَأَعْلِمَ النَّبِيُّ بِالْكِتَابِ
فَأَرْسَلَ الْمُقَدَّادَ وَالزُّبَيْرَا
وَاعْتَرَضُوا الْمَرْأَةَ ثُمَّ أَخْرَجُوهَا
فَلَمْ تَصِلْ أَخْبَارُ أَحْمَدَ إِلَى
حَاطِبَ عَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا
مَا كَانَ كُفْرًا بِالْفُؤَادِ قَادِنِي
وَتَابَ ثُمَّ عَاهَدَ الرُّسُلَا

وَيَمَّمِ الْأَثْبَاعُ شَطْرَ مَكَّةَ
مَرُّوا عَلَى الظَّهْرَانِ ثُمَّ أَوْقَدُوا
فَأَرْسَلَتْ زَعِيمَتَاهَا مُلْتَمِسًا
جَاءَ حَكِيمٌ وَبَدِيلٌ أَيْضًا
ثُمَّ أَبُو سُفْيَانٌ بَعْدُ أَسْلَمَا

مَكَّةَ لِلْفَتْحِ وَقَامَ سَاجِدًا
عَنْ مَكَّةَ ، وَخَلَّه دَفِينَا
وَأَشْجَعُ ، غِفَارُ ، وَجُهَيْنَةُ
لِلسَّيْرِ .. كُلٌّ مِمَّنْ .. أَعَدُّوا

يُعْلِمُ فِيهِ مَكَّةَ وَحَمَلَهُ (١)
تَحْمِيلُهُ ظَعِينَةُ الْحِجَابِ
مَعَ عَلِيٍّ لِحَقِّقُوا الْبَعِيرَا (٢)
مِنْهَا الْكِتَابَ ثُمَّ عَنْهَا أَفْرَجُوا
قُرَيْشَ ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ سَأَلَا
فَعَلَّيْنَهُ كَمَنْ بِآلِهِ اخْتَمَى
لِذَا وَلَكِنْ حِلْفُ قَوْمِي عَادَنِي
أَنْ لَا يَعُودَ مِثْلَهَا أُصُولَا

قَائِدُهُمْ أَشْرَفُ خَلْقِي حِنْكَةَ
نَارًا رَأَتْهَا مَكَّةَ .. وَأَنْجَدُوا (٣)

إِذْ كَانَ أَمْرُ مَنْ أَتَى مُلْتَمِسًا
وَفِي قُرَيْشٍ مَا يَشْتُقُّ غَيْظًا
وَتَابَعَ النَّبِيَّ ثُمَّ يَمَّمَا

★ ★ ★

وَدَخَلَ الْأَصْحَابُ فِي انْتِظَامٍ لِمَكَّةَ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

(١) هو حاطب بن أبي بلعة وكان ممن شهد بدرًا .

(٢) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص (٢٧٩) وفقه السيرة — محمد الغزالي ص ٤٠٦ وصور من حياة الرسول ص ٥٢٢
ودراسات في السيرة عماد الدين خليل ص ٢٤٣

(٣) «لما نزل رسول الله ﷺ مر بالظهران وأمر بإيقاد عشرة آلاف نار وكانت قريش قد علمت ان محمداً زاحف بجيش عظيم
لاتدري وجهته . فأرسلت أبا سفيان بن حرب . وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر ...» نور اليقين ص ٢٢٢

تَفَرَّقَ الْقَوْمُ إِلَى الشَّعَابِ
قَالَ الرَّسُولُ : مَنْ أَتَى لِدَارِهِ
وَمَنْ أَتَى دَارَ الرَّعِيمِ يَأْمَنُ
إِلَّا ابْنُ سَرْجٍ وَكَذَا ابْنُ الْأَسْوَدِ
كَذَاكَ وَخَشِيئاً وَكَعْباً فَاقْتُلُوا

وَأَغْلَقُوا فِي الدَّارِ كُلِّ بَابٍ^(١)
فَإِنَّهُ يَأْمَنُ فِي جَوَارِهِ^(٢)
وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ثُمَّ يَضْمَنُ
عِكْرِمَةَ أَيْضاً وَلَوْ فِي الْمَسْجِدِ^(٣)
حَتَّى وَلَوْ أَتَوْهُ ذَاكَ فَافْعَلُوا

★ ★ ★

وَدَخَلَ النَّبِيُّ ثُمَّ طَافَا
جَمَعَ قُرَيْشٍ بَعْدَ أَنْ أَرَا
شِرْكَهُمْ هَزِيمَةً كَبِيرَةً
وَقَرَأَ النَّبِيُّ : « جَاءَ الْحَقُّ
ثُمَّ إِلَى النَّاسِ الرَّسُولُ التَّفَتَا
يَاقَوْمُ .. مَاذَا الْيَوْمَ تَنْظُرُونَ
قَالُوا لَهُ : خَيْرًا ، فَأَنْتَ الْخَيْرُ
أَخْ أَوْ ابْنُهُ لَنَا وَأَكْثَرُ
قَالَ : اذْهَبُوا فَإِنَّكُمْ أَخْسَرُ

بِالْبَيْتِ فِي تَوَاضُعٍ وَصَافِي
عَزَى وَالْأَوْثَانَ وَقَدْ أُنَالَا
وَرَفَرَفَ الْحَقُّ عَلَى الْجَزِيرَةِ
وَزَهَقَ الْبَاطِلُ » ذَاكَ صِدْقُ
فَقَالَ لِلَّذِي طَعَى وَقَدْ عَتَا
أَنِّي أُرِيكُمْ كَيْفَ تَأْمَلُونَا
مُحَمَّدٌ ، وَالصَّادِقُ الْمُجِيرُ
فَأَمْرٌ بِمَا شِئْتَ . فَإِنَّا نُوْمَرُ
وَكَمْ عَلَيْهِ آزَرُوا وَجَارُوا

★ ★ ★

هَذَا هُوَ الرَّحِيمُ سَيِّدُ الْبَشَرِ
وَلِنَا يَغْفُو مَعَ الْإِمْكَانِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ لَيْسَ فِي الْوَرَى

مَا كَانَ مِنْ أَخْلَاقِهِ قَطُّ الضَّجَرِ
لِلْإِتْقَامِ لَامَعَ الْخُذْلَانِ
كَأَحْمَدٍ خُلِقَا لَا فَوْقَ الشَّرَى

★ ★ ★

(١) أي قهش .

(٢) نادى منادي رسول الله ﷺ : من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن . ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن . ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ... المصدر السابق .

(٣) عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي أسلم وكتب لرسول الله ﷺ الوحي ثم أرتد واخرى الكذب على الصادق المصدق . وهبار بن الأسود والحارث بن هشام وكعب بن زهير . ووحشي بن حرب وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان . وأعرور أهدر رسول الله ﷺ دماءهم بسبب أيدائهم للإسلام وذنوبهم العظيمة تجاهه .

قَدْ فُتِحَتْ مَكَّةُ لِلْهِدَايَةِ وَغَابَ عَنْهَا الرِّجْسُ وَالْغَوَايَةُ
وَمُهَّدَ الطَّرِيقُ لَانْتِشَارِ دِينِ الْهُدَى فِي الْأَرْضِ وَانْتِصَارِ
ذِي الْحَقِّ كَيْ تُوَحَّدَ الصُّفُوفُ عَلَى الْعَدُوِّ تَرْفَعُ السُّيُوفُ

★ ★ ★

عَادَتْ إِلَى مَكَّةَ رَايَةُ الْهُدَى وَالْخَيْرِ وَالنُّورِ الْبَهِيِّ وَالنَّدَى
عَفَا رَسُولُ اللَّهِ عَمَّنْ قَدْ جَهِلَ وَقِيلَ يَا جُرْحَ الْهَوَىٰ أَلَا ائْتَمَلُ
وَحَدَّدَ رَسُولُ اللَّهِ فِي خُطْبَتِهِ هُنَاكَ مَا يَبْغِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ
مُعَدِّدًا مَبَادِيَّ الْحَنِيفِ دِينِ الْهُدَى النَّقِيِّ وَالنَّظِيفِ
وَهَدَمَ الْأَصْنَامَ مِنْ مَنَاةٍ وَمِنْ سَوَاعِ الْجَهْلِ وَالطُّغَاةِ

★ ★ ★

أَضَاءَ نُورُ الْحَقِّ ثُمَّ زَهَقَا بَاطِلُهُمْ وَشِرْكُهُمْ قَدْ حُرَقَا
وَجَاءَ مُسْلِمًا إِلَيْهِ مِنْ عَتَا مِنْ قَبْلُ وَطَعَى ، إِلَيْهِ ، فَأَتَى :
عِكْرَمَةً وَوَالِدُ الصِّدِّيقِ وَابْنُ أَبِي سُفْيَانَ لِلشَّفِيقِ^(١)
كَانَ أَبُوهُ قَبْلَهُ قَدْ أَسْلَمَا وَنَحْوَ أَفْضَلِ الْأَنَامِ يَمَّمَا
وَقَدْ عَفَا الرَّسُولُ عَمَّنْ هَدَرَا دِمَاءَهُ ، وَفِيهِمْ مَا غَدَرَا
أَتَاهُ كَعْبٌ مُنْشِدًا وَمُسْلِمًا فَالْبَيْسَ الرِّدَاءَ ثُمَّ أَكْرَمَا^(٢)
كَذَا سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو جَاءَهُ مُبَايَعًا وَسَامِعًا نِدَاءَهُ

★ ★ ★

رَسُولُنَا أَرْحَمُ مِنْ أُمِّ عَلَى أَوْلَادِهَا . فِي نَفْسِهِ وَفِي الْمَلَا
قَدْ قَطَعَ الْعَدُوَّ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ بِالصَّفْحِ وَبِالْغُفْرَانِ

(١) عكرمة بن أبي جهل . وأبو قحافة والد أبو بكر الصديق
(٢) هو كعب بن زهير خلع النبي عليه برده .. ، وابن أبي سفيان هو معاوية

مَا جَارَ يَوْمًا مَا أَذَى وَلَا شَتَمَ وَلَا لِنَفْسٍ مَرَّةً قَدِ انْتَقَمَ
يَا رَبِّ صَلِّ مَا أَرَدْتَ دَائِمًا وَ مَا دَعَاكَ سَاجِدًا أَوْ قَائِمًا
عَبْدٌ . وَمَا فَاحَتْ خُزَامٌ وَتَبَّتْ فِي الْأَرْضِ نَبْتُ طَالِعٍ وَمَا نَمَتْ

★ ★ ★

دَانَتْ بِدَيْنِ اللَّهِ كُلُّ الْعُرْبِ وَخَضَعَتْ قُلُوبُهُمْ لِلرَّبِّ
وَسَقَطَتْ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ إِذْ دَخَلَ النَّاسُ جِمَى الرَّحْمَنِ
ظَلَّتْ ثَقِيفٌ وَكَذَا هَوَانُ أَبُوَا . وَعَانَدُوا الْهُدَى وَدَاهَنُوا^(١)
فَجَهَّزُوا جَيْشًا لِعَزْوِ أَحْمَدِ تَرِيدُ بَغِيًّا فَوْقَ كُلِّ مَهْتَدِي
وَعَلِمَ النَّبِيُّ بِالْأَنْبَاءِ وَقَدْ أَتَتْ مِنْهُمْ وَبِالْأَصْدَاءِ
فَجَهَّزَ الرُّجَالَ ثُمَّ خَرَجَا بِهِمْ إِلَى حُنَيْنٍ حَيْثُ امْتَرَجَا^(٢)

★ ★ ★

غزوة حنين :

وَكَانَ ضِمْنَ الْجَمْعِ مَنْ يَقِينُهُ لَمْ يَكْتَمِلْ فِي الْحَقِّ بَعْدَ دِينُهُ
وَفِيهِ أَعْرَابٌ ضِعَافُ الْقَلْبِ لَمْ يَدْخُلُوا الدِّينَ سِوَى عَنْ قُرْبِ
غَرُّوا بِجَمْعِ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا رَأَوْا كَثِيرًا . كُلُّهُمْ أَلَمًا
وَاقْتَرَبُوا فَوَجَدُوا مُقَاوِمَةً شَدِيدَةً عَنِيفَةً وَقَائِمَةً
فَهَرَبَ الضَّعِيفُ بِالْإِيمَانِ وَتُبَّتِ الْقَوَى بِالْجَنَانِ
حَتَّى غَدَا بَعْضٌ يَقُولُ : إِنَّهَا هَزِيمَةٌ لَمْ يُغْنِ شَيْءٌ دُونَهَا
قَدْ بَطَلَ السَّحَرُ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ . وَالْيَوْمَ غَيْرُ آبِهِ^(٣)

★ ★ ★

(١) قالوا : «قد فرغ محمد من قتال قومه ولانهاية له عنا فلنغزوه قبل أن يغزونا فأجمعوا على ذلك وولوا نياستهم مالك بن عوف

النضري . واجتمع له من القبائل جموع كثيرة» نور البقين ص ٢٢٩

(٢) خرج مع المسلمين قوم يصفون الغنائم كما خرج أيضاً ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو . وكان مجموع من خرج من المسلمين اثني عشر ألفاً .

(٣) الذي قال ذلك هو أخ لصفوان بن أمية .

نَبَّيْنَا الْمُخْتَارَ خَيْرُ الْخَلْقِ
يُجَالِدُونَ فِي الْهُدَىٰ فَنَصَرُهُمْ
نَادَىٰ: أَنَا النَّبِيُّ لَا، وَلَا كَذِبُ
وَصَاحَ عَمَّهُ ... يَا مَنْ رَضِيتُمْ
أَجَابَهُ الْأَنْصَارُ ثُمَّ تُبَيَّنُوا
وَنَصَرَ اللَّهُ النَّبِيَّ فَضْلًا
وَكُتِبَتْ هَوَازِنُ وَجَمَعُهَا
وَأَنْزَلَ اللَّهُ جُنُودًا لَمْ يَرَى
وَاللَّهُ إِنْ أَرَادَ نَصَرَ عَبْدَهُ

يُثَبِّتُ الْأَتْبَاعَ أَهْلَ الصِّدْقِ
حَقٌّ عَلَى اللَّهِ . كَذًا وَأَجْرُهُمْ
أَنَا الْهُدَىٰ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (١)
مُحَمَّدًا ، هَيَّا فَقَدْ دُعِيتُمْ (٢)
حَتَّى يَعُونَ اللَّهُ نَصْرًا أَتَبَتُوا
مِنْهُ وَرَحْمَةً بِهِ وَعَظْمًا
وَسَالَ حُزْنًا بَعْدَ ذَاكَ دَمْعُهَا
كَمِثْلَهَا فِي النَّاسِ ، لَا وَلَا جَرَى
يَنْصُرُهُ وَلَوْ بِضَعْفِ جُنْدِهِ

★ ★ ★

كَانَتْ حُنَيْنُ دَرَسَ صَبْرٍ وَثَقَةٍ
لِلشُّرِكِ وَالْأَرْجَاسِ وَالْبَغَاةِ
وَرَجَعَ النَّبِيُّ بِالْغَنَائِمِ
تَفَرَّقَتْ هَوَازِنُ وَمَنْ بَقِيَ
تَتَّبَعَ الرَّسُولُ جَمْعَ الشُّرِكِ
وَحَاصِرَ الطَّائِفِ حَتَّى رَحِمَةً
دَعَا إِلَهَ الْكَوْنِ أَنْ يَهْدِيَهَا
نِعْمَتُهُ فِي الْخَيْرِ وَالتَّوْحِيدِ

بِاللَّهِ وَالْهُدَىٰ وَكَانَتْ مَاحِقَةً
حَيْثُ هُمْ مِنْ أَعْظَمِ الْعَتَاةِ
مِنْهَا وَبِالنَّصْرِ وَبِالْمَكَارِمِ
فِي الشُّرِكِ حَتَّى فِي الْبِقَاعِ تَنْقِي
فَأَنْتَصَرَ الْهُدَىٰ بِغَيْرِ ضَنْكٍ
تَرَكَهَا مِنْ بَعْدِ ذَا لَا نَقْمَةً
لِلْحَقِّ وَ النُّورِ وَأَنْ يُرِيَهَا
لَهُ وَأَنْ يُمَدَّ بِالْمَزِيدِ

★ ★ ★

وَرَجَعَ النَّبِيُّ إِلَى الْجِعْرَانَةِ وَقَسَمَ الْفَيْءَ الَّذِي أَعَانَهُ

(١) كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ . أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»

(٢) عَمَّهُ هُوَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

على ائتلاف الجمع والقلوب
أعطى أبا سفيان منها وابنه
وإنما أوكلهم إلى التقي
بصدرة الشفيق و الرحيب
لم يعط من كانوا حماة دونه
والحب لله كذاك والنقا

بعض الوفود :

وأرسلت هوازن جماعته
فلك أحمد كذا وصحبه
فأسلمت هوازن بذاكرا
تبغي لسبي منهم شفاعته
سبيهم كل يريد ربه
وقد رأت بأحمد فكاكا

★ ★ ★

وخرج الناس إلى الإسلام
فأسلمت صداء و تميم
من بعد أن عاد إلى المدينة
وأسلم الفتى لما قد سمعا
فوجأ وفوجأ و إلى الإقدام
وجاءه عدي الكريم
إذ حسبها مقامه من زينة
من أحمد المختار لا رجعا

غزوة تبوك :

وأبلغ الرسول أن الروما
في وقت حر وزمان شدة
فجهز الرسول جيشا ودعا
فبذل المهاجرون المال
وقعد النفاق حيث أظهر
سمى النبي قصده ولم يكن
لكنه لما أتاهم لم يجد
بل جاءه وقد يريد الصلحا
قد جهزت لحربه عظيم
تجاوز الروم البغي حده
إلى تبوك كل من قد تبع
وساهم الأنصار . ثم زالا
في هذه المرة ما قد أضمر
يخفيه من قبل ليذري من فتن
جيشا كما قيل له . و لا أحد
وكان ذاك للنبي رنحا

إِذْ عَاهَدُوا أَنْ يَدْفَعُوا جَزْيَتَهُمْ وَيَبْذُلُوا . لَهُ كَذَا فِدْيَتَهُمْ
فَعَادَ أَحْمَدُ إِلَى الْمَنُورَةِ إِذْ قَدْ غَدَتْ زَكِيَّةٌ مَطْهَرَةٌ

★ ★ ★

وجاءه الذين قد تخلفوا وقعدوا ليُعْذِرُوا وَيَحْلِفُوا
فقبلَ النبيِّ منهم ظاهراً وللعلِيمِ أوكَلَ السَّرَائِرَا
إلا ثلاثةً أجابوا إنا ما كَانَ مَنْ عُذِرَ لَنَا ، وَمِنَا .
فأَمَرَ النبيُّ أَنْ يَقَاطِعُوا فلا يَكَلِّمُوا ، ولا يَراجِعُوا .
ومكثوا في نَدَمٍ وضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ .. وَقَدْ أَضَاءَتْ
أَنفُسُهُمْ . إِذْ رَبُّهُمْ قَدْ أَنْزَلَ تَوْبَتَهُ فِي وَحْيِهِ مَفْصَلاً .
ففرحوا بتوبة الرحمن رَبِّ الْعِبَادِ . الْخَالِقِ الْمَنَانِ
وعاهدوا أَنْ لَا يَعُودَا مِثْلَهَا بِالْفِعْلِ .. تَابُوا ثُمَّ كَانُوا أَهْلَهَا .

حوادثُ السَّنةِ التاسعة :

قَدْ آمَنْتُ ثَقِيفُ أَهْلُ الطَّائِفِ طَابَتْ نَفُوساً بَعْدُ فِي الْمَوَاقِفِ
وهدموا اللاتَ الهوى ويمموا نحوَ الهدى والحقِ .. ثُمَّ أَسْلَمُوا .

★ ★ ★

وكانَ في ذا العامِ حجُّ الْمُؤْمِنِ بالصدقِ .. لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ الْمَأْمَنِ^(١)
نادى بهم من بعدُ لا لَنْ يَدْخُلَا مُشْرِكُهُمْ لِلْبَيْتِ لَا لَنْ يَوْصِلَا .
ولنَ يَطُوفَ الْمَسْجِدَ الْعَرَاءُ وانْتَصَرَ الْهَدَاةُ وَالتَّقَاةُ

★ ★ ★

كذا وفي التاسعِ مات من عتا ونافقَ الإسلامَ فاسمَعِ يَا فَتَى .

(١) حج أبو بكر الصديق .

ابن أبي مات . ثُمَّ وَقَفَا مُحَمَّدٌ فِي دَفْنِهِ تَأَلَّفَا
لَكِنَّهُ نَهَاهُ بَعْدُ الْخَالِقُ كَيْ لَا يُودَّ بَعْدَ ذَا الْمُنَافِقِ

★ ★ ★

وَ أُمُّ كُلْثُومٍ كَذَا تُؤَفِّيتُ بِنْتُ النَّبِيِّ طَهَّرَتْ وَ أَرْضِيَتْ

حَوَادِثُ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ :

فِيهِ أَتَتْ وَدَّانُ فِي نَجْرَانَ وَامْتَلَأَتْ بِأَحْمَدٍ إِيْمَانَا
كَذَا بَنُو مُذَحِّجٍ كَانُوا أَسْلَمُوا صَلُّوا عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمُوا
وَأَرْسَلُوا زَكَاتَهُمْ تَطَهَّرَا وَيَعْلَمُ اللَّهُ الْقُلُوبَ وَيَرَى

★ ★ ★

وَبَعْدُ عُمَالُ الرُّسُولِ أَقْبَلُوا يُعَلِّمُونَ مَنْ أَتَى وَأَرْسَلُوا
مِنْهُمْ مُعَاذٌ وَكَذَاكَ الْأَشْعَرِيُّ هَذَا الْفَتَى الشَّهْمُ الْكَرِيمُ الْمَصْدَرُ
أَمَّا مُعَاذٌ فَلَقَدْ عَادَ إِلَى مَدِينَةِ الرُّسُولِ ثُمَّ تَزَلَا
لَمَّا أَتَاهُ نَبَأُ الْفَجِيعَةِ كَبِيرَةً مُؤْلِمَةً وَجِيعَةً

★ ★ ★

كَانَ أَبُو مُوسَى أَتَى الْحَبِيبَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ كَيْ يَطِيبَا

حَجَّةُ الْوَدَاعِ :

فِي عَاشِرِ الْأَعْوَامِ حَجَّ أَحْمَدُ خَيْرُ الْوَرَى الْمُكْرَمِ الْمُسَدَّدُ
خَيْرُ الْأَنْامِ كُلِّهِمْ مِنْ آدَمِ حَتَّى يَقُومَ النَّاسُ فِي الْمَزَاجِمِ
حَجَّ بِتَسْعِينَ مِنَ الْأَلَاِفِ تَكَلَّلُوا بِالطُّهْرِ وَالْعَفَافِ

أَحْرَمَ بِالْحَجِّ وَلَبَّى قَائِلًا
فِي مَكَّةَ وَبَيْتَهَا الْعَتِيقِ
وَطَافَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ سَبْعًا
مِنْ زَمَزَمٍ نَالَ النَّبِيُّ وَسَعَى
وَبَعْدُ فِي الثَّامِنِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ
لِجَبَلِ الرَّحْمَةِ صَعَدَ الْهُدَى
مُودِّعًا أَصْحَابَهُ وَأَهْلَهُ
مُحَدِّدًا مَبَادِيَّ الْإِسْلَامِ
يَقُولُ : لَا أَتْرَكُكُمْ لِتَضُرُّوْا
إِنَّ الرِّبَا وَالسُّخْتَ قَدْ وَضَعْتُهُ
فَلَا تُطِيعُوا بَعْدِي الشَّيْطَانَا
خُذُوا الْكِتَابَ وَاضِحًا مُنِيرَا
فَكُلُّكُمْ لَكُمْ لَأَدَمٍ وَآدَمُ
بَلَّغْتُكُمْ؟ .. يَارَبُّ .. أَنْتَ تَشْهَدُ
ثُمَّ قَضَى الرَّسُولُ كُلَّ نُسْكِهِ

لَبَّيْكَ . لَبَّيْكَ .. وَبَاتَ نَازِلَا
إِذْ فَرَجَ الرَّحْمَنُ بَعْدَ الضِّيقِ
وَاسْتَلَمَ الْأُسْعَدَ . زَادَ رِفْعَا
بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوِ سَبْعًا وَدَعَا
إِلَى مِنَى أَتَى يُتِمُّ حَجَّةَ
وَحَطَبَ الْخُطْبَةَ فِيهِ وَابْتَدَا
يَقُولُ عَلَيَّ لَا أَرَاكُمْ مِثْلَهُ
وَشَارِحًا دَعَاؤُهُ لِلْأَنَامِ
رِقَابَكُمْ . وَلِلْحَرَامِ تَسْلُبُوا
كَذَا الدَّمِ الْحَرَامِ قَدْ أَرْزَلْتُهُ
بَلِ اعْبُدُوا مَوْلَاكُمْ الدِّيَّانَا
وَسَاطِعَا وَهَادِيَا جَدِيرَا
مِنَ الثَّرَابِ أَصْلُهُ وَالْعَالَمُ
إِنَّا لِإِيَّاكَ إِلَهِي نَعْبُدُ
وَلَنْ يُرَى فِي فِعْلِهِ كَسْبِكِهِ

القسم الخامس
الاستقرار والبناء والسلامة

الاستقرار في المدينة ومجيء الوفود :

وَبَعْدَهَا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ وَتَمَّمَ الرَّحْمَنُ بَعْدَ دِينِهِ
فَقَدِمَتْ تَقْصُودُهُ الْوُفُودُ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ كَذَا تَجُودُ
تُبَايِعُ الرَّسُولَ بِالْإِسْلَامِ بِالْهَجْرِ لِلْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ

★ ★ ★

فَوَفَدَتْ نَجْرَانُ وَابْنُ ثَعْلَبَةَ وَعَبْدُ قَيْسٍ ثُمَّ طِيَّ الْمُتَقَبَّةُ (١)
أَزْدُ شَنْوَةِ وَكَنْدَةَ أَتَوْا وَسَعْدُ وَتَجِيبُ بَعْدَ مَا عَتَوْا (٢)
فِرَازَةَ كَذَا وَعُذْرَةَ وَمِنْ أَسِيدِ. كَذَا وَفَدَّ تَعَطَّى بِالْمِنْ
بَنُو مُحَارِبٍ كَذَاكَ أَرْسَلُوا وَفَدَّ إِلَى. وَكَذَاكَ أَقْبَلُوا
وَجَاءَ مِنْ غَسَّانَ وَفَدَّ يُسَلِّمُ وَلِلْهُدَى وَأَهْلِهِ يُعْظَمُ

★ ★ ★

سُبْحَانَ مَنْ هَدَاهُمْ وَكَانُوا أَكْثَرَ مَنْ عَادَاهُ ثُمَّ لَأَنُوا

السنة الحادية عشرة . وفاة رسول الله ﷺ :

لَمَّا اسْتَقَرَّ الدِّينُ .. لَمَّا أَكْمَلَا وَالْأَمْرُ مِنْ رَبِّ الْعِبَادِ فُصِّلَا

(١) كان من بني الوفود : ضمام بن ثعلبة وهو رجل من أهل البادية ثائر الرأس يُسمع دوي صوته ولا ينفقه ما يقول . وقد قال بعد لقائه رسول الله ﷺ : «إني آمنت وصدقت . وأنا ضمام بن ثعلبة ..» وقبيلة طيء أرسلت وفداً على رأسه زيد الحليل وقد أسلم فدعاه رسول الله ﷺ زيد الخير .

(٢) من وفد أزد شنوءه صرد بن عبد الله الأزدي — وسعد : هم بنو سعد بن هزيم من قبيلة قضاة ، وتجبب هم من كندة وكان وفدهم ثلاثة عشر رجلاً .

وَمُحِيَ الشَّرْكَ. وَكَانَ مَا جَا
يَجْرِي عَلَيْهِ مِثْلَمَا يَجْرِي الْقَدَرُ
مِنْ وَاجِبٍ تَقَرَّرَتْ إِلَيْهِ
بِصُحْبَةِ الْهَادِي كَذَا جَوَارًا
وَقُرْبِهِ.. وَ اللَّهُ قَدْ دَعَاهُ
وَلَا يَدُومُ الظُّلُّ فِي الْمَحَلِّ
حَيَاتِهَا خَالِدَةٌ وَدَارُهَا
إِلَى الْخُلُودِ وَإِلَى نَيْلِ الْمُنَى

وَدَخَلَ النَّاسُ بِهِ أَفْوَاجًا
وَلَمَّا كَانَ أَحْمَدٌ مِنَ الْبَشَرِ
وَبَعْدَ أَنْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ
رُسُلُ الْمَلِكِ تَبْتَغِي اسْتِشَارًا
وَاشْتِاقًا أَحْمَدًا إِلَى مَوْلَاهُ
حَيْثُ حَيَاةُ الْأَرْضِ مِثْلُ الظِّلِّ
أَمَّا الْجِنَانُ فَالْإِلَهَ جَارَهَا
مُحَمَّدٌ لَبَّى وَفَارَقَ الدُّنْيَا

★ ★ ★

أَسَامَةٌ فِي بَعْثَةِ لِلْحَقِّ
لَبَّى الْبِدَاءَ مَا وَنَى وَلَا هَا
مُحَمَّدٌ وَالطَّاهِرُ الرُّضِيُّ
بِالنَّاسِ رِفْعَةً لَهُ فِي الْفَضْلِ
كَأَنَّهُمْ أَحَاطُوا بِالنَّبِيِّ عِلْمًا
عَلَى عَلِيٍّ صَاحِبِ الْوَلَاءِ.
لَمَّا رَأَوْا نَبِيَّهُمْ وَانْشَرَحُوا
يُوصِي الَّذِينَ أَقْبَلُوا فِي الْمَحْضَرِ
وَأَنْتُمْ تَأْتُونَنِي، وَرَبِّي!..
كَذَا بِالْأَنْصَارِ الْكَرَامِ خَيْرًا
أَرَاكُمْ هُنَاكَ. شَافِعًا لَكُمْ
وَكَانَ أَحْمَدٌ بِهِمْ رَفِيقًا

إِذْ بَعْدَ أَنْ جَهَّزَ خَيْرُ الْخَلْقِ
أَسَامَةً لِأَمْرِهِ تَوَجَّهَهَا
مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَرَضَ النَّبِيِّ
وَأَمَرَ الصَّدِيقَ كَيْ يُصَلِّيَ
بِكَيْ الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ لَمَّا
فَخَرَجَ الرَّسُولُ فِي اتِّكَاءٍ
وَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَكَمْ قَدْ فَرِحُوا
مَعَهُ يَجْلِسُ عِنْدَ الْمَنْبَرِ
يَقُولُ: إِنِّي لَأَحِقُّ بِرَبِّي
أَوْصِيكُمْ بِالْأَوَّلِينَ خَيْرًا
أَلَا فَإِنَّ الْحَوْضَ مَوْعِدٌ لَكُمْ
أَوْصَاهُمْ وَيَبَيِّنُ الطَّرِيقَا

★ ★ ★

وَبَعْدَ ذَا فِي ضَحْوَةِ الْإِثْنَيْنِ التَّحَقَّقَ الرَّسُولُ دُونَ مِينَ (١)

(١) أَيِ كَلْبٍ

بِرَبِّهِ مُفَارِقاً دُنْيَا الْوَرَى ذَاتِ الزَّوَالِ ثُمَّ هَذَا مَا جَرَى
عُمُرُهُ سِتُونَ عاماً كَانَا زَادُوا ثَلَاثَةً كَمَا أَتَانَا.

★ ★ ★

فَقَامَ عُمَرُ وَقَدْ تَوَعَّدَا بِالسَّيْفِ مَنْ قَالَ : كَذَا تَهْدَدَا
كَانَ يَقُولُ : أَحْمَدُ مَا مَاتَا مَا بَانَ عَنَّا .. أَحْمَدُ مَا فَاتَا

★ ★ ★

مَنْ حُبَّهِ لَهُ وَعُمُقِ وَدِّهِ غَابَ الْمُحِبُّ عِنْدَهَا عَنْ رَشِيدِهِ

★ ★ ★

وَجَاءَ مِنْ بَعْدِ الصَّدِيقِ الصَّادِقُ جِئْنَا أَمَامَ أَحْمَدٍ يُعَانِقُ
ثُمَّ إِلَى الْأَصْحَابِ مِنْ بَعْدِ خَرَجِ وَالْجَمْعُ كَانَ قَدْ أَتَى وَقَدْ هَرَجِ

قَالَ لَهُمْ : مَنْ كَانَ يَعْْبُدُ النَّبِيَّ فَإِنَّهُ مَاتَ .. كَذَا كُلُّ نَبِيٍّ
وَاللَّهُ بَاقٍ لَا يُمُوتُ جَلَّ جَلَالُهُ . عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى

★ ★ ★

ثُمَّ تَلَا حَالاً : «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ» فَأَقْصِدُوا
وَهَدَّاتُ حَالِ الَّذِي تَوَعَّدَا ثُمَّ بَكَى عَلَى الْفِرَاقِ وَاهْتَدَى
وَعُسِّلَ النَّبِيُّ كَانَ يَغْسِلُهُ عَلَيَّ الْإِمَامُ ثُمَّ يَنْقُلُهُ

★ ★ ★

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ كَانَ طَيِّبًا فِي كُلِّ حَالٍ لَمْ يَزَلْ مُطَيِّبًا
وَدُفِنَ النَّبِيُّ بَعْدَ ذَاكََا نَفْسِي أَبَا الزَّهْرَا — أَنَا فِدَاكََا
يَا مَنْ تَرَكْتَ الدِّينَ كَالنَّهَارِ مَا ضَلَّ عَنْهُ غَيْرَ مِنْ يَمَارِي

القسم السادس
ماحق في
المعجزات
أمرات المؤمنين
السمائل والأخلاق

المعجزات :

أَمَدَكَ اللَّهُ بِمُعْجَزَاتٍ مُؤَيَّدَاتٍ ثُمَّ وَاضِحَاتٍ
فَنَبَعَ الْمَاءُ مِنَ الْأَصَابِعِ كَمَا بَكَى الْجِدْعُ مِنَ الْمَوَاجِعِ
وَسَبَّحَ الْحَصَى يُشِيرُ أَنْكَأ فِي الْكَوْنِ لَا يَرَى الْعِبَادُ مِثْلَكَأ
وَأَنْهَزَمَ الْجَمْعُ بِكَفِّ رُمَيْتٍ مِنَ الثَّرَابِ فِي عُيُونٍ أُغْمِيَتْ

★ ★ ★

وَلَيْسَ كَالْقُرَانِ ثُمَّ مُعْجَزَةٌ بَاقِيَةٌ خَالِدَةٌ وَمُنْجِزَةٌ
إِذْ شَمَلَ الْقُرْآنُ كُلَّ أَمْرٍ بِهِ الْحَيَا تَبْقَى وَكُلَّ زَجَرٍ
يَبَانُهُ يُسْبِي فَلَا يُقْلَدُ أَنْزَلَهُ مَنْ فِي الْعُلَا يُمَجَّدُ

★ ★ ★

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا خَيْرَ الْوَرَى إِنَّ الْحَيَاةَ مِثْلَ طَهْ لَنْ تَرَى

أُمّهات المؤمنين :

أَزْوَاجُهُ فِيمَا يَلِي سَأَحْسِبُ : خَدِيجَةَ عَائِشَةَ وَزَيْنَبُ
صَفِيَّةً وَسُودَةَ الْهَنِيئَةَ وَحَفْصَةَ الْمُؤْمِنَةَ التَّقِيَّةَ
هِنْدٌ كَذَا وَرَمْلَةٌ ذَاتُ الشَّرَفِ مَا كَانَ قَصْدُ أَحْمَدٍ فِي ذَا سَرْفٍ^(١)
ثُمَّ جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ مُحَمَّدٌ لَا.. لَمْ يَكُنْ بِالْعَابِثِ^(٢)
مِيمُونَةٌ أَيْضاً فَهَنْ تَسْعُ دُونَ خَدِيجَةَ.. أَأَنْتَ سَمْعُ^(٣)
قَالُوا : لِمَاذَا عَدَّدَ النِّسَاءَ نَبِيَّكُمْ. هَلْ دِينُهُ قَدْ جَاءَ

(١) هند هي أم سلمة . بنت أبي أمية بن المغيرة الخزومية . رملة : هي أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب .

(٢) جويرية بنت الحارث بن ضرار الخزاعية .. تهذيب سيرة ابن هشام ص ٤٤ ج ٢

(٣) توفي رسول الله ﷺ عن تسع نسوة

بِذَاكَ؟ أَمْ لِشَهْوَةٍ أَقَامَهَا
 حَاشَا رَسُولَ اللَّهِ.. كَانَ طَاهِرًا
 حَيَاتُهُ دَوْمًا هِيَ الْجِهَادُ
 مَوَاطِنَ اللَّذَّةِ وَالتَّمَتُّعِ
 طَعَامُهُ تَمْرًا وَمَاءً كَانَا
 مَنْ كَانَ هَذَا عَيْشُهُ لَا يَرْغَبُ
 وَتَمَّ أَسْبَابُ كَثِيرَةٍ قَضَتْ
 عَائِشَةُ هِيَ الْوَحِيدَةُ الَّتِي
 أَمَّا خَدِيجَةُ فَكَانَ عُمْرُهَا
 مِنْهُمْ مَنْ نَسِلَ الْمُلُوكِ كُنَّ
 بَلَّ أَنْ يَزِدْنَ رِفْعَةً بَعْدَ الضَّعْفِ
 وَزَيْنَبُ زَوْجَهَا الرَّحْمَنُ
 طُولَ الْحَيَاةِ كَانَ قَدْ أَدَامَهَا
 مُبْرَأً مِنْ كُلِّ هَذَا ظَاهِرًا
 وَالنَّصْرُ لِلَّهِ فَمَا يَرْتَادُ
 بَلَّ كَانَ عَنْ هُدَيْنٍ فِي تَرْفَعُ
 وَفَرَشُهُ الْآدَمُ ذَا أَتَانَا
 فِي لَذَّةٍ وَعِنْدَهُ لَا تُحْسَبُ
 لَجَمْعِهِنَّ عِنْدَهُ وَقَدْ دَعَتْ
 بَكْرًا بَيْتِ الْمُصْطَفَى قَدْ حَلَّتْ
 أَرْبَعَ عَشْرَاتٍ وَمَرَّ ذِكْرُهَا
 مَا رَغِبَ النَّبِيُّ أَنْ يَهْنُ
 وَقَدْ أَتَتْ لِلدِّينِ فِي ذَا الْمَنْفَعَةِ
 نَبِيُّهُ كِي يُطِيلَ الْبَهْتَانُ^(١)

★ ★ ★

مَا كَانَ هَذَا الْعَدُّ لِلرِّيَاءِ وَالْبَذْخِ وَاللَّذَّةِ وَالنَّمَاءِ

★ ★ ★

فَإَيْنَ أَنْتُمْ يَا دُعَاةَ الْقَوْلِ هَلْ تُنْكِرُونَ ذَا عَلَى الرَّسُولِ
 أَشْرَفَ خَلْقِ اللَّهِ كَانَ أَحْمَدُ وَخَيْرَ مَنْ عَنْهُ الْأَذَاةُ تَبْعُدُ

★ ★ ★

شَمَائِلُهُ وَأَخْلَاقُهُ ﷺ :

يَا طَاهِرَ الْأَخْلَاقِ يَا مُحَمَّدُ يَا مَنْ لَهُ كُلُّ الْكَمَالِ يُعْقَدُ

(١) البهتان : هنا المقصود به عادة التبنّي التي كانت سائدة في الجاهلية . لأن زينب كانت زوجة زيد بن حارثة . تبناه ﷺ . ثم أمر الله أن تبطل هذه العادة وبعد طلاقها من زيد تزوجها من رسول الله ﷺ وذلك كما ورد في قوله تعالى : فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها .

ما كان في الأرض كأنت حلما
وليس في الجود ولا السخاء
كأحمد الذي به الجود افتخر
بل كان فيه مثل ريح مرسله
كذاك في العفو وفي التواضع
فقد عفا النبي عن العتاة
لنفسه النبي قط ما انتقم
ما كان بالفظ ولا الصخاب
وكان مع ذاك شديد العزم
إن حمي الوطيس كان مقدما
نصره رب الوري بالرعب
تواضعا يكلم الضعيفا
يجيب من دعاه . لو كانت أمة
مع ملكه كان عظيم الزهد
يمازح الأصحاب والأتباعا
بك الإله الخلق قد أتما^(١)
ولا الوفا والسود والحياء
إذ كان فيه كالحيا إذا انهمز^(٢)
منه ارتقي النبي خير منزلة^(٣)
والنبذ للشقاق والتقاطع
ولم يضق عفواً عن الجفاة^(٤)
ولا رمى لنفسه ولا شتم
ولا بفجاش ولا عياب^(٥)
ذا هية وقوة وحزم
خمسهم يفرق منه إن رمى^(٦)
وزانه لصحبه بالحب
ويسمع الشاكي الذي أحيفا^(٧)
ما كان أسخاه وكان أرحمه
قد انتقى حال النبي العبد^(٨)
عليهم لا يظهر ارتفاعا^(٩)

(١) « قال أنس : كان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس خلقاً » وقال عليه السلام : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

(٢) الحيا : المطر .

(٣) « قال ابن عباس : كان عليه السلام أجود الناس بالخير ، وأجود ما كان في شهر رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » .

(٤) كما مر عند الحديث عن فتح مكة . وغيرها من المواطن .

(٥) قالت عائشة رضي الله عنها : (لم يكن عليه السلام فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً بالأسواق . ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح) .

(٦) قال علي « إنا كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتفقنا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ » .

وقال أنس : « كان عليه السلام أشجع الناس ... »

نور اليقين ص ٢٨٨ .

(٧) أحيف : أي ظلم .

(٨) خيره الله بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً .

(٩) « كان عليه السلام يمازح أصحابه ويحادثهم ويلعب صبيانهم ... ويجيب دعوة الحر ، والعبد ، والأمة ... » .

نور اليقين ص ٢٩٠

للناس كان رَحْمَةً ولطفاً
وذاك أن الله قد رَآه
طوبى لعبدٍ يقرأ الصفات
فيعقد العزم على الوصول
هدايةً وموثلاً وعطفاً
ومن عميم فضله حياه
إن حان منه يوماً التفاتاً
للاهدى بسنة الرسول .

الحائِمة

رَبَّاهُ فَاجْعَلْنِي وَقَدْ يَسَّرْتَا
وَفَقِّتْنِي لِنَظْمِ هَذِي السَّيْرَةِ
فَاجْعَلْ إِلَهِي غَايَتِي وَمَطْلَبِي
وَأَجْزِلَ الْعَطَا لِأَهْلِ الْعِلْمِ
لِلشَيْخِ كَفْتَارُو الَّذِي يَرِي
وَأَكْرَمُ اللَّهُمَّ نَوْرَ الدِّينِ
قَدْ رَاجَعَ النِّظْمَ فَكَانَ نَاصِحاً
يَا رَبِّ قَدْ أَثْقَلَتِ الذُّنُوبُ
وَأَنْتَ يَا رَبُّ بِحَالِي أَعْلَمُ
فَاغْفِرْ وَجُدْ بِالْعَفْوِ وَالْقَبُولِ
صَلِّ عَلَيْهِ مَا أَرَدْتَ أَنْتَ
لِي نَيْلَ مَا أَبْغِي وَقَدْ وَفَّقْتَا
بِدَرْسِهَا حَيْثُ غَدَتْ جَدِيرَةٌ
كَامِنَةٌ فِي حُبِّ أَحْمَدَ النَّبِيِّ
مَنْ ارشَدُوا وَشَجَعُوا بِحِلْمِ
طَلَابِهِ عَلَى التَّقَى وَالْحَبِ
ذِي الْحِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْيَقِينِ
مَبِيناً فِي قَوْلِهِ وَوَاضِحاً
ظَهْرِي . وَقَدْ جَلَّلَتِ الْعُيُوبُ
وَأَنْتَ مِنْ نَفْسِي عَلَيَّ أَرْحَمُ
وَصَلِّ يَا رَبُّ عَلَى الرَّسُولِ
يَا مَنْ قَدِماً لَمْ تَزَلْ وَكُنْتَ

محمد خير ضميرية

دمشق — ١٩٨٤/٤/٥

تَبْتُ المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
— سيرة ابن هشام
— تهذيب سيرة ابن هشام
— مختصر تفسير ابن كثير
— شرح ابن عقيل
— شذور الذهب
— المعيار في أوزان الأشعار
— الباعث الحثيث
— الترغيب والترهيب
— جمهرة أشعار العرب
— القاموس المحيط
— صور من حياة الرسول
— الرسول القائد
— دراسات في السيرة
— فقه السيرة
— فقه السيرة
- تحقيق محمد فهمي السرجاني — مكتب التراث
الاسلامي — حلب — سوريا .
تحقيق عبد السلام هارون
محمد علي الصابوني ط دار القرآن الكريم
ط بيروت دار إحياء التراث العربي
ابن هشام ط العاشرة القاهرة ١٩٦٥ م
الأعلم الشتريني — تحقيق رضوان الداية .
ابن كثير — تحقيق محمد شاكر طبعة بيروت
المنذري تحقيق محمد مصطفى عمارة ط دار
الفكر
أبو زيد القرشي ط دار صادر .
الفيروز آبادي ط دار الجيل .
أمين دويدار ط . دار المعارف مصر .
محمود شيت خطاب — دار الفكر — الطبعة
الخامسة
عماد الدين خليل — مؤسسة الرسالة — دار
النفايس ١٣٩٤
١٩٧٤
محمد الغزالي دار الكتب الحديثة الطبعة
السابعة ١٩٧٦
د . محمد سعيد رمضان البوطي الطبعة الثامنة .

— السيرة النبوية
أبو الحسن الندوي ط. دار الشروق جدة
١٩٧٩

— الهجرة حَدَّثٌ غير مجرى
التاريخ

— النبوة والأنبياء في ضوء
القرآن

— نور اليقين في سيرة سيد
المرسلين

— تفسير المراغي

— صور من حياة الصحابة

— تاريخ الاسلام

— تاريخ الأدب العربي

فن الخطابة وتطوره عند العرب

— كبرى اليقينيّات الكونية

— مباحث في علوم القرآن

— رسالة التوحيد

— عوامل النصر والهزيمة

— فقه السنة

— قصة الايمان

الاسلام والشعر

— أبو العتاهية — حياته شعره

— ديوان عمر أبو ريشة

— الشوقيات

— ديوان ابن الفارض

— شهداء الاسلام

شوقي أبو خليل دار الفكر

أبو الحسن الندوي - ط ٤ - الصّاهرة

— محمد الخضري - ط ١٨

أحمد مصطفى المراغي بيروت دار احياء التراث

ط ٣ - ١٩٧٤

د . عبد الرحمن رأفت الباشا —
مؤسسة الرسالة .

حسن ابراهيم حسن

شوقي ضيف

إيليا حاوي دار الثقافة بيروت

د . سعيد رمضان البوطي

د . صبحي الصالح ط ٣ ١٩٦٤ دار العلم

للملايين

محمد عبده مكتبة الثقافة العربية

شوقي أبو خليل دار الفكر ط ١

السيد سابق

نديم الجسر ط ٣ — المكتب الاسلامي

١٣٨٩ — ١٩٦٩

د . سامي مكّي العاني سلسلة عالم المعرفة (٦٦)

١٩٨٣

د . شكري فيصل

دار العودة

ط . بيروت دار الكتاب العربي

سامي النشار

« المحتوى »

الموضوع	الصفحة
بين يدي النظم	٧
جدول يوضح النسب الشريف	١١
المنظومة :	
فرش	١٥
القسم الأول : محمد ﷺ قبل النبوة	١٧ — ٢٩
مولده ونسبه	١٩
الرضاع	٢٠
حادثة شق الصدر	٢١
وفاة أمه آمنة	٢٢
في كفالة جده	٢٢
كفالة عمه	٢٢
الرحلة الى الشام	٢٣
زواجه من خديجة	٢٤
قصة اعادة بناء الكعبة	٢٥
بعض من معيشته ﷺ قبل البعثة	٢٦
القسم الثاني : البعثة النبوية ومرحلة جهاد الدعوة	٢٩
بدء الوحي	٣١
عودة الوحي بعد انقطاع	٣٣
الدعوة سرّاً	٣٣
نتائج الدعوة السرية	٣٤
الجهار بالدعوة	٣٦
الأذى والاضطهاد	٤١
ثبات الصحابة	٤٥
إسلام حمزة	٤٩

٤٩	الهجرة الأولى الى الحبشة
٥٠	إسلام عمر بن الخطاب
٥١	الحصار في شعب أبي طالب
٥٢	الهجرة الثانية الى الحبشة
٥٣	نقض الصحيفة وفك الحصار
٥٤	وفد نجران
٥٥	عام الحزن : وفاة خديجة
٥٦	وفاة أبي طالب
٥٧	في الطائف
٦٠	العودة الى مكة في جوار المطعم
٦١	وفد دوس
٦١	الاسراء والمعراج
٦٤	العرض على القبائل
٦٦	بيعة العقبة الأولى
٦٧	بيعة العقبة الثانية

القسم الثالث : الهجرة الى المدينة ٧١ - ١٠٧

٧٣	تشاور قريش في دار الندوة
٧٤	هجرة الرسول الأعظم ﷺ
٧٧	النزول بقاء
٧٨	الخطبة الأولى له ﷺ
٧٩	الاقامة عند أبي ايوب الانصاري
٧٩	المجتمع المسلم في المدينة
٨٠	بدء الأذان
٨١	مشروعية القتال
٨٥	غزوة بدر الكبرى ونتائجها
٩٣	غزوة أحد ونتائجها
٩٩	حمراء الأسد
٩٩	غزوة بني النضير
٩٩	غزوة ذات الرقاع
١٠٠	غزوة بدر الآخرة

١٠٠	غزوة بني المصطلق
١٠١	حديث الإفك
١٠٣	غزوة الخندق ونتائجها
١٠٤	جزاء بني قريظة

القسم الرابع : الفتح المبين ١٠٧ — ١٢٥

١٠٩	غُمره الحديبية والصلح
١١١	رسائل النبي ﷺ الى الملوك
١١٢	فتح خيبر
١١٢	الكتف المسمومة
١١٣	غُمره القضاء
١١٤	معركة مؤتة
١١٥	فتح مكة (الفتح الأعظم)
١١٩	غزوة حُنين ونتائجها
١٢١	بعض الوفود
١٢١	غزوة تبوك
١٢٢	حوادث السنة التاسعة
١٢٣	حوادث السنة العاشرة
١٢٣	حجة الوداع

القسم الخامس : الاستقرار واكمال الرسالة ١٢٥ — ١٣١

١٢٧	مجيء الوفود
١٢٧	السنة الحادية عشرة ووفاة الرسول ﷺ

القسم السادس : ملحق في :

١٣٣	المعجزات
١٣٣	أمهات المؤمنين
١٣٤	الشمائل والاخلاق
١٣٧	الخاتمة
١٣٩	ثبت المصادر والمراجع
١٤١	المحتوى

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	الموضع	الخطأ	الصواب
٢١	٥ (٢)	سعدة	سعد
٢٢	ب ٩	من اللهم	للهم
	٥ (٣)	أمة	أمة
٢٣	ب ١٠	الشام	الشام
٢٦	ب ١٠	بكل عصر تراه	بكل عصر تراه
	٥ (٢)	الذي بيكة	للذي بيكة
٢٧	٥ (١)	حياو	حياة
٣٢	١٤	لأنصرن	لأنصرن
٣٣	٥ (١)	كنا	كما
٣٤	ب ٨	أتري	أتى
٣٥	٥ (١)	لا أهلك	لا أهلك
	٥ (٣)	تفرقوا الشعاب	تفرقوا في الشعاب
٤٧	٥ (١)	الغباء	الغباء
٤٨	ب ٧	تم	ثم
٤٩	٥ (٥)	الاعتداء عليهم	عدم الاعتداء عليهم

وان كان ثمة أخطاء مطبعية أخرى فانها لا تخفى على القارئ .